دراسات في الحديث والمحدثين

هاشم معروف الحسيني

---

[٣]

دراسات في الحديث والمحدثين تأليف هاشم معروف الحسني دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان

---

[٤]

الكتاب - دراسات في الحديث والمحدثين. المؤلف - هاشم معروف الحسني. الناشر - دار التعارف للمطبوعات. بيروت - لبنان - ص. ب ٦٤٣٠ - تلفون ٢٤٧٢٨٠. حقوق الطبع والتصوير محفوظة للمؤلف الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

---

[٥]

تأليف هاشم معروف الحسني دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري يعرض هذا الكتاب لمحة عن الكتابة قبل الاسلا م ومراحلها بعده، وعن الحديث ومراحل تدوينه واقسامه واصنافه وعن علمي الدراية والرجال، ويتعرض للصحابة والعدالة وآراء المحدثين والفقهاء فيهما، ويقارن بين العدالة التي اثبتها المحدثون لجميع الصحابة وبين العصمة التي اثبتها الشيعة لائمتهم (ع) كما يتعرض لموقف كل من الشيعة والسنة من الرواة ومجاميع الحديث، وللبخاري والكليني وتاريخهما والى صحيح البخاري والكافي ومكاتنهما عند الفريقين ويقدم امثلة منهما في مختلف المواضيع إلى غير ذلك مما يتصل بموضوع الكتاب مع الاختصار والتوضيح حسب الامكان، ويعتمد في جميع مباحثه على المصادر الموثوقة عند الفريقين.

---

[٧]

مقدمة بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله والصلاة على محمد وآل بيته وصحبه الطيبين وبعد... لقد وجدت وانا ادرس تاريخ التشريع واصوله اسرافا في التهم وغلوا لا مبرر له من السنة والشيعة في احكامهم على الفقهاء والمحدثين من الفريقين ذلك الغلو الذي اتخذ طابع التعصب الطائفي الذي اطاح بالقيم واحدث فجوة بينهما فرقتهم شيعا واحزابا، واصبحوا ينظرون من هذه الزاوية وحدها إلى آثارهم ومؤلفاتهم على اختلاف انواعها ومقاصدها، مع العلم بان تلك المؤلفات وبخاصة ما الفه الفريقان في الحديث يمكن الاستفادة منه والاعتماد عليه إلى ابعد الحدود ما دام ينتهي في واقعه إلى مصدر واحد وهو الرسول الاعظم (ص) الذي يروي عنه الفريقان السنة بوسائطهم والشيعة بواسطة أئمتهم (ع) وغيرهم من الموثوقين، ولكنهم بدلا من دراستها دراسة واعية شاملة بقصد الاستفادة

منها وتصفيتها انكمش كل فريق على مؤلفاته وآثاره، واتهم الاخر بالتعصب والانحراف عن الحق، وقال السنة: ان الشيعة لا يقبلون الا المرويات عن أئمتهم على شرط ان يكون الراوي لها اماميا، ويرفضون جميع المرويات ولو كانت عن الرسول (ص) إذا رواها غيرهم صحابيا كان ام غيره ولو كان في اعلى درجات الايمان والاستقامة، وقد نبهت على خطا هؤلاء الغلاة في كتابي المبادئ العامة للفقه الجعفري بما حاصله انه إذا كان بين الشيعة من لا يعتمد على مرويات الموثوقين من السنة عن الرسول (ص) فهو لا يمثل الشيعة، ولا يعبر عن رأيهم في هذه المسالة، لان كتب الحديث والرجال التي تعد بالعشرات تنص على قبول مرويات الثقاة من السنة وغيرهم، ولدينا من الارقام ما يؤكد هذه الحقيقة كما سنتعرض لذلك في الفصول الآتية من هذا الكتاب. والى جانب هذه النسبة إلى الشيعة، نجد الشيعة انفسهم ينسبون إلى السنة بانهم لا يعتمدون على مرويات الشيعة ويطرحون الحديث إذا كان رواته كلهم أو بمضهم من الشيعة استنادا إلى كثير من المصادر السنية التي تؤكد هذه الحقيقة، تلك المصادر التي ينص بعضها على وجوب طرح الحديث لمجرد انه يتفق مع بعض معتقداتهم، أو لان فيه رائحة التشيع هذا بالاضافة إلى ما ينسبه كل فريق الى الاخر من خلال بعض المرويات المدونة في مجاميع الحديث عند الطرفين بدون تدبر في مضامينها وتحقيق في اسانيدها وقبل ردها الى الاصول المقررة عند الفريقين، ونتيجة لهذا الاسراف والغلو في الاتهامات ولما تولد عن ذلك من المضاعفات اتسعت المسافة بينهما واتخذ شكلا كريها بعيدا عن منطق الدين والحق، ونبذ كل منهما ما عند الآخر من ثروة فكرية يمكن الاستفادة منها إلى ابعد الحدود. وكان بالامكا ن لو كانت النفوس طيبة، وتجرد الباحثون إلى طلب

الحق الاستفادة من كتب الحديث واستغلالها لخدمة الدين سنية كانت أم شيعية لانها وان اختلفت من حيث رواتها ومصادرها الا انها تلتقي في كثير من محتوياتها ومضامينها، وتعبر عن السنة النبوية المطهرة، بالرغم من اننا لا نؤمن بكل ما جاء فيها من المرويات سواء في ذلك الصحاح الستة المعتمدة عند السنة، أو الكتب الاربعة التي يعتمدها الشيعة من المصادر الموثوقة في جملتها بين كتب الحديث. اجل اقول ذلك وبين يدي كتابان من كتب الحديث وهما الصحيح للبخاري والكافي لكليني، ولست مبالغا إذا قلت بانهما من اوثق الكتب في موضوح الحديث عند السنة والشيعة واغناها بالآثار الاسلامية التي تناولت جميع الشؤون الاسلامية وامدت الفكر بالانتاج والابداع في مختلف المواضيع، ذلك لان ما جاء به الاسلام من القوانين والانظمة والاخلاق والآداب وغير ذلك من المناهج التربوية والاجتماعية وضع اصول هذه المناهج وقواعدها القرآن اولا، وتعهدت السنة بتفاصيلها وتوضيح مشكلاتها ومجملاتها، وستبقى السنة الى جانب القران مصدرا غنيا بتلك الثروة التي تمد الاسلابم بالخلود والبقاء حتى يرث الله الارض ومن عليها. ولو وقف المسلمون بعد وفاة الرسول (ص) من السنة موقفا سليما وعملوا على تدوينها وجمعها من صدور الحفاظ قبل ان تأكلهم الحروب والغزوات وقبل ان تعبث بها ايدي الدساسين والمخربين، لو وقفوا منها هذا الموقف لقطعوا الطريق على هؤلاء وغيرهم من المرتزقة الذين كا نوا يتقربون إلى الحكام بوضع الاحاديث التي تمس اخصامهم السياسيين وتؤيد عروشهم، ولكن الحكام بعد وفاة الرسول (ص) بدلا ان يفسحوا المجال لجمعها من الصدور قبل ان تعبث بها الايدي، منعوا من تدوينها وجمعها في الكتب بحجة المحافظة والحرص على كتاب الله كي

[١٠]

لا تحتل مكانته من القلوب والنفوس، كما تحدد اكثر الروايات موقف الخليفة الثاني من هذه المسالة. ومهما كان الحال فقد عبثت الايدي في الحديث بسبب هذا الموقف السلبي من تدوينه، ولعبت السياسة والطائفية دورهما البغيض في مرويات المحدثين من السنة والشيعة كما شاء لها الهوى والغرض خنى حدثت تلك الفجوة العميقة بين الفريقين، واصبحت المجاميع الشيعية بنظر اخوانهم من السنة اداة طيعة لهدم الدين، وتشويه معالمه - لان اصحابها ورواة احاديثها وضاعون كذابون على حد زعمهم، تفوح منم رائحة الرفض وتبدو من محتوياتها مبادئ التشيع الهدامة على حد تعبير بعضهم، والشئ الطبيعي في مثل هذه الحالات ان يكون لهذا التعصب اثاره السيئة في نفو س الشيعة التي تفرض عليهم ان ينظروا إلى صحاح السنة ومجاميعهم نظرة مليئة بالريبة والحذر والتشكيك لاسيما وهم يرون البخاري بصفته من اوثق المؤلفين عند السنة وكتابه من اصح المجاميع في الحديث لا يروي عن جعفر بن محمد الصادق ولا عن الائمة سن ولده الاطهار، ويروي عن الاشرار والفجار كمعاوية ومروان بن الحكم وعمران ابن حطان الخارجي، الذي قرض عبد الرحمن بن ملجم وامتدحه لانه قتل امام المسلمين وسيدهم عليا (ع) ويعتمد على العشرات ممن لم تتوفر فيهم الشروط التي تيسر للبا حث الاطمئنان بصدور الحديث عن الرسول (ص) وغيره من اعلام الصحابة الذين اخذوا من الرسرل مباشرة، لهذا ولغيره من الاسباب والملابسات كان من المفروض على الشيعة ان يقفوا من مرويات السنة موقف المتحفظ الذي يريد ان يستوحي اقواله واعماله من الواقع الذي يحسه ويطمئن إليه، وإذا شذ بعضهم عن هذا المبدأ وتأثر بالاستفزازات الموجهة إلى الشيعة ووقف من مروياتهم موقفا سلبيا متنكرا لما فيها من الغرر والدرر فهو لا يعبر عن رأي الشيعة ولا يمثلهم في مثل هذه المواضيع.

[١١]

ومهما كان الحال فقد الف الشيعة في الحد يث عشرات الكتب خلال القرون الثلا ثة من الهجرة وكانت هذه الكتب مصدرا لكتب الاربعة التي الفها الكليني والصدوق، والطوسي في القرنين الرابع والخامس، كما الف السنة في الحديث بعد ان اتجه العلماء الى التدوين العشرات من الكتب بما في ذلك الصحاح الستة في الفترة نفسها، وظهر من خلال المدونات الشيعية، ان الشيعة قد اعتمدوا على مرويات الائمة اكثر من غيرها باعتبارهم المصدر الامين الحاكي لافوال الرسول وافعاله، واخذوا عنهم اكثر مدوناتهم، كما اتجه السنة فيما دونوه إلى غيرهم ممن يثقون به من الرواة والصحابة، واعتبروا الائمة (ح) من ولد الرسول (ص) كغيرهم من الرواة والفقهاء يخضعون للنقد والتجريح والتوثيق، فروى عنهم فريق، وتجاهلهم آخرون ولعل محمد بن اسماعيل البخاري الوحيد بين اصحاب الصحاح من حيث تجاهله لاكثر الائمة وتلامذتهم المنتشرين في جميع البلدان وبخاصة البلاد التي رحل إليها في طلب الحديث كمدن العراق والحجاز وغيرهما. ونظرا لان الكافي من ابرز كتب الحديث عند الشيعة، والصحيح للبخاري من اصح المجاميع عندهم قد اخترتهما لهذه الدراسات التي تضمنها هذا الكتاب بروح مجردة عن التعصب والهوى، متحريا الحق اينما كان، وابراز بعض الحقائق التي احيطت بالغموض والتشويش، نتيجة لعامل السياسة والطائفية والزمن وغير ذلك من الملابسات والاسباب كما واني قد حاولت التخفيف من حدة الموقف الذي اوجد تلك الفجوة الواسعة بين الفريقين، وعرضت لهذه الغاية بعض موارد الالتقاء بين الجامعين وما تفرد به كل منهما مما يتفق مع

روح الاسلام وسماحته وما هو بعيد عنها، ولم اجد بدا هن الوقوف عند بعض المرويات والتعليق عليها احيانا بدافع الحرص على كرامة السنة وتنزيهها عما الصق بها زورا وبهتانا.

---

[١٢]

كما واني عندما وقفت بجانب الكليني في بعض المواضيع لم يكن ذلك مني بدافع التحيز له، ويستطيع القارئ ان يتاكد من هذه التحقيقة من موقفي معه في كثير من مروياته قي كتاب الحجة، وانما وقفت إلى جانبه في بعض المواضيع لانه قد تعرض لاعنف الهجمات من بعض مؤلفي السنة بدون مبرر لذلك. ومن امثلة ذلك الهجوم الذي تعرض له من ابي زهرة في كتابيه الامام الصادق (والامام زيد بن علي) لانه دون في الكافي بعض المرويات التي تشعر بتحريف القران، فقد اتهمه أبو زهرة وغيره بالنفاق من اجل ذلك، ودعا إلى التشكيك بجميع مروياته، مع العلم بان احاديث التحريف التي تستر بها المهاجمون للكليني رواها البخاري وغيره من المحدثين في مجاميعهم بشكل اوسع واصرح في التحريف صما رواه الكيلني حول هذا الموضوح، ومع ذلك لم يتعرض البخاري وغيره من المحدثين لمثل تلك الهجمات والاتهامات ولم يطالبوا بطرح مرويات تلك الصحاح بكاملها، كما طالبوا بذلك بالنسبة لمرويات الكافي، ولا اغالي إذا قلت بان الحملات التي وجهت إلى الكافي، لو وجهت إلى البخاري وحده في موضوح يشترك فيه مع الكيلني لوقفت إلى جانبه بنفس الروح التي وقفت فيها إلى جانب الكيلني. ومجمل القول هو اني قد اخذت على نفسي في الدراسات التي تضمنها هذا الكتاب ان لا اجامل احدا، ولا احابي فريقا مهما كانت النتيجة، ولا اقول الا ما اعتقد انه الحق، لا ابتغي من وراء ذلك الا رضا الله سبحانه فان وفقت لذلك فما ابالي بغضب من سواه، وان اخطأني الحظ فارجو ان احظى برضاه فيما بقي من عمري. وقد اعتمدت في جميع المواضيع التي اشتمل عليها هذا الكتاب على المصادر الموثوقة عند الفريقين السنة والشيعة، ومنه سبحانه استمد التوفيق لما يرضيه ويقربني إليه والاخلاص في العمل انه قريب مجيب.

---

[١٣]

الفصل الاول لمحات عن الكتابة والحديث ومراحل تدوينه

---

[١٥]

لا يخرج الباحث في احوال العرب وتاريخهم صفر اليدين من معرفة العرب للكتابة، ذلك لان الدراسات العلمية تؤكد ان العرب ولاسيما سكان الاطراف الشمالية للجزيرة قد تعلموا الكتابة واتقنوها قبل الاسلام بزمن بعيد، نتيجة لاتصالهم الوثيق بالفرس والرومان، وتدل المصادر التاريخية ان جماعات كثيرة من عرب الحيرة قد اتقنوا اللغة الفارسية وكتا بتها، وتولى بعضهم ادارة دواوين ملوك الفرس والترجسة لهم والاشراف على الكثير من شؤونهم، ومن هؤلاء عدي بن زيد وولده اللذان كانا من الصق العرب بقصور الفرس والامارات العربية بالحيرة وغيرها. وجاء في فجر الاسلام لاحمد امين، ان لعرب الحيرة وامرائهم وتاريخهم اثرا كبيرا في الادب العربي والحياة العقلية للعرب عامة كما تدل على ذلك احاديث جذيمة الابرش واساطير الزباء، والخورنق والسدير وما جاء حول سنمار باني الخورنق، ويوما النعمان، يوم بؤسه ويوم نعيمه وغير ذلك من القصص والاساطير

التي احتلت الصدارة في شعر العرب وادبهم قبل ظهور الاسلا م، وظلت زمنا طويلا تحتل الصدارة في المدونات التاريخية والقصصية بعد ظهور الاسلام.

وجاء في الاعلاق النفيسة (لابن رسته) ان عرب الحيرة علموا قريشا الزندقة في الجاهلية والكتابة في صدر الاسلام، ولا يعنينا تقييم هذه النصوص من الناحية العلمية والتاريخية بل اوردناها كشاهد على ان الامية ل ا تكن متفشية بين العرب بالشكل الذي يتصوره بعض الكتاب والمستشرقين وبخاصة عرب الحهيرة وبادية الشام لانهم عاشوا زمنا طويلا مع جيرانهم الفرس والرومان، وبحكم الظروف التي كانت تحيط بهم والمراحل التي مروا بها مع تلك الامم المتحضرة ليس من البعيد عليهم ان يتعلموا الكتابة، وان ياخذوا عنهم العلوم والعادات التي تمس حياتهم وتسهل لهم سبل العيش والحياة الحرة الكريمة كما لا نستبعد ان يكون لعرب الحجاز ميزة على غيرهم من عرب الجزيرة من هذه النواحي ذلك لانهم جعلوا مكة المكرمة قاعدة لتجارتهم التي كانت تسيطر على الاسواق في الشام ومصر، حيث كان الحجازيون يشترون السلع من اليمنيين والاحباش، لتصديرها على حسابهم إلى اسواق الشام ومصر، وعلى تجارة المكيين كان يعتمد الرومان قي اكثر الحاجيات وقد بالغ بعض المستثمرقين فادعى انهم اتخذوا من مكة نفسها بيوتا استخدموها للتجارة والتجسس على العرب، وكانت قبيلة قريش من اشهر القبائل العربية التي كانت تتماطى التجارة، وجاء في الكشاف وغيره من كتب التفسير، ان القرشيين كانوا يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، والذي سهل لهم الاستيراد والتصدير، والاستيلاء على الاسواق، ان العرب كانوا يعظمون البيت ويحترمون جيرانه وخدامه وقد امتازت بذلك قريش عن غيرها من سائر العرب لانها تحصنت بجواره من غزو العرب وقطاع الطرق (١). وليس بالبعيد عادة ان تزودها هذه المرحلات، المتتالية بسبب اتصالها

---

(١) انظر فجر الاسلام لاحمد امين ص ١٣ و ١٤.

المباشر بتلك الامم المتحضرة ببعض المنافع بالاضافة، إلى الفوائد المادية التي كانت تدرها هذه الرحلات، ومن ايسر ما يمكن ان تجره على المكيين هذه المهنة هي تعليم الكتابة والقراءة، هذا بالاضافة إلى ان يهود المدينة كانوا يحسنون الكتابة ويعلمونها الصبيان قبل هجرة الرسول (ص) إليها كما تؤكد ذلك بعض النصوص التاريخية. ومن مجموح ذلك تبين ان الكتابة لم تكن بتلك الندرة بين المكيين كما يدعى البلاذري في (فتوح البلدان) حيث قال: " لقد ظهر الاسلام وبين القرشيين سبعة عشر رجلا يحسنون الكتابة لا غير وفي الاوس والخزرج سكان المدينة احدى عشر رجلا تعلموها من جيرانهم اليهود ". وإذا صح ان الذين كانوا يحسنون الكتابة لا يتجاوزون هذا العدد الضئيل فلابد وان تكون في غيرهم معدومة أو اقل من ذلك، وبعد ملاحظة الظروف التي احاطت بالمكيين وبخاصة القرشيين منهم الذين كانوا على اتصال دائم بالامم المتحضرة نستبعد كل البعد ان يكون هذا الاحصاء الذي، ادعاه البلاذري وغيره صحيحا وفي نفس الوقت لا نبالغ في تقديره، ولا ندعي انتشارها بينهم كما كانت بين جيرانهم الفرس والرومان، لان العلم والكتابة

ينتشران حيث توجد الحضارة ويكثر العمران، والحجازيون يفقدون جميع هذه النواحي. ومما يؤكد ان الامية كانت تغلب على العرب قبل ظهور الاسلام الاية من سورة الجمعة، هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين. وجاء في غيرها من اللآيات ما يؤكد أن النبي نفسه كان اميا لا يحسن الكتابة ولا القراءة كما تدل على ذلك النصوص القرآنية والنبوية. دراسات - ٢

قال تعالى: " الذين يتبعون الرسول الامي الذي يجدونه مكتوبا في التوراة " وجاء عنه (ص) انه قال: انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الى غير ذلك من النصوص والحوادث التي تؤكد ان الامية كانت تغلب على العرب قبل الاسلام، ولا يتنافى ذلك مع ما ذكرناه اولا من ان عرب الحيرة ومكة بصورة خاصة من بين عرب الجزيرة كانوا يقرؤون ويكتبون، فانا لم نقصد من ذلك ان الاغلبية منهم كانوا يحسنونها كغيرهم من الامم المتحضرة والذي اردناه انه قد كان بينهم عدد لا يستهان به يحسنون الكتابة والقرائة بحكم الظروف والملابسات التي كانت تحيط بهم ولا يتنافى ذلك مع جهل الاغلبية لها. ومهما كان الحال فالتحديد الذي ذكره البلاذري لغير الامبين، والغلو الذي ذهب إليه بعض المستشرقين من مساوات العرب لغيرهم في هذه الناحية، هذان الرأيان لا تويدهما الدراسات الملمية ولا النصوص الاسلامية كما ذكرنا. ومما لا شك فيه ان الكتابة قد بدأت تنتشر في مكة وما حولها بظهور الاسلام على نطاق اوسع مما كانت عليه اولا بسبب التحول الذي طرأ على العرب نتيجة لاعتناقهم الدين الجديد الذي يدعو الى العلم ويحث عليه. وتؤكد المصادر التاريخية ان مساجد المدينة التسعة كانت محط انظار المسلمين، يتعلمون فيها القران وتعاليم الاسلام والكتابة وغير ذالك مما تدعو إليه الا حاجة، والى جانب هذه المساجد انتشرت المكاتب لتعليم الصبيان ومحاربة الامية باشكالها، وعندما نلاحظ موقف النبي من الاسرى الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة بعد نجاحه قي معركة بدر الكبرى واعفاءهم من الفدية التي فرضها على كل اسير حسب امكانياته

مع العلم بانه كان هو ودولته الفتية الناشئة في امس الحاجة إلى المال عندما نلاحظ ذلك وتتأكد بأنه قد اعفاهم منها، وفرض علي كل اسير منهم ان يعلم عشرة من الا ميين في مقابلها، ندرك مدى اهتمامه في محاربته الجهل والاميه حتى استطاع في خلال سنوات معدودات ان يهيئ عددا كبيرا يقرؤن ويكتبون، ويحسنون ادارة الاعمال وتصريف الامور، ومضت حركة التعليم تتسع بين المسلمين في انحاء الجزيرة، ويحث عليها بمختلف الاساليب والمناسبات، وقد بلغ به الحرص على توجيه الناس نحو التعليم، ان جعل طلب العلم من الفرائض، وقال كلمته المشهورة، (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال ايضا: (اطلبوا العلم ولو بالصين) والوصول إلى الصين في عصره اعسر من الوصول إلى القمر في عصرنا هذا، وكان من نتيجة تلك الجهود التي بذلها لمحاربة الامية ان اصبح المتعلمون من المسلمين وابنائهم يعدون بالالوف، بعد ان كانوا لا يتجاوزون العشرات كما يظهر من احصاءات المؤلفين الذين كتبوا في هذه المواضيع. ويؤيد ذلك ما جاء عن ابي الدرداء. انه قال لبعض جلسائه اعداد من يقراء عندي القران فعدهم فبلغوا الفا وستماية. وكان لكل عشرة منهم مقرئ، (اي معلم) وابو الدرداء يشرف على الجميع (١). ومن مجموع ذلك نستطيع ان نؤكدان تأخير المسلمين عن تدوين

الحديث والاثار الاسلامية لا يعود بالدرجة الاولي إلى ندرة وسائل التدوين وتفشي الامية كما يدعي بعض المؤلفين من العرب والمستشرقين،

---

(١) انظر السنة قبل التدوين، عن النهاية في طبقات القراءة، والتهذيب لابن عساكر.

ذلك لان وسائل التدوين لم تكن بتلك الندرة حتى قبل ظهور الاسلام كما ذكرنا، ولو تعازلنا عن جميع الشواهد والادلة التي ذكرناها وقلنا ان العرب قبل الاسلام على اختلاف مناطقهم لا يحسنون الكتابة، لو افترضنا ذلك بالنسبة للعرب قبل الاسلام، فلا يصح هذا الافتراض بعد ظهور الاسلام وبعد تلك الجهود التي بذلها الرسول الاعظم (ص) لمحاربة الجهل والامية، فلا بد لنا والحال هذه من تلمس الاسباب التي صرفت المسلمين عن تدوين احاديث الرسول خلال القرن الاول من الهجرة، ومن خلال المصادر التى تعرضت لهذا الموضوع قديما وحديثا نجد ان اكثرها تعزو ذلك إلى الرسول نفسه، اعتمادا على ا لمرويات عنه، والى الخليفة الثاني الذي اشتهر بمعارضة فكرة التدوين، وتوعد الناس بالعقاب عليها، فرووا عن الرسول (ص) انه قال: لا تكتبوا عي شيئا، ومن كتب عني غير القران فليمحه. وقد اخذ الخليفة الثاني بهذا النص حينما راجت فكرة التدوين بين المسلمين كما يدعي بعض المؤلفين وعلله بان التدوين قد يؤدي إلى التباس القرآن بالحديث وانصراف المسلمين عن كتاب الله إلى اقواله واحاديثه كما جرى ذلك بالنسبة الى الامم السابقة. وفي مقابل الرواية التي تنص على ان الرسول نهاهم عن تدوين اقواله وافعاله رووا عنه انه رخص لعبدالله بن عمرو بن العاص ان يكتب عنه ما يشاء فجمع من احا ديثه الصحيفة المسماة بالصادقة، وانه قال لرجل من الانصار: استعن على حفظك بيمينك، وقال لانس بن مالك: قيدوا العلم بالكتابة، إلى غير ذلك من المرويات ونظرا لتعارض هذه الطائفة من المرويات عنه للروايات المانعة، رجح اكثر المحدثين بانه نهى عنه اولا مخافة ان يختلط حديثه بالقران الكريم ولما تركز القرآن في نفوسهم واحتل منها المكان اللائق به، واصبحوا يميزونه عن غيره اباح لهم ان يكتبوا عنه ما يشاؤن، وتنيجة هذا الجمع بين هاتين الطائفتين من المرويات

عنه (ص) فقد توفي والتدوين مباح للجميع، وامر عبد الله بن عمرو أبن العاص ان يكتب عنه في حالتي الرضا والغضب، كما يدعون، انه دون صحيفته المسماة بالصادقة من اقواله وافعاله مباشرة (١) ومن البعيد ان تخفى هذه النصوص على الخليفة، وإذا افترضنا بانه كان على علم بها، فلماذا منع من التدوين في حين انه لم يرد عن الخليفة الاول ما يشير إلى انه نهى عن ذلك. وجاء في بعض المصادر التي تعرضت لهذا الموضوح انه منعهم عن تدوين الحاديث حرصا على كتاب الله، وانه احرق كتبا كانت لبعض الصحابة لهذه الغاية. فقد روى عنه عروة بن الزبير، انه اراد ان يكتب السنن، فاستفتى اصحاب رسول الله، (ص) فاشاروا عليه ان يكتبها فطفق عمر يستخير الله شهرا، ثم اصبح يوما وقد عزم الله له فقال: اني كنت اريد ان اكتب السنن، واني ذكرت قوما قبلكم كتبوا كتبا فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله، واني والله لا اشوب كتاب الله بشئ. وجاء عنه انه لما حدث ابي بن كعب عن بيت المقدس واخباره انتهره عمر

بن الخطاب، وهم بضربه، فاستشهد ابي بجماعة من الانصار ولما شهدوا بانهم سمعوا الحديث من رسول الله (ص) تركه، فقال له ابي بن كعب: اتتهمني على حديث رسول الله، فقال يا ابا المنذر: والله ما اتهمتك، ولكني كرهت ان يكون الحديث عن رسول الله ظاهرا إلى غير

---

(١) لقد تحدثنا عن هذه الصحيفة المزعومة مفصلا في كتابنا تاريخ الفقه الجعفري، واثبتنا بالارقام انها ليست من احاديث الرسول، بل هي من الكتب التى استولى عليها المسلمون في معركة اليرموك، وكان هو يحدث عن تلك الكتب وينسبها الى الرسول (ص) وقد جمع فيها طائفة من الاحاديث وادعى بانه اخذها من الرسول.

ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد أن الخليفه لم يعتمد على الرسول في منعه عن التدوين، وانه قد تفرد بهذا التصرف حرصا على كتاب الله، ولكن الرواية التي تنص على انه قد اتنهر ابي بن كعب لما حدث عن بيت المقدس، وقوله فيها: اني كرهت ان يكون الحديث عن رسول الله ظاهرا، هذه الرواية تدل على انه كان حريصا على ان لا ينتشر الحديث عن رسول الله (ص)، مع العلم بان حديث الرسول مكمل للتشريع، ومبين لمجملات القرآن ومخصص لعموماته ومطلقاته، وقد تكفل لكثير من النواحي الاخلاقية والاجتماعية والتربوية، ولو تقصينا الاسباب التي يمكن افتراضها لتلك الرغبة الملحة في بقاء السنة في طي الكتمان لم نجد سببا يخوله هذا التصرف، ولا نستبعد انه كان يتخوف من اشتهار احاديث الرسول في فضل علي وابنائه (ع). ويؤكد ذلك ما رواه عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه. ان علقمة جاء بكتب من اليمن أو مكة تحتوي على طائفة من الاحاديث في فضل اهل البيت (ع)، فاستأذنا على عبد الله بن مسعود فدخلنا عليه ودفعنا إليه الكتب، قال: فدعا الجارية ثم دعا بطشت فيه ماء، فقلنا له: يا ابا عبد الله انظر فيها فان فيها احاديث حسانا، فلم يلتفت، وجعل يميثها في الماء ويقول: نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران، القلوب اوعية فاشغلو ها بالقرآن، وعبد الله بن مسعود كان منحرفا عن علي (ع) ويساير المنحرفين عنه، كما تؤكد ذلك النصوص التاريخية. ولو افترضنا ان الخليفة كان حسن النية في هذا الامر، وانه لم يمنع الا بدافع الحرص على كتاب الله، فقد كان من تتائجه، ان اتسع المجال للكذابين والمنحرفين عن المخطط الاسلامي، والمرتزقة ان يضعوا من الاحاديث ما توحيه إليهم الاهواء والمطامع، بالاضافة إلى ما ضاع منها

بسبب الحروب والغزوات، التي فتكت بالصحابة بعد وفاة الرسول " ص ".. على ان الذين يحاولون ان يعتذروا عنه، ويقرون المرويات التي تنص على انه خاف ان يختلط الحديث بالقرآن، هؤلاء يسيئون إليه من حيث لا يقصدون، لانه لم يكن قصير النظر ولا محدود التفكير ولا جاهلا باساليب البيان وبلاغة القول، ويعلم جيدا ان القرآن قد استولى على النفوس وتحكم بمشاعرهم واحاسيسهم، وكان له الاثر البالغ في سير الدعوة وانتشارها، هذا بالاضافة الى وجود الفوارق الكثيرة بين الاسلوبين التي لا تخفى على احد منهم. ومع التغاضي عن جميع ذلك، فقد كان بالامكان لو كانت النوايا طيبة التفرغ الى جمع الحديث وتدوينه بعد تدوين القرآن الكريم والتثبت من احصائه في مجموعة واحدة بواسطة لجنة مختارة من الامناء

المعروفين بالوثاقة والاستقامة، ولو فعلوا ذلك لقطعوا الطريق على كل افاك اثيم، وعلى المرتزقة الذين شوهوا معالم السنة وطمسوا من اضوائها النيرة والصقوا فيها من الموضوعات التي جرت على المسلمين اسوأ انواع البلاء وفرقتهم شيع أو احزابا. ومهما كانت الاسباب التي فرضت على الخليفة ان يقف من السنة هذا الموقف، فالنصوص التاريخية تؤكد بانه لم يكن موفقا فيه ولم ينجح كل النجاح في هذا التدبير، فقد ظهرت بعض المدونات الاسلامية في فترات متعاقبة من عصر الصحابة وبعده للشيعة وغيرهم، ومن ذلك الجامعة التي الفها على (ع) وقد تناول فيها جميع ابواب الفقه، واليها كان يرجع الائمة (ع) في احكامهم واقضيتهم في كثير من المناسبات، كما دون عبد الله بن العباس في الفقه والتفسير وغير ذلك من العلوم، وجاء

في بعض المرويات انه ترك حمل بعير من مدوناته، وكان يحمل قسما منها الى مجالسه وحلقات التدريس، وكتب سعيد بن جبير احد تلاميذه كل ما املاه عليه. ومجمل القولى ان حركة التدوين بدأت تتسع في الشطر الاخير من عصر الصحابة ولكنها لم تنتشر بين المسلمين الا في اوائل القرن الثاني حينما امر عمر بن عبد العزيز ابا بكر محمد بن حزم بجمع الحديث وتدوينه، وجاء في المذكرة الي وجهها إليه. انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) أو سنة ماضية فاكتبه فاني خفت، دروس العلم وضياعه، واكد عليه كما تنص بعض المرويات ان يدون ما روته عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية والقاسم بن محمد بن ابي بكر (ا) فهب الناس الى التدوين واحسوا بخطر الركود الذي مر عليه في القرن الاول واصبح من الضرورات الملحة بنظر الجميع، لا سيما وقد ندب إليه عمر بن عبد العزيز المعروف بالاعتدال والحرص على الاثار الاسلامية ولكن التدوين الذي كان يوم ذاك لم يكن مرتبا على ابواب الفقه وفصوله ولم يقتصر الكتاب على موضوع واحد، بل كان المؤلف يحشد في كتابه من جميع المواضيع والاصناف، بما في ذالك التفسير واللغة والادب ونحو ذلك من المواضيع اما التدوين المرتب على الابواب الفقهية فلم في قبل اواخر النصف الاول من القرن الثاني، ويدل على ذلك ما اورده الحافظ الذهبي في حوادث ١٤٣ قال: وفي هذا العصر شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك من المواضيع، فصنف ابن جريح المتوفى ١٥٠ تصانيفه الكثيرة في مكة، وصنف ابن اي عروبة المكنى بابي النظر العدوي، وفي خلال ذلك صنف أبو حنيفة في الفقه والرأي، كما صنف حماد بن سلمة وسفيان الثوري والاوزاعي، وعبد الله بن المبارك، وهشيم بن بشير، وغيرهم في فترات متعاقبة تتراوح بين سنة ١٥٠ و ١٧٥ عشرات الكتب

---

(١) انظر تاريخ الفقه ص ١٧٦ والاضوأ ص ٢٢٤.

في مختلف المواضيع وإذا لاحظنا ما انتجته مدرسة الامامين الباقر والصادق (ع) في هذه الفترة من القرن الثاني تقريبا من المدونات التي بلغت ستة آلاف كما احصاها اكثر المؤلفين في هذا الموضوع من الشيعة واشرنا الى مصادرها في كتابنا (المبادئ العامة في الفقه الجعفري) إذا لاحظنا ذلك تدرك اهمية هذا الدور من ناحية اتساع حركة التاليف وتدوين الآثار الاسلامية وغيرها من آثار الفرس

واليونان في مختلف المواضيع، وقد احصى المؤلفون في احوال الرجال والتراجم عددا كبيرا لجماعة من اصحاب الائمة كصفوان بن يحيى، وشعيب بن اعين الحداد، وهشام بن الحكم، واسماعيل بن موسى بن جعفر (ع) وعبد الله بن المغيرة البجلي الكوفي، وعبد الله بن سنان مولى بني هاشم، ومحمد بن عمير ويونس ابن عبد الرحمن، واحمد بن محمد بن عيسى الاشعري، والفضل بن شاذان النيسابوري الى غير ذلك ممن تتراوح مؤلفاتهم بين العشرين والثلاثين كتابا. وجاء عن محمد بن مسعود العياشي انه انفق على تدوين العلم ثلاثمائة الف دينار، وان داره كانت تعج بالناس وهم بين ناسخ وقارئ ومقارن ولو كتب البقاء لمؤلفات الشيعة في القرنين الثاني والثالث، لكانت دور الكتب اغنى ما تكون بالاثار الشيعية، ولكن الظروف التي احاطت بهم، والحروب الدامية التي كانت قي الغالب تستهدف دمائهم وآثارهم كل ذلك قد ساهم في تبديد تلك الثورة الغنية بالكنوز والنفائس، وليس ادل على ذالك من اقدام الحكام والغزاة وبخاصة الايوبيين منهم على حرق المكتبات الشيعية مباشرة. كمكتبة الطوسي، والوزير (نصر سابوربن اردشير) وزير بهاء الدولة، ومكتبة الازهر التي اسسها الفاطميون في مصر وحشدوا فيها مئات الالوف من المجلدات في مختلف مواضيع وبقيت اكثر من قرنين من الزمن منهلا كريما لرواد العلم من

مختلف الأقطار إلى ان جاء صد الايوبيين الذي استهدف الشيعة وآثارهم واكثر من اي شئ آخر ذلك العهد الذي مثل فيه صلاح الدين وابناؤه الجريمة باقبح صورها واشكالها الى غير ذلك من دور الكتاب التي كانت اكثر محتوياتها من كتب الشيعة وآثارهم. ومهما كان الحال فلم يطرأ على التدوين تطور قبل نهاية القرن الثاني، وبنهايته شرع فريق من العلماء بتطويره فافردوا احاديث الرسول عن آراء الصحابة واقضيتهم، ووزعوا الاحاديث على ابواب الفقه وفصوله حسب المناسبات ومضى العلماء على ذلك، فالف احمد بن حنبل جامعه، واسحاق بن راهويه وغيرهما عشرات الكتب وظلت حركة التدوين تتسع الى ان دخلت طورا جديدا، هو طور الاختيار والتنقيح، وكان اول من اتجه الى هذه الاناحية من السنة محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله. قال الحافظ بن حجر في مقدمة فتح الباري على صحيح البخاري، ولما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة يين ما يدخل تحت الصحيح وغيره والكثير منها يشمله التضعيف، حرك همته لجمع الحديث الصحيح، فالف كتابه المعروف بصحيح البخاري، كما الف كل من مسلم، وابو داود سليمان ابن الاشعث السجستاني، والترمذي والنسائي، وابن ماجة، ومحمد بن يزيد كتبهم الستة المعروفة بين اعلام السنة بالصحاح خلال القرنين الثالث واوائل القرن الرابع، وكان لمحمد بن اسماعيل البخاري الفضل الاكبر في هذا الاتجاه من التاليف، لانه اول من حرك همته لتحري الاحاديث الصحيحة ودونها في صحيحه سنة ٢٥٠ تقريبا، واخرهم النسائي احمد ابن شعيب المتوفى سنة ٣٠٣ شهيدا في مكة كما قي رواية الذهبي وغيره. وجاء في سبب وفاته. انه خرج من مصر وافدا على دشمق فاجتمع

عليه المحدثون والقراء وغيرهم، وفي بعض مجالسه سأله بعضهم ايهما افضل علي ام معاوية ؟ فقال: على الفور اما رضي معاوية ان يخرج رأسا برأس حتى يفضل، وجاء عنه انه قال: والله لا اعرف له فضيلة الا قولى النبي (ص) له: (لا اشبع الله بطنك) فداسوه

بارجلهم واخرجوه من الشا م مضرورا، فتوجه نحو مكة المكرمة وتوفي بها متاثرا بما اصابه، وجاء في ترجمته انه قال: دخلت الشام، والمنحرف عن على (ع) بها كثير فصنفت كتاب الخصائص رجوت بذلك ان يهديهم الله (١). وفي هذا الدور الذي ظهر فيه اصحاب الصحاح ودونوا صحاحهم، نجد بين المؤلفين من الشيعة من هو اكثر انتاجا واحسن تنظيحا من غيرهم، كما تؤكد ذلك كتب الرجال والحديث التي تعرضت لمؤلفات الشيعة في الفترة الواقعة بين عصر البخاري والنسائي، وبخاصة المؤلفات الفقهية الموزعة على ابواب الفقه وفصوله، واشتهر من بينهم القميون بتصلبهم وتشددهم على كل متهم بالانحراف عن العقيدة، كمحمد بن عيسى بن عبد الله الاشعري شيخ القميين في القرن الثالث على حد تعبير علماء الرجال ومحمد بن احمد ابن ابي قولويه، ومحمد بن اسماعيل بن بشير البرمكي، ومحمد بن خالد الاشعري القمي، ومحمد بن علي بن محبوب احد الشيوخ الاجلاء في قم، وصاحب المؤلفات الكثيرة في مختلف المواضيع وقد احصى له النجاشي والمامقاني في تنقيح المقال نحوا من ثلاثين مؤلفا وفي كتابه الجامع تعرض لجميع ابواب الفقه من الطهارة الى الديات والحدود، ومن هذه الطبقة محمد بن الحسمن بن فروخ الصفار المعروف بالوثاقة وحسن السيرة وسلامة العقيدة، والمعاصر للامامين الهادي والعسكري (ع)، كما عاصر البخاري وغيره من اصحاب الصحاح، الى غير ذالك من العشرات الذين اتجهوا الى تصفية الحديث وتصنيفه على

---

(١) انظر شذرات الذهب لابن العماد ج - ٢ ص ٢٤٠.

ابواب الفقه وفصوله، وقد احصى النجاشي لبعضهم اكثر من تسعين كتابا. وجاء في الفهرست لابن النديم. ان الفضل بن شاذان النيسابوري ترك نحوا من ١٨٠ كتابا من مؤلفاته قي مختلف المواضيع، وبلغ الحمال بالقميين وغيرهم انهم كانوا يخرجون من قم كل متهم بالغلو والانحراف عن التشعيع السليم ويرفضون مروياتهم مهما كان نوعها. وبالتالي فقد اتجهوا الى التاليف في احوال الرواة، ووضعوا اصول علم الرجال والدراية حتى لا تختلط مرويات المنحرفين والمتهمين بمرويات الموثوقنن من الشيعة المعتدلين في تشيعهم وعقائدهم، ومن هؤلاء علي بن الحسين ابن علي بن فضال. فقد جاء في الفهرست للشيخ الطوسي. انه ممن يعتمد على قوله في الرجال، ويستند إليه في الجرح والتعديل، واكد هذه الحقيقة في منتهى المقال، واستنتج بعضهم انه من المؤلفين في الرجال. ومنهم الفضل بن شاذان، فقد نص جماعة ان له كتبا في الرجال واحوال الرواة، ومنهم محمد بن احمد بن داود بن علي شيخ القميين في زمانه كما نص على ذلك النجاشي، والعلامة في الخلاصة. وجاء في الفهرست، انه الف كتابا في الممدوحين، والمذمومين رجال الحديث. ومنهم محمد بن الحسن أبو عبد الله المحاربي، قال النجاشي، والعلامة في الخلاصة. انه كان خبيرا باحوال الرواة والف في هذا الموضوع كتابا عرض فيه احوالهم ومراحل حياتهم. ومنهم نصر بن الصباح المكنى بابي قاسم من اهالي بلخ فقد الف

ومنهم محمد بن خالد البرقي ومحمد بن مسعود السمر قندي المعروف بالعياشي وغيرهم ممن نص اصحاب الفهارس على انهم

قد الفوا في احوال الرجال ووضعوا اصول علم الدراية في القرن الثالث واوائل القرن الرابع، قد اكد ذلك الشيخ الطوسي قي العدة، وجاء فيها ان الطائفة ميزت الرجال الناقلين لهذه الاخبار فوثقوا الثقاة منهم، وضعفوا الضعفاء، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته، ومن لا يعتمد عليه، ومدحوا الممدوحين، وذموا المذمومين، وقالوا فلان متهم في حديثه: وفلان كذاب، وفلان مخلط ومخالف في المذهب والاعتقاد الى غير ذلك من الطعون التي وصفوا بها الرواة والمحدثين، واضاف الى ذلك انهم صنفوا في ذلك الكتب، واستثنوا الرجال من جملة ما رووه من التصانيف في فهارسهم، حتى إذا واحدا منهم إذا انكر حديثا نظر في اسناده وضعفه بروايته واصبحت هذه الطريقة عادة لهم لا تنخرم ولولا ان العمل بما يسلم من الطعون جائز، لا يكون فائدة لما شرعوا فيه من التضعيف والتوثيق (١) هؤلاء وغيرهم من المؤلفين في الحديث واحوال الرجال وشروط الرواية واقسامها الذين بذلوا كل ما لديهم من الامكانيات لتصفية الحديث من الموضوعات ومن المشتبهات هؤلاء وضعوا الاساس للمتأخرين، وكانوا الركيزة التي اعتمدها لمحمدون الثلاثة، محمد بن يعقوب الكليني، ومحمد بن بابويه الصدوق، ومحمد بن الحسن الطوسي في اختيار مجاميعهم الاربعة (٢) تلك المؤلفات التي اعتمد مؤلفوها على كتب القميين وغيرهم من اصحاب الائمة وتلاميذهم كالاصول الاربع التي كانت بمجموعا محلا لثقة الرواة والمحدثين، من حيث معرفتهم بمؤلفيها ووثوقهم بصحة ما فيها من المرويات، هذا بالاضافة

---

(١) ص ٥٣ من العدة. (٢) الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، والتهذيب والاستبصار للطوسي.

الى القرائن الاخرى التي اعتمد عليها المحمدون الثلاثة بالنسبة لبعض المرويات، وان لم تكن من حيث اسانيدها مستوفية لشروط العمل بالرواية، ومن جملتها مطابقة مضمون الرواية للنص القرآني، أو للسنة الصحيحة، أو لما اجمعت الطائفة عليه، أو لموافقته لحكم العقل أو لغير ذلك من القرائن التي تؤكد مضمون الخبر وان رواه من لا يصح الاعتماد على مروياته (١). ومجمل القول ان المحدثين من الشيعة نشطوا في تصفية الحديث من الموضوعات ومن مرويات المنحرفين في عقائدهم والمندسين بين صفوف الشيعة ووضعوا النواة الاولى لعلمي الرجال والدراية والفوا فيهما، قبل ان يقوم البخاري ورفاقه من اصحاب الصحاح بمهمة تصفية الحديث وتصنيفه، واصبح علم الرجال والدراية من العلوم التي يتوقف عليها استنباط الاحكام من الادلة، لان الحديث هو المصدر الثاني للاحكام بعد كتاب الله، ولولاه لم يتم التشريع ولم يبلغ تلك المرتبة العالية من الاحاطة والشمول التي تناولت جميع المواضيع ووضعت الحلول لجميع لحياة على اختلاف تطورها ومراحلها.

---

(١١) العدة للشيخ الطوسي ص ٥٢.

الفصل الثاني في اصناف الحديث

[٣٣]

لقد قسم الباحثون في الحديث واحوال الرواة الخبر الى قسمين متواتر وآحاد، وتحدثوا عنهما من حيث معناهما، واقسامهما وشرائط الاعتماد عليهما باسهاب في مؤلفاتهم الموضوعة لهذه الغاية، واختلفت آراؤهم في كثير من النظريات والافكار المتعلقة بهذه المواضيع كما هو الحال في جميع المباحث التي يدخلها عنصر الاجتهاد، وما لا شك فيه ان تحديد التواتر وشروطه، واخبار الاحاد واصنافها، وما يتعلق بذلك من المواضيع التي تنصل بعلمي الرجال والدراية مباشرة، هذه المواضيع وما يتعلق بها تتسع لاختلاف الانظار وتضارب الآراء ولذلك لا يصح ان ننسب رأيا الى الشيعة أو السنة في هذه المواضيع وغيرها من المواضيع الاجتهادية الا إذا اتفق الاكثر عليه، أو كان معبرا عن رأي الاغلبية منهم، اما نسبته الى احد الفريقين الشيعة أو السنة لمجرد وجوده في كتاب، أو لمجرد كونه يعبر عن رأي بعض الافراد، أو الجماعات، فهو من الاغلاط التي وقع فيها اكثر المؤلفين. وطى جميع الاحوال فالتواتر هو عبارة عن اخبار جماعة كثيرة يستحيل عادة اتفاقهم على الكذب، ولو انضمت بعض القرائن الى المخبرين دراسات - (٣)

[٣٤]

بحيث كان حصول العلم مستندا الى المجموع لا يمنع ذلك من حجية التواتر. ولو اخبر جماعة بشئ، ولكنهم لم يبلغوا الحد الموجب للعلم لا يصدق التواتر بالمعنى المصطلح عليه بينهم، كما وان العلم لو لم يستند الى الكثرة بان حصل العلم به من الخارج، أو حصل العلم من اخبار ثلاثة أو اربعة معروفين بالصدق والامانة، أو كان خبر الكثيرين موافقا لدليل مقطوح به ومعمول بمقتضاه كل ذلك ليس من التواتر المقابل للاحاد. بل لا بد وان يكون العلم مستفادا من اخبار جماعة يستحيل عليهم بحسب العادة ان يتفقوا على الكذب وكما ذكرنا لا يمنع من حصول التواتر وجود بعض القرائن المؤيدة لاخبارهم حتى ولو كان العلم الحاصل منه مستندا الى الجميع. وقال الشيخ الطوسي في تحديد معنى التواتر: ان الخبر إذا لم يكن من باب ما يجب وقوح العلم عند حصوله، واشتراك العقلاء، وجاز وقوع الشبهة به هو ان يراد به جماعة قد بلغت من الكثرة حدا لا يصح معه ان يتفق الكذب منها عن المخبر الواحد، ولابد بالاضافة الى ذلك من العلم بانه لم يجمعها على الكذب جامع كالتواطوء وما يقوم مقامه، ولا بد ايضا من العلم بان المخبر الاول على يقين من امره لم يخبر وهو متردد أو غافل عما اخبر به، هذا إذا لم يكن بين الجماعة وبين المخبر الاول واسطة، فان كان بينهما واسطة لابد من مراعاة هذه الشروط في جميع الوسائط حتى ينتهي الحال الى نفس المخبر الأول (١).

(١) انظر العدة للطوسي ص ٣١.

[٣٥]

ولا بد في العلم الحاصل من التواتر من الشروط التالية. الاول ان لا يكون السامع عالما بمضمون الخبر، كما لو اخبر الجماعة شخصا عما شاهدوه وعلم به مباشرة، وقد عللوا ذلك بأن خبر الجماعة لو افاد العلم في هذه الحالة، فاما أن يكون عين العلم الحاصل له

بالمشاهدة، أو غيره، فان كان عينه، يكون من تحصيل الحاصل، وان كان غيره يلزم اجتماع المثلين، ولا يصح في مثل ذلك ان نفترض كون الخبر مؤكدا ومقويا للعلم الحاصل عن طريق الحس والمشاهدة لان العلم الحاصل للسامع عن هذا الطريق يكون ضروريا، والضروري لا يقبل الترديد والتشكيك ولا الزيادة والنقصان. الشرط الثاني ان لا يكون الخبر مسبوقا بشبهة تخالف مضمونه في ذهن السامع، وان لا يكون السامع معتقدا خلاف مدلوله تقليدا أو لسبب آخر، إذ لا يمكن حصول العلم من الخبر غالبا الا إذا كان ذهن السامع خاليا عن الشبهة والمعتقدات المخالفة له مهما بلغ رواته من الكثرة. الشرط الثالث ان يستند المخبرون الى الحس، فلو كان أخبارهم مستندا الى حكم عقلي أو نص قرآني أو غيرهما لا يكون من التواتر المقابل للاحاد. الرابع، أن تكون جميع الوسائط عالمة بمضمون الخبر، بنحو يستند على الطبقة الاولى الى الحس والمشاهدة، والثانية الى التواتر الحاصل باخبار الطبقة الاولى، والثالثة من أخبار الثانية، وهكذا بالنسبة الى بقية الطبقات. أما العدد الذي يتحقق به التواتر: فالظاهر ان أكثر المؤلفين في علم الحديث لا يشترطون عددا معينا فيه، وكل ما في الامر لابد فيه من

الكثرة التي يحصل من اخبارها العلم بمضمون الخبر، والعلم قد يحصل احيانا من اخبار العشرة، واحيانا لا يحصل من اخبار العشرين والثلاثين والاكثر من ذلك. اما تحديدها باكثر من اربعة كما نسب الى القاضي الباقلاني، وباكثر من عشرة كما جاء عن (الاصطخري)، وباثني عشر مخبرا عدد نقباء بني اسرائيل، وباكثر من عشرين كما جاء ابى الهذيل العلاف، وبسبعين كما جاء عن بعض المحدثين وبثلاثمائة عدد اصحاب النبي (ص) في بدر كما نص على ذلك بعضهم، هذه التقديرات كلها لاهل السنة، ولا وجود لها في كتب الشيعة، والظاهر اتفاقهم على عدم تحديده بعدد معين (١). ومهما كان الحال فالخبر المتواتر، اما ان يكون متواترا بلفظه ومعناه، كما لو اتفق المخبرون على نقل الحديث بلفظ واحد، واما ان يكون متواترا من حيث المعنى، كما لو اختلفت الفاظ المخبرين مع وحدة المعنى، وحصل العلم بذلك المعنى من الفاظهم المختلفة بواسطة دلالة الخبر على المعنى بالتضمن أو الالتزام، أو بالمطابقة إذا كانت الالفاظ المختلفة مشتركة في معنى واحد، وهذا النوع من التواتر الذي اطلقوا عليه اسم التواتر المعنوي موجود ومطرد بين المرويات في الفروع والاصول، اما التواتر اللفظي في جميع مراحله ووسائطه هذا النوع من التواتر ربما يكون قليلا ونادرا بين المرويات عن الائمة والرسول (ص) كما يبدو ذلك بعد التتبع والاستقصاء، وقد بالغ بعضهم فانكر وجوده من الاساس. قال الشيخ عبد الصمد في رسالته التي الفها في علم الدراية: المتواتر

---

(١) انظر مقباس الهداية للمامقاني، والعدة للطوسي وغيرهما من مؤلفات الشيعة في علم الحديث.

هو ما رواه جماعة يحصل العلم بقولهم، للقطع بعدم امكان تواطؤهم على الكذب عادة، ويشترط ذلك في كل طبقاته صحيحا كان اولا، واضاف الى ذلك. وهذا لا يكاد يعرفه المحدثون في الاحاديث لقلته، وهو كالقران وظهور النبي (ص) والقبلة والصلات وعدد الركعات،

والحج ونصب الزكوة ونحو ذلك (ا) وتشبيه التواتر بهذه الامور الثابتة بالضرورة من دين الاسلام، هذا التشبيه يشعر بان التواتر في الحديث يكاد ان يكون في حكم المعدوم من حيث ندرته وعدم وجوده بين المرويات عن النبي والائمة (ع

---

(١) انظر الوجيزة للشيخ عبد الصمد الحارثي ص ٧٦.

التواتر عند محدثي السنة لا يجد المتتبع في المؤلفات الشيعية والسنية حول الحديث واصنافه وحالاته فروقا جوهرية بين الفريقين في المراد في المتواتر وشروطه واقسامه وإذا استثنينا التقديرات المختلفة التي نقلناها عن السنة تلك التقديرات التي لا يتحقق التواتر باقل منها على حد زعمهم، إذا استثنينا هذه الناحية نجد انهم يلتقون التقاء كاملا في جميع النواحي المتعلقة به. قال الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث: فالمتواتر هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطئهم على الكذب عن جمع مثلهم في اول السند وآخره ووسطه، واضاف إلى ذلك. ان التواتر ينقسم إلى لفظي ومعنوي فاللفظي هو ان يتفق المخبرون على الفاظ الحديث في جميع الوسائط، والمعنوي، يرجع إلى اتفاقهم على المعنى مع الاختلاف في الالفاظ الحاكية للمعنى، ولم يستبعد الرأي الذي يرجح كثرة الاحاديث المتواترة لفظا ومعنى، وعد منها صديث انشقاق القمر، وحديث من كذب علي معتمدا فليتبوأ مقعده من النار من حيث ان الذين رووا هذا الحديث عن النبي (ص) بلغوا اثنين وسبعين صحابيا كما جاء عن بعض المحدثين وحديث الترغيب في بناء المساجد، والشفاعة، وانين الجذع، والمسح على الخفين، والاسراء، والمعراج، ونبع الماء بين اصابعه واطعام الجيش الكبير من الزاد القليل الذي لا يكفى عادة لاثنين

أو ثلاثة، إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي نص جماعة من محدثي السنة على تواترها لفظا ومعنى، كما جاء ذلك عن السيوطي في تدريب الراوي، والحافظ بن حجر في شرح النخبة وغيرهما. وفي مقابل هؤلاء المغالين في اعطاء هذه المرويات صفة التواتر، نص جماعة على ندرة التواتر اللفظي، وارجع الامثلة التي ذكرناها إلى القسم الثاني من قسمي التواتر، وهو المعنوي نظر اللاختلاف الواقع في الفاظها بين المحدثين. ومهما كان الحال، فلم اجد فيما ذكره الفريقان ما يشير إلى بعد المسافة بينهما في هذه المسالة، وفيما يتعلق بكميات الاخبار عن المتواترة بين المرويات المدونة في كتب الحديث عند الطرفين، فكل منهما يدعى وجود كمية كبيرة من مروياته تحمل هذا الاسم، ولكن المحدثين من الشيعة يعترفون بندرة التواتر اللفظي بين مروياتهم عن الرسول والائمة (ع) بينما بالغ جماعة من محدثي السنة في كمية هذا النوع من التواتر بين مروياتهم.

اخبار الاحاد واصنافها لقد اصطلح المؤلفون في علم الحديث على تقسيم الخبر من حيث رواته إلى متواتر وآحاد، وعدوا كل حديث لا تتوفر فيه شروط التواتر من نوع الاحاد، سواء كان الراوي له واحدا، أو اكثر. وخبر الواحد ينقسم من حيث رواته إلى مستفيض، ومشهور وغريب، وعزيز، كما ينقسم من حيث متنه إلى اقسام كثيرة، كما سنبين ذلك في خلال هذا الفصل الذي وضعناه لبيان الحديث واقسامه واصنافه وحد المستفيض عندهم ان يرويه اكثر من ثلاثة قي جميع مراحله، سواء رووه بلفظ واحد، أو بالفاظ مختلفة مع وحدة المعنى، كما نص على ذلك اكثر المحدثين. ونص بعضهم على انه لو اختلفت الفاظه يخرج عن كونه مستفيضا، وفرق جماعة بين المشهور والمستفيض، بأن الخبر لا يوصف بالاستفاضة الا إذا رواه اكثر من ثلاثة في جميع مراحله حتى ينتهي إلى الطبقة الاخيرة ويوصف بالشهرة ولو كان الراوي الاول له واحدا، على شرط ان يشتهر بين الطبقة الثانية، ويرويه جماعة عن الراوي الاول، وجماعة عن الطبقة الثانية وهكذا. ومن امثلته الحديث المعروف المروي عن النبي (ص) (الاعمال بالنيات) فان هذا الحديث معدود من الاحاديث المشهورة، مع ان الذي

رواه عن النبي (ص) واحد، ورواه عنه غيره بالتسلسل إلى ان اصبح معروفا مشهورا بين جميع الطبقات التي تناقلته، فيكون الاختلاف بين المشهور والمستفيض في الطبقة الاولى، حيث انه لا يكفي وحدة الراوي في اعطاء الخبر صفة الاستفاضة، ويكفي ذلك في اعطائه صفة الشهرة إذا رواه الجماعة في غيرها من الطبقات. ويلتقي المستفيض مع المتواتر في ان كلا منهما لا بد وان يرويه جماعة عن مثلهم في جميع المراحل، فان حصل العلم بصدور الحديث من النبي ص أو الامام (ع) من اخبار الجماعة اعطي الحديث صفة التواتر، والا يوصف بالاستفاضة أو الشهرة، ولو حصل العلم بصدق رواته من القرائن والملابسات التي تحيط به. والمراد من الغريب قي عرف المحدثين، هو الذي يشتمل على لفظ غامض بعيد عن الافهام نظرا لقلة استعماله. والعزيز هو الذي ا يرويه عن مصدره اثنان فصاعدا، ولعل السر في تسميته بهذا الاسم، هو قلة وجود هذا النوع بين المرويات عن النبي (ص) والائمة (ع)، كما يجوز اعطاؤه هذا الوصف باعتبار قوته الحاصلة من روايته بطريقتين في جميع المراتب (١). وقد صنف المحدثون المرويات عن النبي والائمة " ع " إلى الاصناف الاربعة التالية الصحيح، والحسن، والموثق، والضعيف، وشاع هذا التصنيف في عصر العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ واستاذه، احمد بن موسى بن جعفر (٢) ونسب اكثرهم هذا التصنيف إلى العلامة واستاذه، ولاجل ذلك فقد تعرضا لهجوم عنيف من الاخباريين الذين قطعوا بصحة جميع ما رواه المحمدون الثلاثة في كتبهم الاربعة، والواقع ان هذه

---

(١) انظر مقباس الهداية للمامقاني. (٢) المعروف بابن طاووس المتوفى سنة ٦٧٣.

المصطلحات ليست من مخترعات العلامة، ولا من مبتكرات استاذه. لان المتتبع لكتب الرجال والدراية يجد في طياتها ما يوحى باستعمال المتقدمين لهذه الاصطلاحات، فلقد قالوا: بأن فلانا صحيح الحديث، وفلانا ضعيف في احاديثه وفلانا ثقة فيما يحدث به إلى غير ذلك مما

يؤكد انهم قد استعملوا هذه الاوصاف في تقريض الاحاديث والرجال ونقدهما، ولما جاء دور العلامة الحلي استعمل هذه المصطلحات ونسقها، ووضع كل واحد منها في المحل المناسب، ونظر إلى الحديث بلحاظ ذاته مع قطع النظر عن الملابسات والقرائن التي كانت تحيط به، وطبق هذا المبدأ على جميع المرويات المدونة في الكتب الاربعة وغيرها، والنتيجة الحتمية التي ينتهي إليها الباحث عندما ينظر إلى الحديث من حيث ذاته، هي وجود هذه الاصناف الاربعة في الكتب التي بنى الاخباريون على صحة جميع ما جاء فيها وغيرها، ولا يعني ذلك ان العلامة الحلي كان يتنكر للقرائن ولغيرها من الملابسات التي تؤكد صدور الحديث المنسوب إلى النبي أو الامام (ع) ولكنه يرى ان ذلك لا يجعله من قسم الصحيح، وان جاز الاخذ به والعمل بمقتضاه من غير ناحية السند، بينما نرى ان المتقدمين قد توسعوا في وصف الحديث بالصحة، واستعملوه في كل حديث اقترن بما يقتفي الاعتماد عليه، وان لم يكن صحيح بذاته، كوجوده في احد الاصول الاربعمائة، أو لانه محفوف ببعض القرائن، أو موافق لحكم العقل، أو للكتاب وللسنة القطعية، أو لوجوده في احد الكتب التي الفها احد الجماعة الذين اجمعوا على صحة ما صدر عنهم، أو لوجوده في احد الكتب التي عرضت على الائمة، ونالت استحسانهم، ككتاب عبيد الله الحلبي، المعروض على الامام الصادق (ع) وكتابي يونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان المعروضين على الحسن العسكري (ع) أو لكونه ماخوذا من احد الكتب التي شاع في عصر الائمة الاعتماد عليها والوثوق بها ككتاب الصلوة لحريز بن عبد الله السجستاني،

وكتب بني سعيد، وعلي بن مهزيار، وحفص بن غيات وغيرها من الكتب والمؤلفات في الحديث، مع العلم بان بعض مؤلفي هذه الكتب ليسوا من الامامية، والبعض الآخر كان منحرفا عن المذهب الامامي. ويرجع إلى غير الامام الشرعي، إلى غير ذلك من القرائن والمناسبات التي تؤكد صحة مضمون الخبر، وان لم يكن في نفسه وبلحاظ سنده مستوفيا لشرائط الصحيح التي يجب ان تتوفر في الرأوي حسب الاصول المقررة في علم الد راية (١). ومن ذلك تبين ان الصحيح في عرف المتقدمين يتسع لكل ما يجوز الاعتماد عليه، سواء كان ذلك لناحية السند أو لغيره من الاسباب التي ذكرناها فيدخل في ذلك الموثق، والحسن وحتى الضعيف المقترن ببعض القرائن، وما عدا ذلك فهو من نوع الضعيف الذي لا يجوز الاعتماد عليه بحال من الاحوال، ولعل الذي سهل للمتقدمين ان يتوسعوا في استعمال الصحيح إلى هذا الحد في حين ان كثيرا من الاخبار المقبولة لم تتوفر فيها عند المتأخرين القرائن التي تؤكد صحة مضمونها، لعل الذي سهل لهم ذلك قربهم من عصر الائمة (ع) واتصالهم بالطبقة التي اهتمت بتصفية الحديث، ووضعت الحواجز والسدود في طريق المنحرفين والمهتمين بالكذب على اهل البيت (ع) بالاضافة إلى ثقتهم باصحاب الاصول الاربعمائة ومؤلفاتهم واحاطتهم بالقرائن التي ترجح صدق الراوي وان لم يكن في نفسه من الممدوحين بالصدق والامانة، في حين ان اكثر هذه العوامل تد تلاشت بسبب بعد الزمان، وضياع اصول تلك المؤلفات التي دونها اصحابها واشرف على تصفيتها القيمون وغيرهم في الفترة الواقعة بعد النصف الاول من القرن الثاني إلى اواسط القرن الثالث.

---

(١) انظر ص ٥٤ و ٥٥ من العدة الطوسى، وانظر مقباس الهداية في علم الدرأية للمامقاني.

وكيف كان فقد عرف الصحيح جماعة من المؤلفين في علم الحديث كما نص على ذلك الشهيد الثاني في كتابه (البدإية في علم الدراية) بانه عبارة عن الحديث المتصل سنده بالمعصوم بواسطة الامامي العدل عن مثله في جميع الوسائط الواقعة بين المعصوم والراوي الاخير، فلو كان بين رواته واحد يفقد هذه الصفات، أو بعضها لا يتصف الحديث بالصحة، كما وانه لو انقطع السند مثلا، بان رواه خمسة واحدا عن واحد وكانوا من عدول الامامية، ولكن الراوي الاول عن الامام (ع) لم يذكر في سند الرواية لا تكون الرواية من نوع الصحيح كما يستفاد من هذا التعريف ومن تصريحاتهم. واضاف بمضهم قيدا اخر إلى تعريف الصحيح، وهو ان يكون الراوي ظابطا، اي متقنا، لان من لم يكن كذلك لا يحصل الوثوق باقواله ومروياته، ولكن اكثر المؤلفين في علم الدراية لم يعترضوا لهذا القيد، اعتمادا على ان اشتراط العدالة في الراوي يدل عليه بالملازمة، ذلك لان العادل إذا احس من نفسه النسيان إو السهو وعدم الاتقان يمتنع من تلقاء نفسه عن الرواية إذا لم يكن جازما ومطمئنا لما يرويه عن غيره، وافتراض غفلته وعدم التفاته إلى كثرة سهوه، ونسيانه هذا الافتراض وان كان ممكنا في ذاته، الا ان مصاديقه ان لم تكن معدومة فهي نادرة للغاية، وإذا بلغ الحال بالراوي إلى هذا الحد. لم يعد محلا للوثوق والاطمئنان عند عامة الناس، وتصبح مروياته بنظر العقلاء كغيرما من المرويات التي يجب التثيت فيها ان لم تكن اسوأ حالا منها. ونص جماعة على ان القسم الصحيح من الاحاديث يشتمل على ثلاثة مراتب اعلاها ان تثبت عدالة الرواة بالعلم أو بشهادة العدلين، ويدخل في هذه المرتبة، ما لو كانت صفة العدالة ثابتة لبعضهم بالعلم، وللبعض لآخر بشهادة العدلين. واوسطها ان يكون انصاف الراوي بالصفات المطلو بة بشهادة العدل

الواحد، الذي يحصل الوثوق والاطمئنان من شهادته، أو يكون اتصاف بعضهم بتلك الصفات بواسطة شهادة العدلين، والبعض للاخر بشهادة العدل الواحد. والمرتبة الثالثة، هي ان يتصف الراوي بالصفات المطلوبة بواسطة القواعد والاصول المعمول بها في موارد الشك وعدم العلم بالواقع، أو من دراسة تاريخ الرواة وتتبع احوالهم. ومع، ان الجعفريين حتى بعد تصنيف الحديث إلى الاصناف الاربعة يشترطون في الصحيح ان يكون جامعا للصفات التي ذكرناها، تراهم احيانا يتوسعون في اطلاقه على بعض المرويات اتي لم تتوفر فيها تلك الشروط، كمراسيل محمد بن ابي عميرة، وبعض الروايات التي يقتصر رواتها على بعض السند، ومن الجائز ان يكون وصف هذا النوع من المرويات بالصحة من حيث جواز العمل بها والاعتماد عليها بسبب القرائن المؤكدة لصدورها عن المعصوم (ع) لا لانها من الافراد الحقيقية للصحيح بمعناه المعروف بين المحدثين وعلماء الدراية. الصنف الثاني من اصناف الحديث (الحسن) وهو الحديث الذي يرويه الامامي الممدوح في دينه مدحا معتداً به عند العقلاء من غير ان ينص اصد على وثاقته، ولا على فسقه وانحرافه عن المذهب، ولا بد واذ يرويه الامامي الجامع لهذه الصفة عن امامي مثله إلى إذ ينتهي إلى النبي أو الامام (ع). الصنف الثالث (الموثق) وهو الحديث الذى يرويه المستقيم في دينه، المتمسك بعقيدته، المعروف بحسن السيرة والسلوك والصدق والامانة على شرط ان لا يكون اماميا سواء كان من الشيعة الذين انحرفوا عن المخطط الامامي، كالواقفية والفطحية والزيدية وغيرهم، ام

كان من غير الشيعة كاهل السنة وغيرهم من المذاهب الاخرى، وسواء كان جميع رواته من المخالفين للمذهب الامامي، ام كان بعضهم اماميا: والبعض الآخر عاميا، وقد نص المؤلفون في علم الدراية ان هذا النوع من الاحاديث اقوى من النوع الثاني ويقوم عليه لو تعارضا في مورد واحد. الصنف الرابع (الضعيف) وهو الفاقد للشروط المعتبرة في الاصناف الثلاثة الصحيح، والحسن والموثق بر ومن ذلك ما لو رواه من هو متصف بالفسق بر أو ببعض الصفات التي تشعر بعدم تو رعه عن الكذب ونحوه من المعاصي، أو كان جحميع رواته أو بعضهم من المجهولين الذين لم يتبين حالهم من حيث استقامتهم وسلامة عقيدتهم. ومجرد الانحراف عن العقيد ة الشيعية الصحيحة لا يوجب ضعف الحديث ما لم يقترن ببعض الصفات كالفسق، وعدم التورع عن الكذب ونحو ذلك مما يوحي بعدم الاطمئنان إليه، وقد ذكرنا ان غير الامامي إذا كان مستقيما في دينه ومعروفا بالصدق والامانة يصح الاعتماد على مروياته، ولها الافضلية على مرويات الامامي الممدوح الذي لم تثبت عدالته فيما لو تعارضت معها في مورد واحد (١). وتختلف مراتب الحديث الضعيف باختلاف الاسباب الموجبة لتضيعفه، فالذي يرويه المعروف بالفسق، أو الكذب من الامامية اسوأ حالا من الذي يرويه مجهول الحال والذي يرويه مجهول الحال من غيرهم اسوأ حالا مما يرويه المجهول منهم، وهكذا كلما كانت اسباب للضعف واضحة جلية لا تقبل المراجعة، كان الخبر ابعد عن الاعتبار واشد ضعفا، والاحل ذلك أيضا بالنسبة إلى الاصناف الثلاثة، فالذي يرويه العدل

(١) انظر مقابس الهداية في علم الدراية.

الامامي الفقيه الورع الضابط، اصح مما يرويه العدل الامامي الفاقد لبقية هذه الصفات، والحديث الحسن المروي بطريقين أو ثلاثة اقوى من المروي بطريق واحد وهكذا بالنسبة إلى الموثق، وربما يكون الحسن في مرتبة الصحيح، كما لو روي بطريقين أو اكثر، واقترن ببعض المرجحات، ومرد ذلك إلى قوة الاطمئنان بصحة الحديث والوثوق بصدور عن المعصوم في امثال هذه الموارد. ثم ان هذا التصنيف المنسوب إلى المتأخرين، لا يعني ان الاحاديث التي يصح العمل بها والاعتماد عليها في اثبات الاحكام وغيرها تنحصر في الاصناف الثلاثة الصحيح والحسن والموثق وغيرها يسقط عن الاعتبار مهما كان حاله، وانما هو لتمييز الاخبار الصالحة للعمل عن غيرها، مع قطع النظر عن القرائن والملابسات التي قد تجعل غير الصالح صالحا، والصحيح غير صالح، ولذا فان الفقهاء في كثير من المناسبات يتركون الصحيح، أو الموثق، ويأخذون بالضعيف المعارض لهما اعتمادا على القرائن الخارجة من الحديث، أو شهرة العمل به، أو لانه مروي عن طريق الجماعة الموثوقين عند المحدثين الذين لا يروون الا عن الثقاة كاصحاب الاجماع وغيرهم من اصحاب الائمة (ع) (١).

(١) اصحاب الاجماع هم الذين أجمع المحدثون والرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الائمة (ع) وهؤلاء ستة من اصحاب الباقر، وستة من اصحاب الامام الصادق (ع) وستة من أصحاب الامام موسى بن جعفر (ع) كما نص على ذلك الشيخ أبو عمرو الكشي في رجاله، فالستة من اصحاب الباقر زرارة بن اعين، ومعروف بن خربوذ وبريد العجلي،

وابو بصير الاسدي والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وألستة من اصحاب الصادق (ع) جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد أبى عثمان، وأبان بن عثمان، وألستة من اصحاب موسى، وحماد هم يونس بن عبد الرحمن، وصفوأن بن يحيى، ومحمد بن ابى عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب: واحمد بن محمد أبن ابي نصر.

---

[٤٨]

ومن مجموع ذلك تبين ان الفرق بين الصحيح في عرف المتقدمين، والصحيح عند المتأخرين، ان الصحيح عند المتقدمين هو الذي يصح العمل به والاعتماد عليه ولو لم يكن من حيث سنده مستوفيا للشروط التي ذكرناها والصحيح في عرف المتأخرين هو جامع لتلك الشروط، فتكون النسبة بينهما هي العموم المطلق كما نص على ذلك في مقباس الهداية نقلا عن فوائد الوحيد البهبهاني. وقد قسم علماء الدراية الحديث إلى اقسام كثيرة بالاضافة إلى الاصناف الاربعة السالفة، كالمعنعن، والمسند، والمتصل، والمعلق والمفرد والمدرج، والمشهور، والغريب، والمصحف والمرسل، والمقطوع، وغير ذلك، ولا يعنينا استقصاء جميع النواحي المتعلقة بهذا الموضوع.

---

[٤٩]

الحديث وأصنافه عند السنة لا يختلف الحال كثيرا بين المحدثين من سنيين وشيعيين من حيث تصنيف الحديث إلى اكثر من صنفين، مع إلاعتراف بان التقسيم الطبيعي للحديث الذي تنطوي فيه جميع الاقسام وتتفرع عنه جميع الاصناف، هو اما ان يكون مقبولا، أو مردودا، والمقبون يرادف الصحيح كما وان المردود يرادف الضعيف، ولكنهم مع ذالك اصطلحوا على تقسيمه إلى الاقسام الثلاثة التالية. الصحيح، والحسن، والضيف ى وبقية الفروع والمصطلحات تتفرع عن هذه الاصناف الثلاثة، وقد انهاها بعضهم إلى مائة نوع، كل نوع منها علم مستقل على حد تعبيرهم (١). والصحيح عندهم هو الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول الله (ص) أو إلى مصدره من صحابي أو من هو دونه على شريطة ان لا يكون شاذا ولا معللا. والشاذ ص الذي يرويه ثقة مقبول الحديث بنحو يكون مخالفا لما يرويه الثقات، كما نص على ذلك الحافظ بن حجر في شرح النخبة، والمعلل هو المشتمل على علة خفية تخدش في صحته.

---

(١) انظر علوم الحديث ومطلحاته ص ١٤٣.دراسات - ٤

---

[٥٠]

والتقسيم الاولي للصحيح لا يعدو هذين القسمين، الصحيح لذاته والصحيح لغيره فالصحيح لذاته هو الذي يتمتع رواته بافضل الصفات واكرمها، والصحيح لغيره هو المحكوم بصحته لامر خارج عنه كالحديث الحسن الذي يقترن بما يوجب صحته، أو بما يؤكد صدوره عن النبي (ص) أو غيره من الصحابة. ونص النووي في كتابه قواعد التحديث، ان للصحيح اقساما سبعة اعلاها ما اتفق عليه البخاري ومسلم، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما كان جامعا لشروطهما في الصحيح، وان لم يدوناه في صحاحهما، ثم ما كان على شرط البخاري في الرواية، وياتي من بعده ما كان على شرط مسلم،

والنوع الاخير ما صححه غيرهما من المؤلفين في الحديث. وقال ابن تيمية: ان اهل العلم قد اتفقوا على ان اصح الاحاديث ما رواه اهل المدينة ثم ما رواه اهل البصرة، ثم ما رواه اهل الشام وتجاهل اكثرهم مرويات الكوفيين، ووصفها بعضهم بكثرة الدغل وعدم السلامة من العلل، ولعل من ابرز اسباب هذا التنكر لمرويات الكوفيين هو التشيع الغالب على اهلها، والشيعة عند اكثر المحدثين من السنة مبتدعة وضاعون كذابون على حد تعبيرهم يغلب على حديثهم الدغل والخلل اما احاديث الشاميين فهي اصح من احاديثهم، لان رواتها قد تخرجوا من مدرسة معاوية وآل مروان الائمة البررة، وتلمذوا على ابي هريرة راوية الامويين وصنيعة معاوية بن ابي سفيان الحريص على مصلحة الاسلام، والمحتاط في امور الدين ومصالح المسلمين.

---

[٥١]

الحسن الحديث الحسن، هو الذي يتصل سنده بواسطة العدول واحدا عن واحد ولم يبلغوا درجة غيرهم من حيث الضبط والاتقان، ولا بد فيه بالاضافة إلى ذلك ان يسلم من الشذوذ والتعليل، وهو اما حسن لذاته، وبلا توسط امر خارج عن حقيقته، واما ان يستمد حسنه من امر خارج عنه، كما لو كان احد رواته مستورا لم تثبت اهليته أو عدمها، ولكنه لم يكن مغلا ولا متهما بالكذب، وبالاضافة إلى ذلك كان معتضدا برواية اخرى مماثلة له باللفظ، أو مؤيدة لمعناه (١) فالحديث في مثل هذه الحالة يستمد حسنه من الرواية المماثلة له، أو الرواية المؤيدة لمعناه. والمعروف بين المحدثين ان تصنيف إلحديث إلى الاصناف الثلاثة لم يكن قبل الترمذي المتوفي سنة ٢٧٩، ولما الف كتابه الجامع في الحديث صنفه إلى هذه الاصناف الثلاثة (٢). ويدعى بعض المؤلفين في الحديث، ان البخاري، وان لم يتعرض لهذا النوع من الحديث، الا انه قد اشار إليه واعتبره من افراد الصحيح الذي يصح العمل به والاعتماد عليه.

وتسمى المماثلة له با للفظ (بالمتابع)، والمؤيدة لمعناه بالشاهدة. (٢) الترمذي، هو محمد بن عيسى صاحب الجامع الكبير في الحديث. (*)

---

[٥٢]

الضعيف هو الحديث الذي لم تتوفر فيه الشروط التي ذكرناها في قسمي الصحيح والحسن، ومنه المرسل والمنقطع وغير ذلك من الاصناف الآتية ومع ان المرسل ليس حجة في الدين كما ينص على ذلك مسلم في مقدمة صحيحه، فأكثرهم يعتمدون على مراسيل الصحابة، ويحتجون بها، ذلك لان الصحابي على حد زعمهم إذا روئ حديثا لم يتيسر له سماعه من النبي (ص) فالراجح في حقه انه يرويه ص صحابي مثله، وسقوط الراوي الاول من سند الحديث لا يمنع من صحته ولا يجب البحث عن بقية السند، كما لا يجب البحث عن عدالة الصحابي، لان شرف الصحبة فوق جميع الاعتبارات والامتيازات. ونص السيوطي في كتابه التدريب. على ان في الصحيحين من مراسيل الصحابة ما لا يحصى، وان اكثر رواياتهما تنتهي إليهم، لانهما لم يرويا الا عن العدول، والصحابة فوق الشبهات والاهواء، واعلى مراتب المرسل عند المحدثين ما رواه صحابي ثبت سماعه، وياتي من بعده ما رواه صحابي رأى النبي (ص) ولم يثبت سماعه منه، ثم المخضرم وهو من عاصر النبي (ص) ولم يتمكن من لقائه والاجتماع به، ثم المتقن كسعيد بن المسيب وامثاله، ويلي

ذلك من كان يتحرى الافضل من الشيوخ، كالشعبي ومجاهد، ودون ذلا لي مراسيل من كان ياخذ عن كل احد كالحسن البصري وامثاله، ومن اصناف الضعيف (المنقطع)، وهو

من سقط من سنده واحد ا واكثر، أو كان بين رواته احد المبهمين (١) وهو اسوأ حالا من المرسل. ومن انواع الضعيف المعضل، وهو الحديث الذي سقط من سنده راويان فاكثر على سبيل التوالي ولذلك سمي بالمعضل. ومن انواعه المدلس، وهو الذي يرويه شخص عمن عاصره ولقيه، مع انه لم يسمع منه، وقد اشتهر جماعة من كبار الرواة بهذا الوصف، وتوقف جماعة في مروياتهم، كهشيم بن بشير بن اي حازم المتوفى سنة ١٨٣، وجاء عن الذهبي انه قال: لا نزاع في انه كان من الحفاظ ولكنه كان كثير التدليس، ومنهم سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨، روى عن جماعة من التابعين كالزهري، وزيد بن اسلم، وعمر بن دينار وغيرهم، ومع انه كان معدودا في طليعة المدلسين، كما يبدو من نصوصهم في علم الحديث فقد احتجوا بحديثه، واعتمدا عليه في امور الدين، ومنهم سليمان بن مهران المعروف بالاعمش، المتوفى سنة ١٤٨، وقتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري المتوفى سنة ١١٧، وهو من المعروفين بين المحدثين بالتدليس لانه روى عن جماعة لم يسمع منهم. ومنهم الحسن البصري، احد مشاهير التابعين، المتوفى سنة ١١٠، ونص الذهبي في ميزان الاعتدال على انه كان من قضاة الامويين، ومن المدلسين في الحديث. ومنهم عبد الرزاق الصنعافي المتوفى سنة ٢١١، والوليد بن مسلم الدمشقي وجاء عنه انه كان يدلس عن الكاذبين والموثوقين، توفي سنة ١٩٥ ومنهم سفيان الثوري، كما نص على ذلك المؤلفون في احوال المحدثين.

---

(١) المبهم هو الذي لم يعرف اصله ونسبه ولم تثبت عدالته.

وجاء في توضيح الافكار المجلد الاول ص ٣٥٣ و ٣٥٤، ان جميع هؤلاء الائمة المشاهير من رواة الصحيحين، ولذلك فقد اعتذر المحدثون عنهم بان تدليسهم يرجع إلى ابهام الراوي، ومثل ذلك لا يوجب تجريحهم بالكذب والاغراء ونحو ذلك مما يخل بوثاقتهم، وحاول بعضهم اخراج مرويات هؤلاء من التدليس، وادخالها في المرسل، وحجتهم في ذلك ان التدليس يختص بمن روى عمن لاقاه ولم يسمع منه، فان روى شخص عمن عاصره ولم يلتق به، فالرواية من المرسل (١). وقال الخطيب البغدادي في الكفاية، في معرض التفرقة بين المدلس والمرسل ان الراوي لو بين انه لم يسمع الحديث من الراوي الذي دلسه منه وكشف ذلك يصبح الحديث مرسلا غير مدلس فيه، لان الارسال لا يرافقه الابهام من طرف المرسل بانه قد سمع الحديث ممن لم يسمع منه، وانه قد التقى به، والتدليس الذي نقلناه عن هؤلاء يتضمن الارسال لا محالة، من حيث ان المدلسين قد امسكوا عن ذكر من دلسوا عنه، ويفترق هذا النوع عن المرسل من ناحية انهم ابهموا السماع ممن لم يسمعوا منه لا غير، ولم يظهر منهم ايهام السامع بانهم قد التقوا بالراوي وسمعوا منه، والذي يوهن الحديث المدلس فيه، ملازمة التدليس لايهام السامع انه قد سمع ممن لم يسمع منه، ولاجل ذلك ذم العلماء من دلس في الحديث، ولم يذموا من ارسله (٢). لقد حاول

المؤلفون في علم الحديث بهذا اللف والدوران تنقية اخبار الصحيحين من الضعف، ودفع جميع الشبه والشكوك التي تحوم حولهما ولو بالمغالطات والتحملات، حتى كأنهما من كتب الله المنزلة التي لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، مع العلم بان مؤلفيها من

---

(١) انظر علوم الحديث ص ١٨٣. (٢) الكفاية في علم الحديث الخطيب البغدادي ص ٣٥٧.

البشر الذين يخطئون ويصيبون كغيرهم من جميع بني الانسان الا من عصمه الله. ومن الجائز ان يكون منشأ اعتمادهما على مرويات هؤلاء المدلسين كما وصفهم بذلك علماء الحديث هو وثوقهما بها ولو من القرائن والملابسات الخارجة عن نطاق الحديث، والاعتذار عنهما بهذا الاسلوب ليس بعيدا عن المنطق، وفي الوقت ذاته بعيد عن الغلو والاسراف في تقديسهما، هذا بالاضافة إلى ان اعطاء تلك المرويات صفة الارسال لا ينفي عنها صفة الضعف لان المرسل من افراد الضعيف كما نص على ذلك المؤلفون في دراية الحديث. ومن اقسام الضعيف الحديث المعلل، وهو الذي ينطوي على علة تمنع من صحته، وان بدا سالما من العلل، واكثر ما يكون التعليل في الاسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا وحينئذ قد تدرك العلة بتفرد الراوي وبمخالفة غيره له مع قرائن تنضم إلى ذلك تنبه الناقد على وهم وقع من الراوي بان يرسل حديثا موصولا، أو يكون الحديث من نوع الموقوف، وهو في واقعه مما يسمى في عرف المحدثين بالمرفو ع، أو يكون مصدر العيب فيه دخول حديث في حديث، بنحو يغلب على ظن الراوي ان الحديث غير صحيح أو يتردد في صحته، ويستحسن من الراوي إذا روى حديثا معللا ان يذكر علته (١). ومن اقسامه المضطرب، وهو الذي يتعدد رواياته نجو تتساوى وتتعادل ولا يمكن ترجيح احدهما على للآخر بشئ من طرق الترجيح، ومنشا الضعف في هذا النوع ما يقع فيه من الاختلاف من ناحية حفظ رواته وضبطهم ومن امثلة ما جاء عن ابي بكر انه قال لرسول الله (ص):

---

(١) والمراد بالمعلل هو المشتمل على علة اي عيب يمنع من صحته، وان كان بظاهره يبدو سالما من العيوب.

أراك شبت يا رسول الله، قال: شيبتني هود وأخواتها رواه أبو اسحاق وحده، واختلفوا فيه على وجوه، فمنهم من رواه مرسلا، ورواه بعضهم موصولا، ورواه جماعة مسندا إلى اي بكر، واخرون اسندوه إلى عائشة، واسنده فريق الى سعد، وكل هؤلاء من الثقاة الذين لا يمكن ترجيح بعضهم على بعض وترك الباقي، والاضطراب في السند امارة على ضعف الحديث، لان تساوي الروايات في الدرجة وعدم تعارضها يمنع من الحكم بالاصح منها، وقد يحصل الاضطراب في متن الحديث كما لو اختلفت الروايات في متنه سواء اتفقت في سنده أو اختلفت فيه. ومن اقسامه المقلوب، وهو الذي يقدم الراوي فيه المتأخر، أو ياخر فيه المتقدم، أو يضع شيئا مكان شئ وقد ضعفوا هذا النوع من الاحاديث نظرا إلى إذ التقديم والتاخير يكشفان في الغالب عن عدم ضبط الراوي، وذلك قد يؤدي إلى عدم تفهم المراد من الحديث. ومن اقسامه الشاذ، والمنكر، والمتروك، والمراد من

الشاذ هو ما يرويه الثقة بنحو يختلف عن رواية غيره من الثقاة، أو لرواية غيره له ممن هو اولى منه بالقبول، والمراد من المنكر هو ما يرويه الضعيف بنحو يتعارض مع رواية الثقة الضابط، والمتروك هو الذي يرويه المتهم بالكذب أو من هو ظاهر الفسق، أو من غلبت عليه الغفلة والاوهام الباطلة إلى غير ذلك من انواع الضعيف واصنافه. وقد تبين من هذا العرض الموجز لاقسام الحديث ومراتبه، ان تقسيم الحديث وتصنيفه إلى هذه الاقسام والاصناف يلتقي فيها الطرفان السنة والشيعة في الغالب، وموارد الخلاف بينهما لا تزيد عن الخلافات الواقعة بين علماء المذهب الواحد في هذا الموضوع وغيره من المواضيع. والذي تجدر الاشارة إليه ان هذه العناية البالغة في الحديث واصنافه

---

[٥٧]

وحالا كان من الممكن الاستفادة منها إلى ابعد الحدود، لو تجرد الذين اهتموا بهذه المواضيع عن نزعاتهم واخذوا بالواقع الذي تفرضه الدراسة العلمية الواعية، وعرضوا الاحاديث سندا ومتنا على علمي الدراية والرجال عرضا عمليا بقصد تصفيته مما يسئ الى السنة، بل وحتى إلى الاسلام نفسه، واهتموا باحاديث الاحكام وغيرها مما هو مدون في مجاميع الحديث على علا نه ومصائبه، ولكنهم لم يوفقوا لذلك، فقد رافقتهم النزعات المور وثة في جميع المراحل التي مروا بها واهتموا بالاسانيد اكثر من اهتمامهم بالمتون، مع العلم بان الاخطار الناتجة عن متونها لا تقل عن اخطار الاسا نيد، واحتضنوا احاديث الاحكام تاركين غيرها من المرويات في مختلف المواضيع كأنها لا تعنيم، مع انها ان لم تكن اولى بالدراسة والتصفية من احاديث الاحكام، فليست تلك باولى منها ولا اكثر شمولا واعم نفعا، ذلك لان الدساسين والمرتزقة قد وجدوا متسعا لهم عن طريقها للوصول إلى ما يهدفون إليه وقد بلغ الحال بالوضاعين انهم كانوا إذا استحسنوا أمرا صيروه حديثا، كما نص على ذلك بعضهم، وحجتهم في ذلك انهم يضعون له لا عليه على حد تعبيرهم. هذا بالاضافة إلى ان الخلافات المذهبية قد استحوذت عليهم في الدراسات المتعلقة بهذه المواضيع منذ تدوين الحهديث إلى آخر مرحلة من المراحل التي مروا بها، فقد ظهر كل فريق بمظهر المدافع عن مروياته ومجاميعه لا بمظهر الناقد النزيه الذي يهمه ان ينتتي الجوهر من الحصى، وان يدفع عن الحق شبه المبطلين والمنحرفبن ولو كان الحق بجانب اخصامه ومنافسيه.

---

[٥٨]

العدالة لما كانت العدالة من الشروط الاولية للحديث الصحيح عند الفريقين السنة والشيعة، ولما كانت عدالة الصحابة من الامور المتفق عليها بين محدثي السنة، كان من المفروض ان نتعرض لهذين الموضوعين في هذه الدراسات حول الصحيح للبخاري، والكافي للكليني، ذلك لانهما لم يدونا في هذين الكتابين الا ما صح عندهما من المرويات في مختلف المواضيع، ولان البخاري اكثر ما يعتمد في صحيحه على مرويات الصحابة مهما كان حالهم، ولا يتردد في مروياتهم ولو كانت لا تنسجم مع اصول الاسلام ومبادئه، أو كانت عن طريق ابي سفيان، والحكم بن ابى العاص وامثالهما من اعداء الاسلام. والمراد من العدالة كما يظهر من موارد استعمالها عندهم، استقامة الراوي في امور الدين، وسلامته من الفسق، ومنافيات المروئة في جميع الحالات ونص الخطيب البغدادي في (الكفاية) على ان العدل من عرف باداء الفرائض، ولزوم ما أمر به، وتوقي ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحرى الحق

والواجب في افعاله ومعاملاته، والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، واضاف إلى ذلك. ان من كانت هذه حاله فهو الموصوف بانه عدل في دينه، واستدل على ذلك بقول النبي (ص). من عامل الناس فلم يظلمم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم

يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت اخوته، وحرمت غيبته. واكثرهم يفرق بين تعديل الراوي وتزكية الشاهد، فيكتفون في تعديله بشن اهد واحد، ح ويشترطون التعدد في التزكية، لانها نوع من الشمهادة التي لا بد فيها من التعدد. ويبدو من هذا النص وغيره من النصوص ان العدالة من الصفات القائمة بالنفس التي تعرف بآ ثارها كاداء االفرائض وتجنب المحرمات ومنافيات المروءة وغير ذلك مما يكشف غالبا عن وجود تلك القوة الدافعة على العمل بالواجبات وترك المحرمات، وتحري الحق والواجب في جميع الافعال والمعاملات، فلا بد والحالة هذه من تتبع احوال الراوي في اكثر حالاته ليصح الحكم عليه بالعدالة أو عدمها. وقال الدكور صبحي الصالح: ولا ريب ان العدالة شئ زائد على مجرد التظاهر بالدين والورع، لا تعرف الا بتتبع الافعال واختبار التصرفات لتكون صورة صادقة عن الراوي (١). ونص في المجلد الثاني من توضيح الافكار على انه لا فرق بين تزكية الراوي وتزكية الشاهد من حيث الاكتفاء بشاهد واحد، وايد ذلك القاضي ابوبص الباقلاني، واحتج لذلك، بان التعدد انما يجب في الشهادة، وتزكية الشاهد ليست شهادة (٢). ونص الشيخ عبد الصمد والد الشيخ البهائي احد اعلام الامامية في كتابه الوجيزة في دراية الحديث، ان عدالة الراوي وجرحه يثبتان

(١) انظر ص ١٣٣ من علوم الحديث. (٢) الباقلاني احد الشيوخ الذين انتهت إليهم زعامة المذهب الاشعري في النصف الثاني من القرن الرابع، توفي سنة ٤٠٣.

بشهادة عدل واحد عند الاكثر، ولو اجتمع الجارح والمعدل فالمشهور تقديم الجارح. كما وان اكثر النصوص الشيعية تؤكد ان العدالة صفة قائمة في النفس، وان الطريق إلى معرفتها هو فعل الواجبات وترك المحرمات، كما نص على ذلك العلامة الحلي واكثر من تأخر عنه، واضاف بعضهم إلى ذلك ترك ما يتنافى مع المروءة وان لم يكن بذاته من المحرمات، وفي مقابل ذلك نص جماعة على انها ليست شيئا آخر وراء فعل الواجبات وترك الحرام فمن فعل الواجب وترك الحرام كان عادلا، وان لم يكن ذلك ناتجا عن وجود صفة في النفس تدفعه إلى فعل الواجب وترك الحرام، وتشدد فريق ثالث في تحديدها، فقالوا: بأنها الاستقامة في امور الدين الناتجة عن الملكة القائمة في النفس، وفرعوا على ذلك بان من فعل الواجبات وترك جميع الكبائر إذا لم يكن ذلك منه بتأثير تلك القوة الدافعة على العمل والاطاعة لا يكون عادلا، واحتجوا لذلك ببعض المرويات عن الائمة (ع) وقد جاء فيها. ان العادل هو المعروف بالستر والعفاف، وكف البطن والفرج واليد واللسان، واجتناب الكبائر التي توعد الله عليها سبحانه بالنا ر: وهذه الصفات لا تجتمع في شخص ما لم يكن الخوف من الله مسيطرا عليه ومتأصلا في نفسه، وليست الملكة في واقعها غير الخوف والرجاء الدافعين على الطاعة والاستقامة في امور الدين. ومهما كان الحال فالظاهر ان الجميع متفقون على ان العدالة التي هي شرط في الشاهد وامام الجماعة والراوي وغير ذلك تترتب

اثارها إذا كان الانسان معروفا بالستر والعفاف وترك المعاصي، وفعل الواجبات سواء كانت من الامور القائمة بالنفس وهذه الامور كواشف عنها، ام

---

[٦١]

كانت هي العدالة الشرعية التي اعتبرها الشارع موضوعا للاثار المختلفة حسب المقامات، وتفسيرها بهذا المعنى ليس بعيدا عن ظاهر النصوص التي تعرضت لحا لها، وقد جاء في بعضها، صن عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن حرمت غيبته، وكملت مروءته وظهرت عدالته، وفي بعضها إذا كان ظاهر الانسان مامونا جازت شهادته، وليس عليك ان تسال عن باطنه إلى غير ذلك من النصوص التي تشير إلى ان العدالة ليست شيئا آخر ورا فعل الواجبات وترك المحرمات. وقد تعرض الفقهاء بمناسبة حديثهم عن العدالة ومنافياتها إلى تصنيف المعاصي إلى صغائر وكبائر ونص كه صرهم على ان الاصرار على الصغائر وعدم التوبة عنها من نوع الكبائر، لان الاصرار عليها يلازم الاستخفاف باوامر الله والامن من العقوبة، جاء عن الامام محمد الباقر (ع) ان الاصرار على الذنب امن من مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون، ونص اكثرهم على ان الكبيرة هي ما توعد الله عليه بالعذاب في كتابه وعلى لسان نبيه (ص) واعتمدوا في ذلك على رواية عبد العظيم ابن عبد الله الحسني عن ابي جعفر الجواد (ع) وجاء فيها ان عمرو بن عبيد دخل على الامام الباقر (ع) وبعد إذ استقر به المجلس تلا قوله تعالى: ان تجتنبوا كبائر الاثم والفواحش، ثم قال: احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله، قال أبو جعفر (ع): يا عمرو اكبر الكبائر الاشراك بالله، قال سبحا نه: ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، وبعده الياس من روح الله، لان الله يقول: لا ييائس من روح الله الا القوم الكافرون، ومضى الامام (ع) يعدد الكبائر التي نص عليها القرآن حتى عد اثنين وعشرين نوعا منها. وجاء عن الامام الرضا (ع) انها خمس وثلاثون نوعا، وعد منها

---

[٦٢]

قتل النفس، والزنا والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين. والفرار من الزحف. واكل مال اليتيم. ومعونة الظالمين والركون إليهم. والربا. وقذف المحصنات وغير ذلك من المحرمات المنصوص عليها في الكتاب والسنة وتقسيم المعاصي إلى الصغائر والكبائر. هذا التقسيم يمكن ان يكون نسبيا بمعنى ان كل معصية بالنسبة لما فوقها صغيرة، وبالنسبة لما هو دونها كبيرة فلو قلنا بذلك تصبح كل معصية من المعاصي صالحة للوصفين، ويكون الفاعل مستحقا للعقاب باعتبار كونه عاصيا مع قطع النظر عن نوع المعصية ووصفها، ويدل على ذلك قوله تعالى ! ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم، حيث ان الآية بظاهرها تنص على ان مطلق المعصية سبب لهذا الجزاء. ومما لا شك فيه ان عدالة الراوي تثبت بشاهدين عدلين بمقتضى الادلة الدالة على حجية البينة وقيامها مقام العلم في جميع موارد العمل بها، اما الشاهد الواحد، فقد نص اكثر الفقهاء على الاكتفاء به في تعديل الراوي، كما نص على ذلك الشيخ عبد الصمد في الوجيزة، والمامقاني في مقباس الهداية وغير هما، وفي مقابل ذلك لم يكتف بعض الفقهاء بالشاهد الواحد لان عدالة الراوي كغيرها من الموضوعات التي لا بد من احرازها بطريق العلم أو ما يقوم مقامه، وليس ذلك الا البينة التي تتألف من شاهدين. ورجح الشيخ الانصاري. الاكتفاء بكل ما يفيد الوثوق والاطمئنان بعدالته بما في ذلك العدل الواحد إذا حصل من شهادته الاطمئنان بها اعتمادا

على بعض النصوص التي لم تشترط اكثر من الوثوق والاطمئنان كقوله (ع) لا تصلي الا خلف من تثق بدينه وورعه، وقوله: إذا كان مأمونا جازت شهادته، ونحو ذلك مما يشير إلى ان المعول على الاطمئنان بالشاهد وامام الجماعة والراوي، سواء حصل ذلك من استقصاء حاله

مباشرة، أو من شهادة العدلين. أو العدل الواحد (١) واضاف إلى ذلك بعضهم ان الا قتصار على البينة في هذه المسالة يؤدي إلى الغاء كثير من المرويات، لعدم تيسر البينة على عدالة الراوي، لا سيما مع بعد المسافة بينه وبين الشاهد، على ان التعديل والتجريح الموجودين في كتب الرجال مبنيان على الحدس الذي لا يفيد الا الظن، والاكتفاء به يرجع إلى الاعتماد على الاطمئنان من اي طريق كان، وشهادة العدل الواحد لا تقصر احيانا عن افادة هذه المرتبة.

---

(١) انظر رسالة الشيخ مرتضى في العدالة

الفصل الثالث في الصحابة

الصحابي في اللغة مشتق من الصحبة، ويوصف بها كل من صحب غيره طالت المدة أو قصرت. وعند المحدثين، هو كل مسلم رأى رسول الله (ص) قال البخاري في صحيحه: من صحب رسول الله (ص) أو رآه من المسلمين فهو من اصحابه. وجاء عن احمد بن حنبل انه قال: افضل الناس بعد صحابة الرسول من البدريين كل من صحبه سنة أو شهرا، أو يوما، أو رآه، وله من الصحبة على قدر ما صحبه (١). ونص بعضهم على ان اصحاب الحديث يعطون ومف الصحبة لكل من روى عن النبي حديثا أو كلمة أو رآه، وممن صرح بذلك ابن حجر في المجلد الاول من الاصابة: واضاف إلى ذلك مؤمنا به، ثم قال: ويدخل في قولنا مؤمنا به، كل مكلف من الجن والانس ونص غيره على دخول الجن الذين آمنوا به في الصحابة ايضا (٢)، وفي مقابل ذلك يشترط بعضهم

---

(١) انظر الكفاية ص ٥١، وتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧. (٢) انظر المجلد الاول من الاصابة ص ١٠ و ١١.

في اعطاء المسلم وصف الصحبة، ان يقيم معه سنة أو سنتين، ويغزو معه غزوة أو غزوتين، كما جاء عن سعيد بن المسيب. ونص القاضى أبو بكر الباقلاني، على ان الصحبة لا يوصف بها الا من كثرت

صحبته، واتصل لقاؤه، ولا يجري هذا الوصف على من لقي النبي ساعة ومشى معه خطا، أو سمع منه حديثا (١) والرأي الشائع الذي يؤيده اكثرهم هو اعطاء هذا الوصف لكل من رأى النبي (ص) أو ولد في حياته، وعدوا محمد بن ابي بكر من الصحابة، مع انه ولد في حجة الوداع اخر ذي القعدة قبل وصول النبي (ص) إلى مكة في السنة العاشرة من الهجرة وقبل وفاته بثلاثة اشهر، وتتفاوت درجات الصحا بة عندهم فقد نص بعضهم انهم اثنا عشهر طبقة اعلاها السابقون إلى الاسلام من الطبقة الاولى، وادناها الذين ادركوه في حجة الوداع لا غير، وقد اجمعوأ على ان أفضلهم أبو بكر وعمر، وياتي من بعدهما عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (ع) ومن بعدهما الباقون من العشرة المبشرين بالجنة، ثم تتسلسل درجاتهم وطبقاتهم حسب تقدم اسلامهم، ومواقفهم من الجهاد والخدمات التي قدموها إلى الاسلام والرسو ل (ص) وتثبت الصحبة بالامور التالية. التواتر، والشهرة، والشياع الذي لم يبلغ حد التواتر، وبخبر الصحابي الواحد وخبر التابعي، ولو كان واحدا بناء على الرأى ا الراجح من كفاية الواحد في التزكية، (٢). ومهما كان الحال في تحديد المقصود من الصحابي حسب اصطلاحهم فلقد توسع المؤلفون.

---

(١) الكفاية ص ٥١. (٢) السنة قبل التدوين ص ٣٩ ٤ والاصابة ج / ١ ص ١٣ و ١٤.

في علمي الحديث والرجال في البحث عن الحديث واقسامه والرواة واحوالهم، درسوا احوال الرجال جيلا بعد جيل، حتى إذا تحققوا من احوال الراوي، وانه كان نقي السيرة صادق الايمان ضابطا متقنا أمينا، وصفوه بالوثاقة، ووصفوا مروياته بالصحة، وإذا وجدوا فيه ما يشعر بعدم الامانة في الحديث، أو عدم الاستقامة في الدين، وصفوه بما يتناسب مع حاله، وتركوا جميع مروياته، الا إذا اقترنت ببعض القرائن التي تؤكد صدورها عن النبي (ص) أو عن صحابته، ولو وجدوا له قادحا ومادحا وجارحا ومعدلا اخذ وا بالجارح وتركوا المادح والمعدل، وبهذه المناسبة يقول ابن الصلاح: إذا اجتمع في شخص جرح وتعديل، فالجرح مقدم لانه يخبر عما ظهر من حاله، والجارح يخبر عن باطن خفي على المعدل، فإذا كان عدد المعدلين اكر من عدد الجارحين، قبل تعين الاخذ بالتعديل، والصحيح الذى عليه الجمهور ان الجر ح اولى بالر عاية والاعتبار، ومع انهم احتاطوا في الاخذ بالحديث إلى هذا الحد، وضعوا الاصول والقواعد للتأكد من احوال الراوي وسلامة إلحديث مما يوجب عدم الاطمئنان بصحته، وطبقوا اصول علمي الدراية والرجال على جميع الرواة مهما بلغوا من العظمة والعلم والدين، مع انهم وخسعوا الجميع على اختلاف طبقاتهم ومكانتهم في قفص الاتهام، وبحثحوا عن احوالهم بتحفظ ودقة، وقفوا من الصحابة مكتوفي الايدي واعتبروهم من العدول الذين لا يجوز عليهم نقد أو تجريح وقالوا: (ان بساطهم قد طوي) على اختلاف طبقاتهم واعمارهم، واضافوا إلى لك ان جميع ما صدر عنهم من الغلط والانحراف والشذوذ لا يسلبهم صفة العدالة لان صحبتهم للنبي (ص) تكفر عنهم ما تقدم من ونوبهم وما تأخر، مهما بلغ شانها وتعاظم خطرها على حد تعبير الجمهور الاعظم من محدثي السنة ومؤلفيهم في هذه المواضيع، والذين خرجوا على هذا الرأي ولم يفرقوا بين الصحابة

وغيرهم لا يمثلون رأي السنة في هذه المسالة، بل تعرضوا لاعنف الهجمات وأسوأ الاتهامات المعادية من الجمهور الاعظم، الذين يقدسون كل من رأى النبي، أو سمع حديثه ولو كان طفلا صغيرا، ولعلنا بهذه الوقفة القصيرة مع الجمهور القائلين بان الصحابة لا يخضعون للنقد والتجريح وان جميع الشروط التي ينص عليها علم الدراية يجب ان تطبق على الراوي والرواية ما لم يكن الراوي لها صحابيا. لعلنا بهذه الوقفة معهم نستطيع ان نكشف عما يكمن وراء هذا الافراط في الغلو بجميع من اسموهم بالصحابة من الاخطار التى تسئ إلى السنة النبوية والى الاسلام نفسه الذي ألغى بخميع الامتيازات والاعتبارات التي لا تعكس جهات الخير والكرامة في الانسان واعتبر العمل الصالح هو المائز بين الطيب، والخبيث والصالح والفاسد مع العلم بان الكثير منهم قد اسرفوا في ارتكاب المعامي والمنكرات وخالفوا الضرورات من دين الاسلام.

---

[٧١]

عدالة الصحابة يدعى الجمهور من السنة، ان للصحبة شرفا عظيما يمنح المتصف بها امتيازا يجعله فوق مستوى الناس اجمعين، ولو باشر المنكرات، واسرف في المعاصي واتباع الشهوات، وينطلقون من هذا الغلو إلى انهم عدول مجتهدون في جميع ما صدر منهم. فمن اصاب في ارائه واعماله الواقع فله ثواب من أدرك الحق وعمل به، ومن أخطا فله أجر المجتهدين العارفين فعدالتهم ثابتة بتعديل الله لهم وثنائه عليهم على حد تعبير الغزالي في المستصفى، وعندما تنتهي الرواية إليهم يجب الوقوف عندها، وليس لاحد ان يطبق عليها اصول علم الدراية وقواعده، ولو كان الراوي لها مروان بن الحكم أو أبو سفيان أو غيرهما ممن وصفهم القرآن بالنفاق والرسول الكريم بالارتداد. قال ابن حجر ي المجلد الاول من الاصابة: اتفق أهل السنة على ان الجميع عدول، ولم يكخالف في ذلك الاشذاذ من المبتدعة، واضاف إلى ذلك ان عدالتم ثابتة بتعديل الله لهم، ونقل عن ابن حزم. بانهم جميعا عدول ومن أهل الجنة قطعا على حد تعبيره، ومن قال بانهم كغيرهم من الناس يتفاوتون بمقدار اعمالهم وخدماتهم وجهادهم فقد تعرض لاعنف الهجمات من جمهور أهل السنة. وقال الغزالي في المستصفى: والذي عليه السلف وجماهير الخلف ان عدالتهم معلومة بتعديل الله: عزوجل اياهم وثنائه عليهم في كتابه وهو

---

[٧٢]

معتقدنا فيهم الا ان يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لم يثبت، فلا حاجة لهم إلى التعديل، قال تعالى: كنتم خير امة اخرجت للناس ومضى يسرد الادلة على عدالتهم من الكتاب والسنة، واضاف إليها انه لو لم ترد النصوص القرا نية والنبوية بعدالتهم لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة والجهاد وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والاهل في موالا ة رسول ا لله (ص) ونصرته، لو لم ترد النصوص لكانت هذه النواحى كافية في عدالتهم، وبعد ان تعرض لبعضي الآراء التي تحملم مسؤولية اعمالم وتصرفاتهم المنسوبة إلى بعض اعيان المعتزلة وغيرهم، بعد ان عرضها قال: وكل هذه الاقوال جرأة على السلف، ومخالفة للسنة، واخيرا رجح الرأي الشائع بين فقهاء السنة ومحدثيهم فيما يتعلق بتصرفات الصحابة المنافية لاصول الاسلام وفروعه، الذي ينص على انهم مجتهدون في كل ما وقع منهم، فالمصيب منهم مأجور، والمخطئ معذور (١). ويؤكد البعض من السنة ان الصحابة كغيرهم من الرواة من حيث وجوب الفحص عن عدالتهم والتوثق منها (٢)،

وانصار هذا القول بين من يرى انهم كغيرهم من الناس، وان الصحبة لا ترفع من شان احد طالت ام قصرت، وبين من يدعى ان عدالتهم استمرت إلى ان وقع الخلاف بينهم، وباشروا الفتن وأراقوا الدماء، وتنافسوا على أمور الدنيا، ومنذ ذلك الحين اصبحوا كغيرهم معرضين للنقد والتجريح والتفسيق ولغير ذلك مما يجوز على جميع الناس، واسرف بعض المعتزلة اسرافا لا مبرر له في حكمه على تلك الفئات المتخاصمة، فذهب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى وجوب طرح الرواية إذا انتهت إليهم ولو كان الراوي لها عليا (ع)، لاحتمال ان يكون هو المبطل في خصومة لعائشة ورفيقيها،

---

(١) انظر المستصفى ص ٢٠٤ و ٢٠٥. (٢) القائلون بذلك لا يمثلون رأي الجمهور كما ذكر نا سابقا.

ولمعاوية وانصاره، كما يرى ذلك واصل بن عطاء، بينما يؤرد عمرو بن عبيد، الزعيم الثافي للمعتزلة بعد واصل انهم جميعا قد خرجوا عن العدالة ولا تصح شهادتهم على باقة بقل، على حد تعبيره. وجاء في الفرق بين للبغدادي. ان ابا الهذيل العلاف، والجاحظ، واكثر القدرية على رأي واصل بن عطاء في علي (ع) وطلحة والزبير وعا ئشة وغيرهم ممن اشترك في الحروب والخصومات في تلك الفترة من تاريخ الاسلام. ومهما كان الحال فالمحدثون والفقهاء من المنتسبين إلى المذاهب الاربعة الا ما شذ منهم متفقون على عدالة الصحابة وعدم التوقف في مروياتهم عن الرسول (ص) ورجحان الاقتداء بهم في امور الدين وغيرها، ولم يعرف الخلاف في ذلك الا من بعض المتأخرين، كالشيخ صالح مهدي المقبلي، المتوفى في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، والشيخ محمد عبدو، والشيخ رشيد رضا، وغيرهم، ولكن هؤلاء وان كانوا من اعلام السنة، ولكنهم لا يمثلون الا انفسهم في هذه المسالة. قال الاستاذ محمود أبو رية: وإذا كان الجمهور على ان الصحابة كلهم عدول، ولم يقبلوا الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة، واعتبروهم جميعا معصومين عن الخطا والسهو والنسيان، فان هناك كثير من المحققين لم ياخذوا بهذه العدالة المطلقة لجميع الصحابة، وانما قالوا: كما قال العلامة المقبلي: انها أغلبية لا عامة، وانه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو والهوى، ويؤيدون رأيهم بان الصحابة ان هم الا بشر يقع منهم ما يقع من غيرهم، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية، ويعززون حكمهم بما وقع، في عهده من المنافقين والكذابين وبما وقع بعده من الحروب والفتن والخصومات التي لا تزال اثارها إلى اليوم، وستبقى إلى ما بعد هذا اليوم (١).

---

(١) انظر الاضوأ ص ٣٢٢ و ٣٢٣، والمستصفى ص ١٠٥.

واستدل القائلون بعدالة الصحابة ببعض الآيات والاحاديث المروية عن النبي (ص) التي تثبت هذه الصفة لجميع الصحابة على حد زعمهم. فمن ذلك قوله تعالى في للآية من سورة الفتح: " محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوهم من اثر السجود، ذلك مثلهم في القرآن ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فا زره

فاستغلظ، فاستوى على سرقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ". وقال تعالى في سورة التوبة: " والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعدلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ". وقال في سورة الانفال: " والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله والذين اووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ". وقال في سورة الحشر: " للفقراء المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، اولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه، فا ولئك هم المفلحون، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ". وقال في سورة الفتح: " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا مبينا ". بهذه الا يات وغيرها مما اشتمل على مدحهم بالايمان والصدق

وعلى وعدهم بالمغفرة والجنان. التي اعدها الله للمؤمنين العاملين، قد استدل الجمهور من السنة على عدالة الصحابة وانهم فوق الشبهات والاهواء (وان بساطهم قد طوي) وليس لاحد ان يتردد في شئ من تصرفاتهم واعمالم على حد تعبير بعض المحد ثين من السنة والذي الا يمكن التنكر له، هو ان هذه الآيات ونظائرها تدل دلالة واضحة لا تقبل الجدل والتشكيك على ان لبعضهم من القداسة وعلو المنزلة ما ليس لاحد من الناس وبخاصة من اشترك معه في حروبه وغزواته، وضحى في سبيل تسك الدعوة بالمال والنفس والاولاد، واخلص له في السر والعلانية، هؤلاء لا يجحد فضلهم الا كل معاند لا يؤمن بيوم الحساب، اما ثبوت العدالة والقداسة لكل من راه أو سمع حديثه، أو ادرك عصره ولو طفلا صغيرا مهما صنع بعد ذلك من المنكرات واقترف من الذنوب والآثام كما جرى ذلك لكثير منهم، فهو نوع من التهويش والتضليل الذي لا يقره المنطق بل ولا العقل، ولا تؤيده تلك النصوص ولو من بعيد، ذلك لان من وصفهم الله بتلك الآيات بالشدة على الكفار والركوع والسجود والهجرة والجهاد وغير ذلك من الاوصاف لا ينكر احد فضلهم، ولا يتردد في عدالتهم، ومن المعلوم ان الذين عاصروا الرسول ورووا حديثه، بل وحتى الذين ناصروا دعوته لم تتوفر في اكثرهم تلك الصفأت التي اشتملت عليه الآيات الكريمة، بل من بينهم المنافق والفاسق والمتخاذل والمتستر بالاسلام خوفا أو طمعا، ومن ينتظر الفرص ويراقب الظروف ويهيئ المناسبات ليقوأ بدوره في وجه تلك الدعوة المباركة، ولو بالفتك بالرسول إذا اقتضى الامر، كما اشار القرآن نفسه إلى ذلك في بعض آياته، هذا بالاضافة إلى ان المتتبع لسير الحوادث، وتاريخ الصحابة في حياة الرسول وبعد وفاته لا يرتاب في ان الذين عاصروا الرسول بل وحتى الذين كانوا ألصق به من جيع الناس لم يلتزموا سيرته وسنته وساقتهم الاهواء إلى ممارسة ما استطاعوا من الملذات

والشهوات، لقد احبوا وكرهوا وخاصموا وانتقموا واستحل بعضهم دماء الاخرين في سبيل الجاه والسلطان. ان هؤلاء الذين ألبسوا جميع الصحابة ثياب القديسين واعطوهم صفات الانبياء المرسلين، قد ناقضوا انفسهم فصدقوا التاريخ فيما رواه من اعمالم الطيبة

ومواقفهم الخالدة، وكذبوه في غير ذلك من المرويات التي تصور لنا جشعهم وانهماكهم في المعاصي والمنكرات، مع العلم بأن التاريخ الذي روى لنا محاسن اخبارهم، روى لنا سيئات اعمالم بشكل اوثق واقرب إلى منطق الاحداث التي توالت خلال تلك الفترة من تاريخهم المشحون بالاحداث والمتناقضات، والتنافس على المال الحرام والجاه والسلطان. ومجمل القول، ان للآيات التي استدل بها، الجمهور على عدالة الصحابة لا يستفاد منها اكثر من التنويه بصضل من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه ابتغاء مرضاة الله وطمعا في ثوابه، كما يبدو ذلك بعد الرجوع إليها وملاحظة اسباب نزولها وملابساتها فالآية الاولى بمنطوقها تنص على ان جماعة من انصار النبي (ص) كانوا اشداء على الكفار رحماء بينهم، قد انصرفوا إلى العبادة حتى ظهرت آثار ذلك في جباههم ووجوههم، وهذه الصفات لم تتوفر الا في عدد محدود من الصحابة فضلاعن جميعهم. والآية الثانية لم تتعرض الا للسابقين في فعل الخيرات والطاعات وتفضيلهم على غيرهم من الكسالى والمقصرين، فهي من حيث مؤداها اشبه بقول الرسول (ص) من سن سنة حسنة كان له اجر من عمل بها: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر من عمل بها. وجاء عن جماعة من المفسرين، ان للآية تشير إلى من صلى مع النبي القبلتين، وقال آخرون: افا نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان،

وقال بعضهم انها فيمن اسلم قبل الحجرة، وعلى جميع التقادير فهي لا تفيد الجمهور، ولا تؤيد ادعائهم من قريب أو بعيد (١). والآية الثالثة، نزلت فيمن هاجر من مكة إلى المدينة، بعد ان هاجر الرسول إليها، كما جاء في مجمع البيان للطبرسي، وقد مدحهم الله سبحانه، لانهم هاجروا من ديارهم واوطانهم في مكة ولحقوا بالرسول (ص) إلى المدينة، كما مدح من اواهم ونصر الرسول ووصفهم بأنهم المؤمنون حقا، ولا يعارض احد من المسلمين في ان اولئك بهجرتهم، وهؤلاء بنصرتهم وتضحياتهم وايثارهم على انفسهم من المرضيين عند الله سبحانه بالنسبة إلى هذا الموقف الذي وفقوه مع النبي (ص) وهذا لا يمنع من صدور المخالفات الكثيرة من بعضهم التي توجب وصفهم بالنفاق أو الارتداد كما نصت على ذلك بعض المرويات، على ان الصفات التي اشتملت عليها الآية لم تتوفر في جميع الصحابة، كي تثبت لهم العدالة التي يدعيها الجمهور، وهكذا الحال بالنسبة إلى الآية من سورة الحشر، فان ثبوت الفضل للفقراء والمهاجرين، والذين تلقوهم ونصروهم واثروهم علي انفسهم، ولمن بايعه بيعة الرضوان، في مقابل هذه التضحيات، لا يلزم منه ثبوته لكل من رأى النبي أو روى عنه ولو حديثا، أو سمع منه كلمة (١). وقد استدل القائلون بعدالة الصحابة بالاضافة إلى تلك للآيات ببعض المرويات عن الرسول (ص)، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله (ص) قال: لا تسبوا احدا من اصحابي، فان احدكم لو انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احد ولا نصيفه. وروى الترمذي عنه في صحيحه انه قال: الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم، ومن ابغضهم فببغضي

(١) انظر أحكام القران للجصاص: ج ٣ ص ١٨٠ ومجمع البيان: ج ٣ تفسير سورة التوبة. (٢) انظر مجمع البيان وغيره من كتب التفسير ج ٥.

ابغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن اذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه. وجاء عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله قال النجوم آمنة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى اصحابي ما يوعدون، واصحابي آمنة لامتي فإذا ذهب اصحابي أتى امتي ما يوعدون. وجاء عنه (ص) انه قال: خير القرون قرني، ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم ثم يفشو الكذب. وقد أورد هذه المرويات الاستاذ محمد عجاج الخطيب في كتابه الستة قبل التدوين، كما استدل بها كل من نكلم عن الصحابة واحوالهم، واتنهى الاستاذ الخطيب من هذه المرويات إلى التنيجة التالية. فقال: وقد اجمعت الامة على عدالتهم جميعا الا افرادا معدودين اختلف في عدالتهم لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة، فلا يجوز لاحد ان يتعداهم خشية ان يخالف الكتاب والسنة الذين نصا على عدالتهم، وبعد تعديل رسول الله (ص) لهم لا يحتاج احد منهم إلى تعديل احد، واضاف إلى ذلك. على انه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم شئ في تعديلهم لوجب تعديلهم، لما كانوا عليه من دعم الدين والدفاع عنه، ومناصرتهم للرسول والهجرة إليه والجهاد بين يديه، وبذل المهج والاموال واخيرا اتتحل صفة الاجتهاد لهم، حيث لم يجد ما يعتذر به عن بعض تصرفاتهم وللمجتهد ان بصنع ما يشاء، ما دام يفعل بوحى من اجتهاده، حتى ولو خالف الضرورات، واستحل جميع المنكرات، كما وقع لكثير منهم. ومما ذكرنا تبين ان الجمهور القائلين بعدالة جميع من رأى النبي، أو سمع حديثه، لا يملكون الادلة الكافية، التي تغنيهم عن التعسف واللف والدوران لاثبات العدالة المزعومة، ذلك لان ما جاء

عن النبي (ص) من المرويات التي تدل على تمجيدهم، وعدم ايذائهم، وانهم امان لأهل الار ض، هذه المرويات لو صحت لا تدل على انهم قد بلغوا من الدين مبلغا يعصهم عن اتباع اهوائهم وشهواتهم، ويدفعهم إلى الامتثال واجتناب المحرمات، ومن، الجائز ان يكون الثناء عليهم بأعتبار ان صحبتهم لانبي والتفافهم حوله يشكل مجموعة متماسكة لحماية الاسلام من اخطار الغزو المرتقب في كل لحظة من داخل البلاد وخارجها، هذا التكتل باعتباره من مظاهر القوة التي تمكن سير الدعوة كان محبوبا لله سبحانه. مع قطع النظر من خصوصيات الافراد التي. تخص كل واحد من حيث تصرفاته وأعماله. هذا بالاضافة إلى ان حديث لا تسبوا اصحابي، واصحابي كالنجوم (١). هذا الحديث من حيث اشتماله على صيغة الجمع، لا يتعين للشمول والاستيعاب، بل يصح منه ولو بالنسبة إلى المخلصين في ولائهم العاملين بأوامر الله المتمسكين بسنته وسيرته، ولا ينكر احد وجود مجموعة كبيرة بين اتباعه، قد تفانوا في خدمة الاسلام، واخلصوا في اعمالهم وجهادهم طمعا في مرضات الله وثوابه، والحديثه ونظائره على تقدير صدوره من النبي لا بد وان يكون ناظرا إلى تلك الفئة من بين اتباعه، ومن غير المعقول ان يقصدهم النبي (ص) على جهة العموم، وهو المخاطب بتلك للآيات التي وصفت فريقا منهم بالنفاق والبغي وفريقا بالتآمر على حياته واحباط جميع مساعيه وجهوده التي بذلها في سبيل الدين، تثبيت دعائمه، من غير المعقول إذ يقصدهم جميعا من تلك النصوص، ويقف موقف المدافع عنهم المجامل لهم، والآيات الكثيرة تنادي. بنفاقهم، وتكشفهم على واقعهم كي لا يغتر بهم احد من اصحابه الطيبين، وحتى لا تكون الصحبة ستارا لاصحاب الشهوات والمطامع يستغلونها لاغراضهم ولكي لا تكون

---

(١) لقد ذكر هذا الحديث ابن القيم في الجزء الثاني من اعلام الموقعين: ونص على انه من الاحاديث الموضوعة (ص) ٢٢٣.

للصحابي تلك الحصانة التي تمنع من نقده وتجريحه. وقلما تخلو سورة من سور القران من التشهير بهم والتحذير من دسائسهم، وسميت سورة التوبة بالفاضحة، كما جاء عن عبد الله بن العباس لانها فضحتهم وكشفت عن واقعهم. وجاء عنه انه قال: ما زال القرآن ينزل بالمنافقين حتى خشينا ان لا يبقى احد امين من الصحابة. وسميت المبعثرة لانها تبعثر اسرار المنافقين وتبحث عنها، كف سميت البحوث، والمدمدمة والحافرة والمثيرة إلى غير ذلك من الاسماء التي تتناسب مع مضامين تلك السورة بكاملها (١). قال تعالى: في معرض التهديد والتوبيخ لله منافقين " لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ". وهذه للآية قد كشفت عن سوء نواياهم، واشارت إلى المخطط الذي تبنوه ضد الدعوة كما تشعر بعتاب الله للنبي (ص) حيث اذن لهم بالتخلف عنه في بعض غزواته كما توكد ذلك الآية التي بعدها. قال تعالى: " لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم للآخر، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون، ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عنه، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا،

---

(١) انظر مجمع البيان طبع صيدا / ج / ٣ وغيره من كتب التفسير.

ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة من قبل، وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ". فالآية المذكورة تنص بصراحة إلى ان بين صفوف الصحابة في المدينة وغيرها جماعة كانوا يسرون الغدر والنفاق، ويتربصون الظروف والمناسبات للفتك بالمسلمين وايقاع الفتنة بهم، وتضيف الآية إلى ذلك " ان هؤلاء حتى لو خرجوا معك الجهاد، لا تستفيدون من خروجهم شيئا يعود عليكم بالخير، لانهم يبيتون الفتنة والشر لكم وتنص الآية بالاضافة إلى ما ذكرنا، على ان لهم انصارا بين الذين خرجوا معك يتجسسون عليكم وينقلون إليهم اسراركم " وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين "، ويستفاد من مجموع ذلك ان النفاق كان متفشيا بين الصحابة والتنظيم السري، كان يشمل مجموعة ممن تظاهروا بالاسلام واشتركوا في غزوات الرسول ضد المشركين، وان الغاية منه كانت تستهدف القضاء على الاسلام والرجوع إلى تاليه الاصنام والاوثان، ولولا ان الله سبحانه قد أحاط تلك الدعوة المباركة بعنايته، وحفظها من مكرهم ودسائسهم واظهرهم على واقعهم، لولا ذلك كان من الميسور عليهم القضاء عليها بين عشية وضحاها. ولا احسب ان المتتبع لنصوص القرآن يتردد في هذه الحقيقة. قال تعالى: " ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا، وان جهنم لمحيطة بالكافرين، ان تصبك حسنة تسؤهم، وان تصبك سيئة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل، ويتولوا وهم فرحون ". وجاء في تفسير قوله الا في الفتنة سقطوا. انهم وقعوا في العصيان والكفر بمخالفتهم لك، وتخلفهم عن الجهاد معك. وقال مخاطبا لهم: " قل انفقوا ضوعا أو كرها لن يقبل منكم انكم دراسات - ٦

كنتم قوما فاسقين، وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى، ولا ينفقون الا وهم كارهون، ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ". نم عرض القران جانبا اخر من جوانب نفاقهم فقال سبحا نه. " ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضؤا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، ولو انهم رضوا بما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا إلى الله راجعون ". وجاء عن ابي عبد الله الصادق (ع) ان المعنيين بهذه لآية اكثر من ثلثي الناس ممن كانوا في عصر الرسول، واشارت بعض الآيات إلى فريق آخر من المنافقين. كانوا يتعمدون ايذاء النبي (ص) بما ألصقوا فيه من التهم الباطلة فقال: " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خيم ر لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم ". وجاء في اسباب نزولها ان جماعة من المسلمين قالوا في الرسول ما لا ينبغي، فقال رجل منهم: لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغ محمدا ما تقولون فيوقع بكم، فقال الجلاس بن سويد: بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول: فان محمدا اذن سامعة فانزل الله هذه الآية. وقال سبحانه في الآية ٦٢ وما بعدها: " لمجذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون، ولئن سألتهم ليقولن انا كنا نخوض ونلعب، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن: لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ".

وجاء في مجمع البيان وغيره من كتب التفسير في اسباب نزولها. ان اثني عشر رجلا من المسلمين وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله (ص) عند رجوعه من تبوك. فاخبر الله رسوله بذلك وامره ان يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم، وكان عمار بن ياسر يقود دابة رسول الله (ص) وحذيفة بن اليمان يسوقها فقال الرسول (ص) لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم. فلما نزل رسول الله (ص) قال لحذيفة: من عرفت من القوم ؟ قال لم اعرف منهم احدا: فعدهم رسول الله (ص) باسمائهم واحدا واحدا، فقال له حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم، فقال: اكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه قتلهم (١). وقال سبحانه: " يعتذرون اليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم، فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ". هذه الآيات نزلت في ثمانين رجلا من الاصحابة قد تخلفوا عن الخروج مع النبي (ص) إلى تبوك، فلما رجع منها فاتحا جاءوه يعتذرون عن تخلفهم عنه، فاخبره الله سبحانه بما انطوت عليه ضمائرهم، ونهاه ان يقبل معذرتهم لعلمه سبحانه بأنهم يسرون غير ما يظهرون، إلى غير ذلك من الآيات التي اشتملت عليها هذه السورة وغيرها كالحشر والمنافقين والانفال والاحزاب وغير ذلك من السور التي قلما تخلومن ذكرهم والتحذير من غدرهم ودسائسهم في داخل المدينة وخارجها. ومما يلتفت النظر ان المتآمرين قد انتشروا داخل المدينة وخارجها،

(١) انظر مجمع البيان ج / ٣ ص ٤٦، وقيل انها نزلت فيمن كان يسخر منه ويهزامن اخباره وتصرفاته.

وان نشاطهم قد تعدى حدود المدينة كما تدل على ذلك بعض لآيات الكريمة. قال سبحانه: " الاعراب أشد كفرا ونفاقا واجدر أن لا يعسوا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ". " ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ". ويبدو من مجموع ما ورد في القرآن بشأنهم ان الخطر منهم على الدعوة الاسلامية لم يكن باقل من المشركين الذين لم يخضعوا لسلطان الاسلام، ومن الجائز القريب ان يكون خطر المنافقين اشد وابلغ اثرا من اخطار غيرهم لانهم كانوا معهم وبين صفوفهم يراقبون جميع تصرفاتهم ويحصون عليهم انفاسهم: وقد اطمئن إليهم اكثر المسلمين، بل وحتى النبي (ص) لم يكن يعرف واقعهم، لولا الوحي الذي كان يكشفهم له بين حين وآخر، ولولا انهم كانوا يشكلون خطرا عظيما على الدعوة الاسلامية وعلى الرسول نفسه لما الح القرآن الكريم على التحذير مضم بتلك الاساليب المختلفة. ويؤيد ذلك ما جاء عن الامام الصادق الصدوق في تفسير الآية ٥٩ من سورة التوبة، ان المعنبين بها اكثر من ثلثي الناس، ولو كانوا قليلي العدد وليسوا من ذوي الشأن، ولا يملكون من الوسائل التي تمكنهم من تنفيذ مخططاتهم واهدافهم، إذا كانوا كذلك فهل يستحقون هذا الاهتمام البالغ الذي ظهر في كثير من الآيات والسرر وهل يحسن التحذير والتخويف ممن لا خطر منه ولا شان له ؟، ولماذا لم يتجاهل القرآن تلك الفئات الظالمة كما تجاهل اكثر العصاة ولم يتعرض إلى خطرهم على الدعوة ولو بآية تشير إليهم فن قريب أو بعيد. وتؤكد النصوص التاريخية: ان القرآن الكريم لم يقف هذا الموقف من الصحابة،

ولم يحدث عنهم بتلك القسوة بشتى الاساليب الا بعد ان تكتل فريق منهم بقصد الفتك بالرسول، واحباط مساعيه. تضامنا مع مشركي قريش وغيرهم من العرب، وما كان وقوف الاثني عشر رجلا الذين اشارت إليهم الآية ٦٤ من سورة برائة، في طريق الرسول للفتك به وهو راجع من غزوة تبوك الا احدى المحاولات التي تعاقد المتآمرون على تنفيذها، ومما لا شك فيه ان وراء هؤلاء الاثني عشر عدد كبير، كان ينتظر نجاح المؤامرة ليقوم كل بدوره المعدله، وقد بلغ الحال بالمنافقين انهم كانوا يسهلون للمشركين واليهود احتلال المدينة ليناصروهم على محمد (ص) كما تشير إلى ذلك الاية ١٤ من سورة الاحزاب. قال تعالى: " ولو دخلت عليهم من اقطارها، ثم سألوا الفتنة لأتوها، وما تلبثوا بها الا يسيرا ". وجاء في تفسيرها. لو دخل المشركون المدينة وطلبوا من المنافقين قتال المسلمين لاجابوهم إلى ذلك. وعن قتادة ان المقصود بالآية لو دخل المشركون إلى المدينة، وطلبوا من المنافقين الدخول معهم في الشرك لاسرعوا إلى اجابتهم. ومجمل القول ان هذه للآيات على كثرتها توحي بوجود مجموعة من المنافقين قد تستروا بالاسلام لها اثرها وفعاليتها كانت تعمل بالخفاء للقضاء على الدعوة الاسلامية ولو بالفتك بالرسول، أو باعلان العصيان والتمرد عليه داخل المدينة وخارجها، بعد ان عجزوا عن مقاومته مع صفوف المشركين في المعارك التي دارت بينهم وبينه ووترهم بابائهم وابنائهم وعشائرهم ومعتقداتهم واضطرهم إلى الاستسلام واطاح بامجادهم والغى جميع الامتيازات التي كانوا يتمعون بها،، ويتحكمون

بالضعفاء والفقراء بسببها هؤلاء بلا شك لم يخالط الايمان قلوبهم، بل اظهروا الاسلام خوفا وطمعا، وقد وصف الله قصة اسلامهم بقوله: " لا تقولوا آمنا بل قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ". ليس بغريب على من اسموهم بالصحابة ان لا يدخل الايمان في قلوب الكثيرين منهم وان يكون فيهم المنافق والصالح، والمطيع والعاصي والطيب والخبيث لانهم حديثوا عهد بالدين الجديد، الذي اقر الكثيرون به خوفا وطمعا، وارغمهم على الاستسلام حين لم يجدوا سبيلا للمقاومة، وفرض عليهم مبادئه واصوله في حين انهم ورثوا عن آبائهم واسلافهم ما لا يتفق مع تلك المبادئ واصول ذلك الدين الجديد، ليس بغريب ان يكونوا كما وصفهم القران، وكما نقل عنهم المحدثون والمؤرخون، لان النظر إلى النبي، أو سماع حديثه لا يغيران طبيعة الانسان، ولا يقتلعان منها نوازع الشر، انما الغريب ان يحكم جمهور السنة على كل من رآه أو سمع حديثه با لعدالة والاستقامة، مع وجود هذه الآيات على كثرتها التي وصفت مجموعة منهم بالنفاق، وعدم الايمان بالله وبمبادئ الاسلام واصوله وحذرت النبي من غدرهم ونفاقهم وكشفت عن واقعهم. ونحن لا نريد ان نطعن في جميع الصحابة، ولا ان نجحد فضل المجاهدين منهم والعاملين معه وبعده باخلاص لنشر الاسلام وتطبيق مبادئه واصوله، الذين اثروه طى اعز ما لديهم، واغلى ما يملكون وتسابقوا إلى الشهادة والموت في سبيله، انا لا نريد ذلك ولا نقر من يهاجم جميع الصحابة ويجحد فضلهم، ونعتبر ذلك اساءة للرسول نفسه وجحودا لنصوص القران الكريم الذي اشاد بفضل المجاهدين منهم في سبيل الله والعاملين باصوله وفروعه ووعدهم اجرا عظيما وجزاء كريما، وانما الذي نريده، انهم كغيرهم من المسلمين في مختلف العصور فيهم الصالح والطالح، والشقي والسعيد، والمؤمن والمنافق وهم في ايمانهم ونفاقهم

يتفاوتون، فمنهم من بلغ القمة في ايمانه واخلاصه وتضحياته، ومنهم من انحط إلى اسفل درك بسبب اسرافه في المنكرات والمعاصي، وبالرغم من ان التاريخ قد حاباهم فلقد سجل عليهم ما لا تقره الاديان والشرائع والاعراف في مختلف النواحي والمراحل التي مروا بها ولو اردنا ان نحصي تصرفاتهم التي لا يمكن ان تقرها الاديان بحال من الاحوال بل وحتى شريعة الغاب ولا يمكن افتراضها من نتائج الاجتهاد الذي يعذر فيه المجتهدون كما يحاول بعض الاعلام من السنة، لو اردنا ان نحصي عليهم تلك المخالفات الصريحة لنصوص القران لبلغت كتابا مستقلا، وقبل الحديث عن بعض تصرفاتهم لا بد من الاشارة إلى بعض النصوص التي تؤيد انحراف الكثير منهم في حياة الرسول وبعده عن المخطط الاسلامي الذي وضعه القرآن والرسول (ص)، كسا جاء في مجاميع الحديث الموثوقة عند السنة. فقد جاء في البخاري عن عبد الله بن العباس. ان النبي (ص) قال: انكم تحشرون حفاة عراة، وان اناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فاقول اصحابي اصحابي: فيقول: انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم، فاقول: كما ا قال العبد الصالح: وكنت عليم شهيدا ما دمت فيهم. وجاء فيه ايضا عن ابي هريرة، ان النبي (ص) قال: بينا انا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم: قلت إلى اين، قال إلى النار والله: قلت وما شأنهم ؟ قال: ارتدوا على ادبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل وقال هلم: قلت إلى اين: قال إلى النار والله: قلت

وما شأنهم قال: انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم (١). وجاء فيه ان

---

(١) وهمل النعم هي الابل الهاملة التي تتخلف عن السير مع القافلة، والمراد من ذلك انه لا يخلص من النار الا القليل.

النبي (ص) قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلؤن عن الحوض فاقول يا رب اصحابي. فيقول: انك لا علم لك بما احدثوا بعدك. انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى. وجاء في الصحيح للبخاري عن سهل بن سعد ان النبي (ص) قال: ليوردن علي اقوام اعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فاقول انهم مني، فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك، فاقول سحقا سحقا لمن غير وبدل. وجاء فيه عن عبد الله ان النبي (ص) قال: انا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول يا ربي اصحابي ! فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك. وروي عن اسماء بنت ابي بكر، ان النبي (ص) قال اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فاقول يا ربي مني ومن امتي فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم، إلى غير ذلك من المرويات في مجاميع الحديث عند السنة. والجدير بالذكر ان هذه المرويات لم تتعرض للمنافقين والمتامرين في عهد الرسول (ص) على سلامة الدعوة الاسلامية وعلى الرسول نفسه بصفته الحامل للوائها كما نصت على ذلك سورة التوبة وغيرها بل تعرضت لاصحابه من بعده وما سينتهي إليه امرهم من حيث خروجهم عن الجادة والمخط الذي وضعه لهم، وهي تصرح بانهم سيرتدون من بعده ويرجعون على اعقابهم إلى الوراء، اي إلى ما يشبه حالتهم قبل الاسلام وبذلك تكون قد اضافت مجموعة منهم إلى المجموعة التي تعرضت لها سورة التوبة وغيرها من سور القرآن وآياته، وبضميمة الذين وصفهم

بالارتداد إلى الفئة الاولى ينتج ان اكثر الصحابة قد خالفوا الرسول ولم يتبعوا سنته وسيرته، ومع ذلك فالجمهور من السنة يقفون منهم موقف المغالي، ويصفونهم بالعدالة والاستقامة والرسول يصفهم بالارتداد، ويقول (لا ينجو منهم الا مثل همل النعم)، وهم يقولون: بأنهم ناجون ولو خالفوا الضرورات واستحلوا المنكرات لانهم مجتهدون، والمجتهد مأجور على كل حال واذ تخطى الحق وتعمد الباطل وخالف الضرورات من دين الاسلام كما فعل العشرات منهم. وكيف يصح وصفهم بالعدالة، وفيهم من عاب على النبي (ص) تصرفه في الصدقات كما جاء في الاية من سورة المائدة، وفيهم من آذاه كما تنص على ذلك الآية من سورة البقرة، وفيهم من اتخذ مسجدا ضرارا وكفرا تفريقا بين المؤمنين كما تنص على ذلك الآية من سورة التوبة وفيهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وكانوا اكثر من ثمانين رجلا، وحلفوا له الايمان الكاذبة، كما نصت على ذلك اللآية. " يحلفون لكم لترضوا عنهم، فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين " وفيهم اربعة عشر رجلا تعاقدوا على اغتيال الرسول في ظلمات الليل، وفيهم من إذا اصابت الرسول حسنة تسؤهم، وان اصابته مصيبة سرتهم وفرحوا بها، إلى غير ذلك من الاصناف التي نص عليها القرآن، وفيهم من ارتدوا بعد موته وغيروا وبدلوا، ولم ينفذوا وصيته

في علي واهل بيته (ع) واذوا ابنته حتى ماتت وهى غضبى عليهم كما نص على ذلك البخاري في صحيحه، مع انهم سمعوه اكثر من مرة يقول، فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، وفيهم من أراقوا دماء المسلمين وخاضوا جميع الفتن، ومارسوا انواع الشهوات، وغرروا بزوجة النبي (ص) السيدة عائشة حتى قادت جيشا مع اهل الاهواء والاطماع لحرب امام المسلمين

وسيدهم علي (ع) فأراقوا الدماء ونهبوا الاموال وروعوا الآمنين واستباحوا الاعراض. وفيهم من قال، عندما تولى الخلافة قريبه عثمان: تلقفوها يا بني امية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب، وهو بعينه القائل لعلي (ع) حينما استولى أبو بكر على الخلافة: غلبكم على هذا الامر ارذل بيت في قريش، اما والله لأملانها عليه: خيلا ورجالا، فقال له علي (ع)، ما زلت عدوا للاسلام وأهله، فما ضر ذلك الاسلام وأهله شيئا (١). وفيهم من قتل مالك بن نويرة وعشيرته ودخل بزوجتة ساعة قتله، لانه امتنع من تسليم الزكوة لغير الحاكم الشرعي، وقد قال رسول الله (ص) الحدود تدرء بالشبهات، وقال الله تعالى: ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مسلما. وفيهم طريد رسول الله (ص) مروان بن الحكم وابوه واسرته الذين لم يؤمنوا بالله ورسله طرفة عين ابدا وقد لعنهم الرسول وحذر المسلمين من مكرهم ودسائسهم، وهم الذين استغلوا خلافة عثمان بن عفان، واستهتروا بجميع الحقوق والمقدسات حتى ضج المسلمون في مختلف الاقطار من تصرفاتهم، ولما رفض اقصاءهم عن الحكم، لم يجد المسلمون بدا من التخلص منه عن طريق القوة ! التي اودت بحياته، ولما

---

(١) انظر ص ٢٤٥ من الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع على هامش الاصابة لابن حجر ج ٢.

اتفق المسلمون في داخل المدينة وخارجها على الخليفة الشرقي علي (ع) وضاق عدله بفريق ممن اسموهم بالصحابة، تكتلوا بقيادة الشيخين طلحة والزبير للثورة ضد الحكم القائم، واغروا زوجة النبي على ان تزعم حركة للثورة ليضللوا بخروجها البسطاء والمغفلين، فعرضوها للهتك والخطر، وصانوا نساءهم بالرغم من تأكيد القرآن على صيانة نساء النبي، وحرص الرسول على ان يحفظه المسلمون في اهله ونسائه، وكان من نتيجة ذلك ان مروان بن الحكم نفسه تولى قتل طلحة بيده، لانه كان من المحرضين على قتل قريبه عثمان بن عفان، وجاء في بعض المرويات عنه انه قال لابان بن عثمان: قد كفيناك بعض قتلة ابيك (١). وروى البخاري في صحيحه ان ابن عمر جمع اهله وولده في وقعة الحرة: وامرهم ان لا يخلعوا بيعة يزيد بن معاوية، وروى لهم عن رسول الله انه قال: واني لا اعلم غدرا اعظم صن ان يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال (٢) واي غدر اعظم من الفتنة التي اثارتها عائشة وزميلاها طلحة والزبير، تلك الفتنة التي قتل فيها اكثر من ثلاثين الف مسلم كما تؤكد النصوص التاريخية الموثوق بها بعد ان بايعا عليا (ع) طالعين غير مكرهين، ومع ذلك فالصحابة كلهم عدول حتى مروان بن الحكم والاسرة الاموية لانهم عاصروا الرسول وسمعوا احاديثه، ويجب ان تتضاعف عدالة معاوية لانه من كتاب الوحي على حد زعم الاخباريين

من السنة، وكتاب الوحي كانوا ألصق بالرسول من غيرهم وأطول صحبة له من جميع الناس. وبينهم امثال كعب الاحبار ووهب بن منبه وغيرهما ممن كانوا يزودون بعض الصحابة بمقنرياتهم التي تسئ إلى الاسلام والسنة الكريمة

---

(١) أنظر الاستيعاب على هامش الاصابة لابن حجرص ٢١٤. (٢) انظر ج ١٦ من فتح الباري على صحيح البخاري ص ١٧٣.

وكان هؤلاء مصدرا ضخما لابي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وامثالهما. وجاء في المجلد السابع والعشرين من المنار للسيد رشيد رضا. ان كعب الاحبار كان من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام والعبادة لتقبل اقوالهم في الدين، وقد راجت دسائسه وانخدع به بعض الصحابة ورووا عنه وتناقلوا أقواله بدون اسناد إليه، واضاف إلى ذلك. وان شر رواة هذه الاسرائيليات، واشدهم تلبيسا وخداعا للمسلمين وهب بن منبه وكعب الاحبار، فلا تجد خرافة دخلت كتب التفسير والتاريخ الاسلامي في امور الخلق والتكوين والانبياء واقوالهم والفتن والساعة وللاخرة الا وهي منهما (١). هذان الرجلان وان لم يكونا من الصحابة لانهما دخلا في الاسلام بعد وفاة الرسول، (ص) ولكن الصحابة قد اعتمدوا عليهما فيما يتعلق بالمواضيع المذكورة، بل وحتى فيما يتعلق بتقريض بعض الاشخاص والبلدان ونسبوها إلى الرسول مباشرة، كما يبدو ذلك من مرويات ابي هريرة حينما التحق بمعاوية ووفر له اسباب الرفاهية والنعيم. وقد جاء عن كعب الاحبار انه التقى برجل، فسأله من اين هو ؟ فقال له: من اهل الشام، قال: لعلك من الجند الذي يدخل الجنة منه سبعون الفا بغير حساب ولا عذاب، قال له ومن هم ؟ قال: أهل دمشق قال: لست منهم، قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم كل يوم مرتين، قال ومن هم ؟ قال: اهل فلسطين. وروى عنه السيوطي في الجامع الصغير. انه قال: الشام صفوة الله

---

(١) ص ٥٤١ إلى ٧٨٣ من المجلد المذكور.

من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ومن دخلها فبرحمته. هذه المرويات وفي ها في فضل الشام وجندها واصحابها تؤكد عدالة معاوية ومن تبعه كعمرو بن العاص وولده عبد الله وابي هريرة ومروان وزمرته وغيرهم ممن انضم إلى معاوية من الصحابة وابنائهم، لان هؤلاء قد دخلوا الشام وسكنوها، ومن دخل الشام فقد دخل رحمة الله كما يدعي كعب الاحبار وتلامذته. ومنهم أبو هريرة الذي، روى عن الرسول (ص) انه ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان، فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها فان الله جعل دون الطعنة حجابا، فاصاب الحجاب ولم يصبها (١)، ولازم ذلك ان الانبياء جميعهم لم يسلموا من طعنة الشيطان حتى محمد ابن عبد الله (ص) فقد اصيب بتلك الطعنة وتأثر بها كغيره من الناس كما يقتضيه الاستثناء الذي اقتصر على مريم وابنها وكان أبو هريرة من صنائع معاوية، والمقربين إليه، وقد ولاه على المدينة وروى له ما يشاء في علي (ع) واتباعه، وجاء في شرح النهج. انه لما دخل العراق عام الجماعة دخل أبو هريرة

مسجد الكوفة، فلما اجتمع حوله الناس جثا على ركبتيه وضرب صلعته بيده مرارا، وقال يا إهل العراق تزعمون اني اكذب على رسول الله (ص) واحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله يقول: ان لكل نبي حرما، وان المدينة حرمي فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، ثم قال: واشهد بالله ان عليا احدث فيها (٢). وهو الذي وصف مسيرة الجيش الذي بعثه النبي (ص) إلى

---

(١) انظر البخاري ص ج ل. (٢) انظر شرح النهج ج ١ ص ٣٥٩.

البحرين بقيادة العلاء بن الحضرمي، وكان مؤلفا من اربعة الاف مقاتل، وفي ذلك يقول أبو هريرة. لقد ساروا حتى اتوا على خليج من البحر ما خاصة احد قبلهم، ولا يخوضه احد بعدهم، فاخذ العلاء بعنان فرسه وسار على وجه الماء فسار الجيش وراءه، فوالله ما ابتل لنا قدم ولا حافر، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة (١). وهو الذي روى كما جاء في الصحيحين للبخاري ومسلم، ان ملك الموت جاء إلى موسى، فقال له اجب ربك ! فلطمه موسى على عينه ففقأها، فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال له: انك ارسلتني إلى عبد لا يريد الموت ففقأ عيني، فرد الله عليه عينه، وقال له ارجع إلى عبدي. وقل له: ان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت بيدك من شعرة فانك تعيش بها سنة. وهو الذي روى إذ بني اسرائيل كانوا يتهمون موسى بعيب في جسمه، فنزل ذات يوم إلى الماء ليغتسل، ووضع ثوبه على حجر قريب منه، فاخذ الحجر الثوب وفر به، فخرج موسى من الماء في طلبه عاريا، والحجر يسير ومعه الثوب حتى وصل إلى اسواق المدينة، وموسى يجد في طلبه، ويقول: ثوبي حجر ثوبي حجر إلى غير ذلك من مروياته التى سنعرض قسما منها في الفصول الآتية، تلك المرويات التي لا يقرها العقل، ولا تتلائم مع واقع الاسلام البعيد عن الخرافات والاساطير والاوهام ولقد عرفه الصحابة الاولون، وادركوا خطره على السنة الكريمة من خلال مروياته التي كان يتلقاها من كعب الاحبار وغيره ويسندها إلى الرسول (ص) وقال له عمر بن الخطاب، كما جاء قي رواية ابن سعد في طبقاته:

---

(١) انظر الاصابة لابن حجر، والاستيعاب لابن عبد البر المطبوع على هامش الاصابة.

انك عدو الله والاسلام يا ابا هريرة، وقال فيه علي بن ابي طالب (ع): اكذب الناس على رسول الله (ص) أبو هريرة الدوسي (١). وجاء في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة. ان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، و، على بن ابي طالب (ع) كذبوا ابا هريرة في مروياته عن الرسول (ص) وفي كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر عن طاووس انه قال: كنت جالسا عند ابن عمر، فأتاه رجل فقال: إذ الوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا، فقال ابن عمر كذب أبو هريرة. وقد كذبه كل من الزبير بن العوام وابن مسعود وعائشة وغيرهم، ولذلك كان مقلا من الحديث في تلك الفترة من تاريخ الصحابة ولكنه وجد منفسا له ومجالا واسعا بعد اتصاله بالامويين وبخاصة بعد ان استتب الامر لمعاوية واصبح من المقربين إليه، ومعاوية يهمه اكثر من اي

شئ ان يجد إلى جانبه من يكيل له ولاسرته المدح والثناء، ويضع المطاعن في علي واسرته وينسبها إلى رسول الله (ص)، وللحديث النبوي اثره البالغ في تأييد الحكام وتبرير تصرفاتهم لانهم يحكمون ويتصرفون باسم الدين، ولان الخلافة امتداد لسلطة الرسول وحكومته. وقد بلغ من ولائه لمعاوية ان ولده ابا بردة قال: ان معاوية لم يغلق دوني بابا، ولم اقصده في حاجة الا قضيت لي بالغة ما بلغت (٢) ومنهم بسر بن ارطاة (٣) احد القواد البارزين في جيش معاوية، الذي كان مولعا في تقتيل المسلمين واستباحة اعراضهم وقد ارسله معاوية، بعد تحكيم

---

(١) انظر ص ٣٦٠ من ج ١ شرح النهج لابن ابى الحديد. (٢) انظر شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي لمحمود ابي رية ص ٤٣. (٣) عده في الاصابة من الصحابة، لانه ولد قبل وفاة الرسول بسنتين، كما جاء في رواية الواقدي ووصفه الدار قطني بالصحبة، ونص ابن يونس على انه صحابي " اخذ من الرسول حديثين. انظر المجلد الاول من الاصابة ص ١٥٢ ".

الحكمين بقيادة جيش من اهل الشام إلى مكة والمدينة واليمن وامره ان يقتل كل من يوالي عليا (ع) ولا يدين بولاء آل ابي سفيان، فقتل في طريقه كل متهم بالتشيع والولاء لاهل البيت، وخافه الناس، وقبل ان يدخل المدينة خرج منها أبو ايوب الانصاري، الوالي عليها من قبل علي (ع)، فدخلها بسر بن ارطاة بدون اية مقاومة، فصعد منبر الرسول في المسجد، وتوعد من كان فيها من المهاجرين والانصار وابنائهم بالقتل ان لم يبايعوا معاوية بن ابي سفيان، ثم قا ل: اما والله لولا ما عهد الي معاوية ما تركت في المدينة محتلما الا قتلته، وامر الناس بالبيعة لمعاوية، ومن تمنع عن ذلك امر بقتله، وارسل إلى بنى سلمة، وقال لهم: والله ما لكم عندي امان ولا اقبل منكم بيعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله الانصاري، فذهب جابر إلى ام سلمه زوجة النبي (ص) واستشارها بالامر وكان مما قاله لها: ان هذه البيعة التي يريدها لمعاوية بيعة ضلال، واخاف ان اقتل، فاشارت عليه ان يبايع كما اشارت على ولدها بذلك، ثم مضى يتتبع المهاجرين والانصار فمن لم يجده منهم هدم داره، ومضى إلى مكة ففعل فيها مثل ذلك، وفي طريقه إلى اليمن قتل جماعة من الابرياء، ولما انتهى إليها فر منها عبيدالله بن العباس وكان واليا لعلي فيها فقتل طفلين لعبيد الله وامهما تنظر اليهما وكان من تنيجة ذلك ان فقدت عقلها ورثتهما بالابيات التالية فرق لها القريب والبعيد. ها من احس بابنى اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف ها من احس بابني اللذين هما سمعي وعقلي فعقلي اليوم مختطف حدثت بسرا وما صدقت ما زعموا من قتلهم ومن الاثم الذي اقترفوا انحى على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الاثم يقترف. واغرى معاوية بسرا في يوم من صفين بمبارزة علي (ع)، وكان من ابطاله المبرزين، فلم يجد بسر بن ارطاة سبيلا للتهرب، ولما دنا من

على (ع) وحرك يده بالسيف، رمى بنفسه عن ظهر فرسه إلى ارض وكشف عورته كما صنع زميله ابن العاص من قبل، فصرت علي (ع) وجهه عنه ضاحكا، وبهذه المناسبة يقول بعض الشعراء لاهل الشام: افي كل يوم فارس تندبونه له عورة وسط العجاجة بادية يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية (١) ومنهم عمرو بن العاص

المستشار الأول لمعاوية الذي ساهم في جميع الفتن والحروب الدامية التي اثارها ابن هتد ضد علي (ع) لقاء مصر وخراجها مادام حيا، وتم له الاستيلاء على مصر بعد فشل مؤتمر التحكيم الذي انتجته معركة صفين، والتي لعب فيها ابن العاص دورا بارزا إلى جانب معاوية بن ابي سفيان، وكان يردد في مرضه الذي مات فيه لقد اصلحت من دنياي قليلا وافسدت من ديني كثيرا، فلو كان الذي اصلحت هو الذي افسدت، والذي افسدت هو الذي اصلحت لفزت، ولو كان ينفعي أن أطلب طلبت، ولو ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمختنق بين السماء والارض لاأرقى بيدين، وأهبط برجلين (٢). قال ذلك ابن النابغة وهو على فراش الموت حيث لا يجديه الندم، ولا تنفعه التوبة، وكيف يجديه ذلك وقد اراق الدماء واشعل الفتن، وافتعل لمعاوية المكائد والحيل، واغرى آلاف الناس بتلك الفتن العمياء التي تزعمها هو وسيده ابن ابي سفيان، وعانى المسلمون من آثارها المصائب والويلات زمنا طويلا، وقبل ذلك شاغب على عثمان واغرى الناس

---

(١) انظر الاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٣ وما بعدها وقد عده من الصحابة ومن الرواة عن الرسول (ص) جماعة منهم أبو الحسن الدارقطني وغيره. (٢) الاستيعاب ص ٥٠٥ و ٥٠٦ المطبوع مع الاصابة ج ٣.

بقتله، كما جاء في الاستيعاب وشرح النهج لابن ابي الحديد، والتحق بمعاوية بعد ان وجد ان عليا لا يشتري من بضاعته شيئا ولا يعتمد على امثاله من المنافقين، ولا يتخذ المضلين عضدا. تسعون عاما قضاها ابن النابغة بين الكفر والاسلام المزيف لم يخالط الايمان قلبه، ولم ينحرف عن الباطل طرفة عين ابدا ومع ذلك فهو من عدول الصحابة ومروياته الكثيرة تحتل الصدارة في صحيح شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري، وروى عنه البخاري في جملة ما رواه عنه انه سمع النبي (ص) يقول: آل ابي طالب ليسوا لي باولياء. ومنهم معاوية بن ابي سفيان المشهور باخلاصه وخدماته للاسلام والمسلمين والقائل لاهل العراق حينما دخل الكوفة ظافرا بعد ان تركها الخليفة الشرعي الحسن بن علي " ع ". والله ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا وتزكوا، واني لاعلم انكم تفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتامر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، والذي قال فيه الحسن البصري: لو لم يكن لمعاوية الا واحدة من ثلاثة لكفى. تأمره على الامة بغير مشورة منها ولا اختيار والحاقه زيادا بأبيه، وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر واكراه الناس على مبايعة ولده يزيد المستهتر في دين الله، وقتله لحجر بن عدي واصحابه البررة ظلما وعدوانا، فالويل له من حجر واصحابه. وقال فيه الفقيه الجليل سعيد ابن المسيب: قاتل الله معاوية كان اول من غير قضاء رسول الله (ص) وقد قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر (١). هذا بالاضافة الى تاريخه الحافل بالمنكرات والتنكر للقيم، ولجميع المبادئ التي جاء بها القرآن والرسول (ص) واي جريمة بقيت في نفس

---

(١) انظر شرح النهج وحلية الاولياء لابي نعيم ج ٣ ص ١٦٧.

معاوية، ولم يشبع منها نهمه وشرهه، لقد امضى شطرا من حياته مع ابيه يجاهدان ويعملان بكل ما لديهما من قوة لاطفاء نور الله، والقضاء على الدعوة الاسلامية التي جاء بها محمد بن عبد الله، ولم يدخلا في الاسلام الا بعد إذ وجدا ان لا مفر لهما من سيوف المسلمين، فنطقا بالشهادتين مرغمين، وتسترأ بالاسلام، وهما يكيدان له ويعملان في جو من السرية والتكتم مع المنافقين لتقويض دعائمه بمختلف الوسائل وكان الله لهما ولغيرهما بالمرصاد يخبر رسوله بما يسرون وما يعلنون وظن أبو سفيان ان الفرصة قد سنحت له بوفاة الرسول (ص)، وكان غائبا عن المدينة حين ذاك كما جاء في رواية ابي هريرة، ولما رجع وبلغه ان ابا بكر قام بالامر، قال أبو الفضيل يعني بذلك ابا بكر: اني لأرى فتقا لا يرأبه الا الدم (١) فجاء ليغري عليا بالحشود التي تؤيده ضد الحكم القائم على حد زعمه متخذأ من ذلك وسيلة للقضاء على رسالة محمد (ص) التي حاربها هو وزوجته واولاده من قبل، ولكن عليا الذي لا يفكر الا في مصلحة الاسلام، والذي وهب حياته وكل ما لديه في هذا السبيل، يدرك جيدا ما تنطوي عليه تلك العروض المغرية من رجل كابي سفيان ويرى من واجبه ان يكون الدعامة الاصيلة للاسلام، ايا كان الحاكم فرد عليه معلنا له رأيه فيه وفي امثاله الذين يبيتون الغدر والمكر والنفاق، فقال: انك يا ابا سفيان ما زلت تكيد للاسلام وتعاديه، واند تنوي من وراء ذالك الشر والغدر، فانطوى على نفسه هو وولده ومن على شاكلتهما من المنافقين يحز الالم تموسهم، ويكل الحقد قلوبهم، لا سيما والاسلام قد تغلب على حركة المرتدين واكتسح الامبراطوريتين الفارسية والرومانية في بضع سنوات ممدودات، ففقد أبو سفيان واسرته الامل في مقاومة الاسلام عن طريق الثورات الداخلية التي وضعها في حسابه، واتجه إلى العمل باسلوب جديد، فتملق إلى الخليفة الحاكم ليحتفظ لولده بمركز

---

(١) نفس المصدر السابق.

من مراكز الدولة لعلم ينفذون منه ولو في المستقبل إلى تحقيق شئ من اهدافهم المعادية للاسلام، وظل هو وولده يتملقون إلى الخليفة الثاني حتى ولاهما الشام وجهاتها على التعاقب، ولكنه استطاع بحكمته وحنكته ان يحدد تمرفاتهما وان يفرض عليهما هيبته طيلة حياته، ومع ذلك فقد بعثت هذه الولاية التي استمرت عشرين عاما الامل في نفس معاوية والاسرة الاموية في ان يصبح الحاكم المطلق في مستقبل حياته الذي يصدر الاوامر من على منبر الشام لجميع الاقطار وبالفعل بدأ هذا الامل يشع ويتسع في نفس معاوية ويسري في دمه وعروقه وبخاصة عندما انتهت الخلافة الاسلامية إلى قريبه عثمان فغمرت معاوية واباه نشوة الفرح، واستعاد الشيخ العجوز نشاطه، فخرج من وكره يدب على عصاه متجها إلى قبر حمزة بن عبد المطلب يرفسه برجله، وهو يقول: قم يا ابا عمارة ان الذي تقاتلنا عليه اصبح بيد صبياننا، ومن ثم انطلق به قائده نحو المسجد ليقول كلمته التي تنبع من اعماق قلبه، والغي كتمها طيلة هذه المدة خوفا من سطوة الاسلام، تلقفوها يا بني امية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب - قال ذلك: وهو يظن ان المسجد خال من كل انسان، الا من اسرته، ولولا ان عليا (ع) قد فأجاه بقوله: اعمى الله بصيرتك كما اعمى بصرك، لاظهر اكثر من ذلك مما تنطوي عليه نفسه الحاقدة المشركة ولكن صوت الحق الذي اخرس اسلافه في بدر والاحزاب زعزع كيانه، فلاذ بالفرار إلى وكره معتصما فيه حتى مضى إلى ربه، وفي اعماق نفسه لا جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب، وبقي الولد الطموح اميرا

على الشام يجد في تحقيق آماله وامانيه وتوالت الاحداث لمصلحته واستفاد من نقمة المسلمين على قريبه عثمان اكثر من اي انسان، فتقاعد عن نصرته، مع انه يملك من العدة والعدد ما يسهل عليه الخروج من تلك الازمة (لو انه) اسرع إلى نجدته منذ ان استغاث

به واستنصره ولكنه تجاهله وكان الامر لا يعنيه وجاء بعد ذلك يطالب بدمه متخذا من قميص لوثه بدماء حيوان وسيلة لتضليل أهل الشام واستجداء عطفهم ونجدتهم للمطالبة بدمه واغراهم بولايته الشرعية التي تخوله وحده ان يثأر للخليفة المقتول ظلما وعدوانا على حد زعمه وزعم الذين قادوا الثورة للبصرة في حين انهم كانوا يزودون الثائرين على عثمان بكل ما يضمن لهم النجاح والقضاء عليه. وتم له الاستيلاء على الحكم بالخداع والمكر واراقة الدماء وتبذير الاموال لشراء الخونة من اهل العراق وغيرهم، وظل نحوا من عشرين عاما يحكم باسم الدين ويداه تقطران من دماء الابرياء والصلحاء ومضى إلى ربه وهو يحث الجماهير ويشتري الضمائر بالاموال لينتقموا له من علي والطيبين من ذرية الرسول (ص) بدلا من الاستغفار والندم والتوبة وان كانت لا تجديه شيئا. ومن تتبع تاريخه واحصى تصرفاته لا يرتاب في انه كان يعمل بكل ما لديه من قوة للقضاء على الاسلام والرجوع إلى الجاهلية الاولى بكل مظاهرها واشكالها. وهو مع كل ذلك من عدول المسلمين ومجتهديهم المعذورين فيما صدر منهم، والمأجورين على جميع جرائمهم حتى في اغراء جعدة بنت الاشعث على قتل الحسن، ريحانة الرسول (ص)، وقتله الصحابي الجليل حجر بن عدي واصحابه البررة والحاقه زيادا بابيه وغير ذلك من جرائمه التي لا تحصى. وقد مضى الامويون طيلة حكمهم في محاربة الاسلام باحياء مظاهر الجاهلية بجميع اشكالها وحاول عبد الملك وولده هشام بن عبد الملك

التوهين من مقام النبي محمد (ص) عن طريق دعاتهما المنتشرين في انحاء البلاد، ويؤكد ذالك ما جاء في تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان. قال: كان الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك يفضل الخلافة على النبوة، ويقول: ما قامت السموات والارض الا بالخلافة، وان الخليفة عند الله افضل من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين، وإذا حاجه احد في ذلك قال: أخليفة أحدكم في إهله أكرم عليه إم رسوله إليهم، وكان عبد الملك إذا سمع ذلك اعجب به، واقتدى بالحاج من جاء بعده من العمال الاشداء كخالد القسرى عامل هاشم بن عبد الملك فقد كان يقول بمقالد: وخطب الناس في مكة، فقال: أيها الناس أيهما أعظم أخليفة الرجل على اهله ام رسوله إليهم ؟ يعرض به رسول اله (ص)، وقد بلغ الحال ببعض المتملقين إليهم ان احدهم وقف مرة ليخطب الناس فأخطأ في آية من القرآن، فوقف بعض المتملقين، وقال: لا يهولنك ايها الامير ما رأيت عاقلا قط حفظ القرآن انما يحفظه الحمقى من الرجال (١). ومهما كان الحال فمعاوية بصفة صخابيا مأجور على جميع اعماله، قال ابن كثير في كتابه " الباعث الحثيث ": واما ما شجر منهم بعد الرسول (ص) فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وان اخطأ ومأجور ايضا، واما المصيب فله اجران اثنان واضاف الى ذلك. ان ما ذهبت إليه المعتزلة من ان الصحابة كلهم عدول الامن قاتل عليه قول مردود ومرذول (٢). ومنهم سمرة بن جندب الصحابي صاحب النخلة ساومه النبي

(١) انظر ص ٢ ج ٢ تاريخ التمدن الاسلامي عن العقد الفريد والمسعودي وابن الاثير والاغانى. (٢) انظر ص ١٨٢ من الباعث الحثيث.

عليها بالجنة، فأبى ان يقبل شيئا من تلك العروض المغرية،، اصر على الدخول على الانصاري وايذائه، والنبي (ص) يستعطفه حرصا على حقه وصونا لكرامة الانصاري، ولما رأى النبي تعنته واصراره على ايذاء الانصاري، قال له: اذهب فاقلعها وارم بها وجهه، لا ضرر ولا ضرار في الاسلام. وكان سمرة من انصار المنحرفين عن علي (ع)، وخاض الفتن معهم، واشترك في جميع المخازي، المنكرات التي اظهرها معاوية، وجاء عن ابي هريرة انه قال لرجل من أهل البصرة: ما فعل سمرة بن جندب، قال انه حي يرزق قال أبو هريرة: ما احد احب الي طول حياة منه، لان رسول الله (ص) قان لي وله ولحذيفة اليمان: اخركم موتا في النار. وكان يتلذذ بقتل الابرياء، وجاء عنه انه قتل في البصرة ثمانية آلاف ممن لا يحل قتلهم في دين الله، ولما ضج أهلها من قسوته واستهتاره بالدماء قال لهم: واي بأس على المقتول، فمن كان من اهل الجنة عجلناه إليها، ومن كان من اهل النار مضى إلى مقره، وقتل من بنى سوار العدوي سبعة واربعين رجلا من حفاظ القرآن في يوم واحد، وحرض التابعين على الخروج لحرب الحسين بن علي (ع) وقتاله، واعطاه معاوية خمسمئة الف درهم مقابل ان ينسب إلى الرسول (ص) ان الآية " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله "، تعني ابن ملجم لانه قتل عليا (ع)، وان الاية " ومن الناس من يجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه: وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " نزلت في علي بن ابي طالب (ع) (١) الى غير ذلك من المنكرات التي ارتكبها ويكفيه ذما قول النبي (ص): انك رجل مضار ووقوفه الى جانب معاوية وتحريضه على قتل الحسين (ع)، ومع ذلك

(١) انظر لشرح النهج ج ١ ص ٣٦١ و ٣٦٣. *

فهو من عدول المسلمين، ومن المجتهدين المأجورين على جميع اعمالم. ومنهم المئات ممن كانوا يكيدون للاسلام، ويتعاطون جميع المعاصي والمنكرات على اختلاف انواعها، ومن اراد ان يتتبع اخبارهم ويحصي عليهم تصرفاتهم لا يكفيه مجلد خاص في هذا الموضوع. ونحن لا نريد من وراء ذلك انتقاص الصحابة، وانكار فضلهم، فان للصحبة شرفها وللعمل الصالح اجره ر وللجهاد فضله، وانما الذي أردناه ان الصحبة ليست من اسباب العصمة عن الذنوب، وان الاسلام قد نظر إلى الانسان من خلال اعماله وتصرفاته، لا من خلال امجاده والقابه واوصافه ولم يجعل لقرابة الدم والعرق ميزة فضلا عن الالقاب والصفات، نريد ان نقول لمن يشترطون عدالة الراوي، وتزكيته بشاهدين عدلين، ان جلال السنة ومكانتها من التشريع، واثرها في حفظ الثروة الاسلامية، كل ذلك يفرض علينا ان نتأكد من صحة الحديث ايا كان الراوي له، ولا يكفينا ان نتثبت من احوال الرواة، حتى إذا انتهينا إلى الصحابي الراوى للحديث، نقف امامه خاشعين واجمعين كانه قرآن منزل من غير ان تتأكد صحته ومن غير ان ننظر إلى متن الرواية نظرة فاحصة واعية ونعرضها على العقل والقرآن

واصول الاسلام.. ان هذا الغلو في تقدبس مرويات الصحابة، قد ادخل على السنة النبوية مجموعة من الخرافات والاحاديث المكذوبة، لا يزال المسلمون ينظرون إليها نظرة تقديس واحترام لان رواتها من الصحابة، وهي في واقعها وصمة على السنة، سلاح بيد اعداء الاسلام للهدم والتخريب، والتشنيع على المسلمين ومعتقداتهم ومن الغريب المؤسف ان يغالي السنة في الصحبة إلى حدالقول: بان يوما واحدا حضره معاوية بن هند مع رسول الله، خير من عمر بن عبد العزيز واهل بيته، مع العلم بان عمر بن عبد العزيز كان من خيرة الحكام في سيرته وسياسته وعدله وزهده.

---

[١٠٥]

لقد قال الشيعة بعصمة الائمة الاثني عشر فاقاموا الدنيا واقعدوها وقالوا هم بعصمة الالوف من البشر من حيث لا يشعرون، وإذا انكر عليهم الشيعة عدالة مروان وابيه الذي كان يحكي النبي في مشيته ساخرا ويدلع له لسانه ويغمز عسيه عينه. وعدالة معاوية وامثاله، وصفوهم بالرفض والغلو وغيرها من الاوصاف. وليست العصمة في حساب الشيعة الا ترك المعاصي على اختلاف اصنافها وفعل الواجبات، ليس ذلك بنظر العقل من المحالات، وتاريخ الائمة (ع) يؤكد ما يدعيه الشيعة فقد بذل اخصامهم السياسيون والمذهبيون اقصى ما لديم من تجهد في سبيل انتقاصهم فلم يستطيعوا ان يلصقوا بهم عيبا، أو تساهلا في واجب وانحرافا عن الحق. لقد انكر السنة عصمة علي (ع)، وقالوا بعدالة معاوية ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص وبسر بن ارطاة وغيرهم من العشرات الذين وصفهم القرآن بالنفاق معلنا بذلك في كثير من آياته وسوره، ووصفهم الرسول بالارتداد عن الدين والرجوع إلى جاهليتهم الاولى، وإذا جازت العدالة التي تشد الانسان إلى الله، وتحول بينه وبين انتهاك حرماته، إذا جازت على معاوية وابيه، ومروان وامثاله، فكيف يستسيغ اصحاب هذه الفرية ان يهاجموا من يذهب إلى عصمة علي (ع) القائل: والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بها تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت، والقائل إذ امرتكم لا تساوي نعلا بالية إذا لم تكن وسيلة لاحقاق الحق وازهاق الباطل، والى عصمة ابنائه الائمة الهداة الذين نهجوا نهجه، واتبعوا سيرة جدهم الاعظم، وحاربوا لظلم والظالمين، والطغاة والمتجبرين. واستهانوا في حياتهم في سبيل الله وخير الانسا نية. وهل العصمة الا الرجوع إلى الله سبحانه في جميع الامور صغيرها

---

[١٠٦]

وكبيرها وترك ما نهى الله عنه بنحو تكون هذه المرتبة من الايمان وكأنها طبيعة له تلازمه ملازمة الضوء للشمس والظل لذي الظل. وجاء عن الامام زين العابدين (ع) انه قال: لا يكون الامام منا الا معصوما، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف، قيل له فما معنى المعصوم قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، فالامام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الامام (١). وإذا كان مرد العصمة التي يدعيها الامامية لعلي والائمة من ذرية الرسول (ص) إلى هذا المعنى، فهل هي بنظر العقل والعادة من المحالات حتى تتعرض لتلك الهجمات العنيفة من جانب اهل السنة، مع العلم بانهم اثبتوها مصغرة لآلاف المسلمين بما فيهم الذين ساروا باتجاه معاكس لمبادئ الاسلام والقرآن طيلة حياتهم، ولولا ان الاسلابم قد تساهل في اطلاق لفد المسلم واعطاءه لكل من نطق بالشهادتين ولو بلسانه، لكان من الواجب اخراجهم من صفوف المسلمين حتى في التسمية. واعود لاكرر ان

الشيعة لا يستخفون بالصحابة جميعهم كما يدعي المهوشون والمضللون، ولا يخالفون قول ربهم وسنة نبيهم بالنسبة إليهم فيتبعون الصالحين الصادقين في ايمانهم، ويستخفون بمن عناهم الله سبحانه بقوله: ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين، ثم يردون إلى عذاب عظيم، وبمن عناهم الرسول بقوله: " ارتدوا على ادبارهم القهقرى، ولا يخلص منهم الا مثل هممل النعم " ولا يتخطون رأي ائمتهم في الصحابة وغيرهم من الناس على اختلاف اصنافهم واديانهم الذين نظروا إلى الناس من خلال اعمالم وآثارهم لا من خلال القابهم ووامجادهم.

---

(١) انظر مجمع البحرين مادة عصم. *

---

[١٠٧]

وقد جاء في عاء الامام زين العابدين الذي كان بدعوته للانبياء واتباعهم، ما يؤكد ان الائمة لم يترددوا في تعظيم الطيبين من الصحابة وتقديسهم. قال (ع) اللهم وصل على أصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، وابلوا البلاء الحسن في نصره، واسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث اسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الازواج والاولاد في اظهار كلمته، وقاتلوا الابناء والآباء في تثبيت دعوته وانتصروا به، وحتى كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنسى لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه يا ارحم الراحمين. هؤلاء الذين عناهم الامام بتلك الدعوات المباركات من بين من أسموهم بالصحابة ينظر الشيعة إليهم بكل تقديس وتقدير ولا يرتاب احد في عدالتهم واستقامتهم وولائهم للرسول ودعوته المباركة طيلة حياتهم وجهادهم المخلص لاحيائها وارساء قواعدها إلى ان فارقوا الدنيا بقلوب عامرة بالايمان ونفوس مطمئنة بما وعد الله به العاملين والمجاهدين.

---

[١٠٩]

الفصل ارابع البخاري وصحيحه بنظر المحدثين

---

[١١١]

هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري صاحب الصحيح المعروف (بصحيح البخاري). وجاء في ترجمته انه ولد في شوال سنة ١٩٤ ه، وتوفي في قرية تسمى (خرتنك) من بلاد سمرقند سنة ٢٥٦ ص في اليوم الاول من شوال، وهو من اصل فارسي يعتنق المجوسية واول من اسلم منهم جد أبيه المغيرة بواسطة اليمان الجعفي والي بخارى، وكان ولاؤه وولاء اولاده إليه، ولذلك فقد انتسب إليه فقال في نسبه: محمد بن اسماعيل أبو عبد الله الجعفي، فتكون نسبته إليه بالولاء لا بالنسب، وكان أبوه محدثا مات وهو صغير السن، وترك له مالا جليلا فنشأ محمد بن اسماعيل في حجر امه، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ الحديث فحفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما من مشاهير المحدثين في القرن الثاني، قبل ان يتجاوز السادسة

عشر من العمر ونشط في طلب الحديث وحفظه إلى ان نبغ في هذه الناحية وأصبح بنظر محدثي السنة من أوثق المحدثين واعرفهم فيه، وقضى شطرا من حياته يطلب الحديث حيث كان من بلد إلى بلد حتى جمع ستمئة الف حديث انتخب منها كتابه المعروف بصحيح البخاري كما جاء في اكثر كتب التراجم التي تعرضت لتاريخه.

---

[١١٢]

ونقل عنه بعض المحدثين انه قال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت وصليت ركعتين، وبقي ستة عشرة سنة يتتبع الاحاديث ويستقصيها حتى أتمه، وبلغ من ثقة المحدثين به ان أبا الحسن المقدسي كان يقول: كل من روى عنه البخاري في صحيحه فقد جاز القنطرة، اي لا بد ان تكون شروط الراوي بكاملها متوفرة فيه. وقال الخطيب البغدادي في ترجمة الامين ابي الهيثم، خالد بن احمد المتوفى سنة ٢٧٠ ه انه تولى امارة بخاري وسكنها وترك فيها آثارا محمودة واخذ الحديث عن ابن راهويه وغيره، وانفق قي طلب العلم اكثر من الف الف درهم، ولما استوطن بخارى وفد عليه حفاظ الحديث، فبسط يده بالاحسان إليهم، وطلب من محمد بن اسماعيل البخاري ان يلازم مجلسه، فامتنع عن ذلك واظهر الاستخفاف به، فاخرجه من بخارى إلى سمرقند فلم يزل بها حتى وافته المنية. وقال أبن العماد الحنبلي: ان البخاري قد نقل عن الف من العلماء، ولم ينقل الا عمن كان يقول: الايمان قول وعمل. وجاء عنه انه قان: الذي دفعني إلى تأليف الصحيح، هو اني رأيت النبي (ص) وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة اذب عنه، فسألت بعض الذين يتعاطون تفسير الاحلام عن تأويل ذلك، فقال: انك تذب عنه الكذب، فاتجهت إلى اختيار الصحاح من المرويات عنه (ص). وجاء عن الفريري. انه سمع محمد بن أبي حاتم البخاري الوراق يقول: رأيت محمد بن اسماعيل البخاري في المنام يمشي خلف النبي (ص) فكلما رفع النبي (ص) قدمه وضع البخاري قدمه في ذلك الموضع. واثنى عليه من ناحية احاطته بعلم الحديث واستخراج الصحيح منه جماعة من المحدثين ثناء بالغا، فقد روى حمدون الاعمشي. انه رأى محمد

---

[١١٣]

ابن اسماعيل البخاري في جنازة ابي عثمان سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى يسأله عن الاسامي والكنى والعلل، فيمر عليها محمد بن اسماعيل كالسهم كأنه يقرأ قل هو الله أحد. وقال فيه احمد بن حنبل ما اخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل البخاري. وجاء عن محمد بن يوسف الفريري انه قال: لقد سمع كتاب الصحيح من محمد بن اسماعيل تسعون الف رجل، وما بقي احد يروي عنه غيري. وقال محمود بن عمر العقيلي: لما ألف البخاري كتابه الصحيح عرضه على احمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المدني وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة الا في اربعة احاديث قال العقيلي والقول فيها قول البخاري. وجاء في هدى الساري للعسقلاني. ان الاسماعيلي في المدخل قال: بعد ان اثنى على صحيح البخاري وبالبر في الثناء عليه، ونحا نحوه في التصنيف جماعة منهم الحسن بن علي الحلواني، ومنهم أبو داود السجستاني وكان معاصرا له، ومنهم مسلم بن الحجاج، فرام مرامه واخذ عنه وعن كتبه، الا انه لم يضايق نفسه مضايقة ابي عبد الله البخاري، وروى عن جماعة لم يعترض لهم البخاري. وقال الحاكم أبو احمد النيسابوري: رحم الله محمد بن اسماعيل فانه ألف اصول الاحكام من الاحاديث. وبين للناس، وكل من جاء بعده فقد اخذ من

كتابه كمسلم بن الحجاج وغيره. وقال الدارقطني: لولا البخاري لما ذهب مسلم وما جاء، واضاف

إلى ذلك، واي شئ صنع مسلم انما اخذ كتاب البخاري فعمل عليه وزاد فيه بعض الزيادات. ونص على ذلك القرطبي في كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم، وبعد ان استعرض ابن حجر في مقدمة فتح الباري آراء المحدثين والعلماء في صحيح البخاري، وسرد الجهات المؤدية إلى تفضيله على صحيح مسلم وتجميع كتب الحديث، اخذ في بيان الخصائص والكرامات التي امتاز بها صحيح البخاري، ونقل عن ابي احمد بن ابي حمزة انه قال: قال لى بعض السادات المقر لهم بالفضل: ان صحيح البخاري ما قرئ في شدة الا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرق. وجاء في المقدمة. ان البخاري قد فقد بصره في حداثة سنه وذهبت عيناه، فرأت والدته ابراهيم الخليل في المنام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره، فاصبح وقد رد الله عليه بصره، وكان بعد ذلك يكتب في الليالي المقمرة واورد من فضائله وكراماته حيا وميتا ما لم يثبت مثله للانبياء والمقربين (١). ومن امثلة ذلك، أن النبي (ص) قد امر الناس بتدريس كتاب البخاري. وروي عن ابي زيد المروزي ان النبي (ص) جاءه وهو نائم بين الركن والمقام، فقال له: إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي قلت: يا رسول الله وما كتابك ؟ قال جامع محمد بن اسماعيل. وجاء في المقدمة ايضا ان الروائح العطرة الطيبة كانت تفوح من قبره بعد ان وضع فيه واستمرت زمنا طويلا بعد دفنه، مما ادى إلى ازدحام الناس حول قبره لياخذوا من ترابه العطر الفواح، ولم يمتنعوا عنه الا بعد ان احيط بحاجز يحول بين الناس وبينه، وعد من كراماته انه كان يحفظ ستمئة الف حديث، وانه كان يحفظ كل ما يسمع وما يتلى عليه لاول مرة، ويمر بالكتاب مرة واحدة من اوله لآخره فيحفظه بالغا

(١) انظر مقدمة فتح الباري الجزء الاول والثاني.

ما بلغ، وانه وفد على البصرة، وهو غلام ليسمع الحديث، فذهب مع جماعة إلى مشايخ البصرة ومحدثيها، وكلهم يكتب ما يتلى عليه، الا هو فانه كان يستمع ولا يكتب، وفي خلال خمسة عشر يوما دون اصحابه خمسة عشر الف حديث، ولما لاموه على عدم الكتابة، اعاد عليهم كل ما سمعه وسمعوه، مما اضطرهم ان يعرضوا ما دونوه على محفوظاته (١). ومن تتبع ما قيل فيه. وما نسب إليه، يجد ان اتباعه قد غالوا في تقديسه وتعظيمه حتى خرجوا بذلك عن الحد المألوف ووضعوه في مستوى الاساطير، وكلمة المقدسي وحدها، " كل من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة " التي تعبر عن رأي الجمهور فيه، هذه الكلمة وحدها تكفي للتعبير عن غلوهم المتطرف فيه، ولو نزهوه عن هذه المبالغات والمقالات، وتركوه لآثاره ومؤلفاته، التي توفيه حقه كاملا غير منقوص لو فعلوا ذلك لابعدوا عنه وعن صحيحه الطعون المسددة التي وجهها ويوجهها لهما كل باحث منصف ينشد الحقيقة مجردا عن جميع العوامل والمؤثرات ى ولكنهم لما أبوا الا ان يجعلوه ثاني القرآن، أبى الباحثون المنصفون الا ان ينظروا إلى البخاري. كمحدث اجتهد في جميع الحديث وتدوينه يخطئ ويصيب، والى كتابه كغيره من مجاميع الحديث التي جمعت الغث والسمين، والصحيح والفاسد.

(١) انظر ص ٢٥١ وما بعدها من الجزء الثاني مقدمة فتح الباري وانظر شذرات الذهب ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥. (*)

الصحيح بنظر العلماء والمحدثين الظاهر ان المحدثين من السنة متفقون على ان محمد بن اسماعيل البخاري اول من تطوع لتمييز الصحيح عن غيره، بعد ان كانت الطبقة الاولى التي دونت الحديث لا يعنيها من امره الا جمع حديث الرسول وأقوال الصحابة واقضيتهم من غير ترتيب وتبويب، وجائت الطبقة الثانية فوزغته على الابواب الفقهية ووضعت كل حديث في المحل المناسب له، فكان البخاري مجددا في الطريقة التي سلكها، ومهد لمن الف من بعده كمسلم بن الحجاج، وابن ماجة المتوفى ٢٧٣ هـ، وابي داود المتوفى ٢٧٥ هـ، والترمذي المتوفى ٢٧٩ هـ، والنسائي المتوفى ٣٠٣ هـ. وقال ابن كهير في الباعث الحثيث: اول من اعتنى بجمع الحديث الصحيح محمد بن اسماعيل، وتلاه تلميذه وصاحبه مسلم بن الجاج النيسابوري فهما اصح كتب الحديث، والبخاري ارجح منه، لانه اشترط في كتابه هذا ان يكون قد عاصر شيخه وثبت عنده سماعه منه، واكتفى مسلم بالمعاصرة ولو لم يسمع منه (١).

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٢٥ وجاء في ص ٣٠ من المجلد الاول من هدى الساري عن ابي المعمر المبارك بن احمد ان شرط الصحيح عند البخاري ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الاثبات ويكون اسناده متصلا غير مقطوع وان كان للصحابي راويان فصاعدا فحسن، وان لم يكن الا راو واحد وصح الطريق إليه كفى، واضاف الى ذلك أبو بكر الحازمي ان يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ضابطا سليم الذهن والاعتقاد.

وجاء عنه انه استخرج كتابه الصحيح من ستمئة الف حديث، وانه كان يحفظ مائة الف حديث من الصحاح، ومائتي الف من غيرها. وقال جماعة: ان اصح الاحاديث ما في الصحيحين، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ويأتي بعد ذلك المرويات على شرطهما في صحة الحديث، وهي التي تكون جامعة للشروط المعتبرة عندهما وياتي في المرتبة الاخرة ما كان من المرويات على شرط احدهما. ولما ألف الاحافظ أبو الفرج الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ كتابه الموضوعات لم ينتقد البخاري الا في حديث واحد، فجاء العلماء من بعده فاقروا اكثر ما اورده في كتابه الا ما يتعلق بانتقاده البخاري ومسلما (١). وقال السيد رشيد رضا: ان احاديث الجامع الصحيح للبخاري في جملتها اصح في صناعة الحديث وتحري الصحيح من كل ما جمع في الدفاتر من كتب الحديث، ويليه في ذلك صحيح مسلم، واضاف إلى ذلك ويوجد في غيرهما من دواوين السنة احاديث اصح من بعض ما فيها، وما روي من رفض البخاري لمئات الالوف من الاحاديث التي كانت تروى يؤيد ذلك، فنفوا ما نفوا ليتقوا الصحاح الثابتة (٢). وجاء في التعليقة على الباعث الحثيث. الحق الذي لا مرية فيه عند اهل العلم بالحديث من المحققين ومن اهتدى بهديم وتبعهم على بصيرة من الامر، ان احاديث الصحيحين كلها صحيصه ليس في واحد منها مطعن، أو ضعف، وانما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الاحاديث على معنى ان ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد

(١) انظر ص ١٤٠ من السنة للدكتور السباعي. (٢) الاضواء على السنة ص ٢٥٢.

منهم في كتابه، واما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف فيها احد، فلا يهولنك ارجاف المرجفين: وزعم الزاعمين ان في الصحيحين احاديث غير صحيحة (١). ويبدو من تتبع آراء المحدثين والفقهاء في الصحيح للبخاري ان اكثرهم يرجحه على صحيح مسلم ؟ وانهما معا اصح المؤلفات في الحديث والذين يفضلونه على جميع الصحاح، بين من بلغ بهم الغلو إلى تصحيح جميع مروياته، وبين من ضعف قسما من احاديثه تفرد هو ببعضها، واشترك معه مسلم في اثنين وثلاثين حديثا، كما نص على ذلك في مقدمة فتح الباري ص ٨١ وبالاضافة إلى ذلك فقد تناول جماعة من المحدثين رجال البخاري واتهموا عددا كبيرا منهم بما يوحي بضعفهم وعدم جواز الاعتماد على مروياتهم، ومع ذلك فلم تتزعزع ثقة الجمهور فيه، وبالغوا في تقديسه والدفاع عنه حتى خرجوا عن المألوف والمعقول، وقد حدد المقدسي موقفهم منه بقوله: " كل من روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة " اي يصبح فوق الشبهات والاحتمالات. والواقع الذي لا يجوز التنكر له هو ان البخاري في اختياره لتلك المرويات التي دونها في صحيحه، والتي نظر إليها الجمهور وكانها من وحي السماء يمكن ان نتلمس له المعذرة بالنسبة لمن لم يكن أمره واضحا من حيث دينه وسيرته، فلا بد له والحال هذه من البحث عن حال الراوي والرجوع إلى المصادر التي تبحث عن أحوال الرجال وتاريخهم حتى إذا تبين له انه مستوف للشروط من حيث العدالة والاستقامة وجب الرجوع إلى متن الحديث من حيث موافقته للكتاب ومخالفته له واشتماله على العلل والقرائن وغير ذلك مما يؤكد صحته، أو يمنع من الاعتماد عليه، وقد اختلفت آراء المحدثين في ذلك اشد الاختلاف، فالمعروف عن مالك

(١) الباحث الحثيث ص ٣٥.

ابن انس انه كان يعتمد على احاديث أهل المدينة اكثر من غيرها، كما اعتمد ابن جريح على احاديث المكيين، والكثير من المحدثين لم يعتمدوا على مرويات العراقيين بحجة انها لا تخلو من التعليل في الغالب، هذا بالاضافة إلى ان الانظار تختلف في تحديد العدالة باعتبارها من الشروط الاساسية في الراوي، فرب شخص يوثق رجلا، ولا يراه غيره ثقة، لانه اطلع منه على ما يخل بالعدالة أو على ما لم يطلع عليه غيره لاسيما وقد وجد البخاري وغيره في عصر تشعبت فيه الآراء والمعتقدات، وتفرق المسلمون فيه شيعا واحزابا وتراشقوا بالتكفير والتفسيق، واستحل بعضهم دماء البعض اللآخر وكان من ابرز ما حدث النزاع الذي استحكم بين المحدثين من جهة والمعتزلة من جهة اخرى. ففي مثل ذلك يمكن ان نتلمس للبخاري ولغيره العذر في اعتمادهم على هذا النوع من الرواة أجل قد يعذر البخاري في اعتماده على بعض الرواة ما دام بالامكان ان نجد له ولو ما يشبه العذر. اما إذا كانت حالة الراوي واضحة ومخالفاته تأبى عن التأويل الذي ومهما كان الحال. فقد نص ابن حجر في هدى الساري، على مروياتهم مهما حاول المتعصبون لهم اعطائهم صفة البرائة

وسلامة القصد، وسنتعرض في الفصول الآتية لبعض الطعون الموجهة لبعضهم كما جاء في كتب التراجم واحوال الرواة، بالاضافة إلى من اشرنا إليهم من رواة احاديثه. ومهما كان الحال. فقد نص ابن جر في هدى الساري، على ابي اسحاق ابراهيم بن احمد المستعلي قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفريري، فرأيت فيه اشياء لم تنم، واشياء مبيضة، منها تراجم لم يثبت بعدها شئ، ومنها احاديث لم يترجم لها، فاضفنا بعض ذلك إلى بعض، قال أبو الوليد: ومما يدل على

صحة هذا القول، ان رواية ابي اسحاق المستعلي، ورواية ابي محمد السرخسي، ورواية ابي الهيثم الكشميهني، ورواية ابي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير، مع انهم انتسخوا من اصل واحد، وانما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة انه من موضع ما فاضافه إليه. ويبين ذلك انك تجد ترجمتين واكثر من ذلك متصلة ليس بينهما احاديث (١) وقد انتقد المحدثون والحفاظ البخاري بانه لم يتقيد بالنص الحرفي للرواية، واحيا نا ينقل الرواية بالمعنى، وان رواياته تشتمل على المكرر والمعلق والموقوف، والمقطوع (٢) وغير ذلك من عيوب الرواية. ومن الجائز القريب ان يكون البخاري رحمه الله قد وضع في حسابه ان لا يضع الصيغة النهائية لكتابه الا بعد جمعه اولا ثم تمحيص اسانيده، ومحاكمة متونه، ولكن الاجل قد وافاه بعد الفراغ من الجولة الاولى، التي تم له فيها ان يجمع تلك الكمية من الاحاديث بعد أن أنفق شطرا كبيرا من عمره متجولا في المدن الاسلامية الكبرى التي تحولت مساجدها ونواديها، وبيوت علمائها إلى معاهد لتدريس الحديث وتدوينه ولغير ذلك من العلوم والفنون، وفي هذه المرحلة كان يدون الاحاديث احيانا كما تنقل إليه واحيانا يعتمد على ذاكرته التي كانت اشبه بآلة للتسجيل تلتقط جميع ما يصل إلى فضائها من الاصوات كما يستنتج ذلك من كتب التراجم التي وضعته في مستوى الاساطير، ولم يمهله الاجل لتمحيص اسانيده

---

(١) انظر الأضواء ص ٣٤٨ عن مقدمة فتح الباري. (٢) المراد من المعلق هو الحديث الذي لم يذكر فيه السند من اوله، كأن يرويه ابتداء عن أبن عمر عن النبي (ص) والموقوت هو الذي ينتهي سنده إلى الصحابي من غير ان يتعرض للنبي في قول أو فعل والمقطوع هو الذي ينتهي سنده إلى التابعي ولا يتعداه.

ومحاكمة متونه وحذف ما يجب حذفه بعد دراسة متونه وعرض أسانيده على اصول علم الدراية، فقام تلاميذه من بعده بنقله من مسوداته وتدوينه على عيوبه وعلاته، كما تؤيد ذلك رواية ابراهيم بن احمد المستعلي المتقدمة ورواية ابي محمد السرخسي وغيرهما من المرويات التي تؤكد ان البخاري رحمه الله قد وافاه اجله قبل تصفيته وتمحيص اسانيده ومتونه. ولذا يرى المتتبع الحديث الواحد مكررا بنصه الحرفي في مختلف الابواب بدون مناسبة واختلاف في السند غالبا. ومن امثلة التكرار وان كان لا يخلو باب من ابوابه من حديث مكرر حديث ام حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت. وجاء في الحديث عنها، ان رسول الله (ص) دخل عليها فاطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام وهي تفليه ثم استيقظ وهو يضحك، قالت ما يضحكك يا رسول الله قال: اناس من امتي عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة، قالت ادع الله ان

يجعلني منهم فدعا لها فركبت البحر هي وزوجها في بعض الغزوات التي غزاها معاوية، ولما رجعت صرعتها دابة قدمت إليها لتركبها وماتت نتيجة لذلك، وروى هذه الرواية انس بن مالك ودونها البخاري في صحيحه وكررها بلا زيادة في مختلف الابواب، وتكررت في المجلد الثاني من الصحيح اربع مرات في ص ١٣٤ و ١٣٧ و ١٤٩ و ١٥٣ هذا بالاضافة إلى بقية المجلدات التي لا يخلو منها هذا الحديث ومن الامثلة ايضا الحديث الذي ينص على صعود النبي إلى السماء واجتماعه بالنبيين، ومن بينهم موسى (ع) الذي نصح محمدا (ص) في ان يراجع الله سبحانه في التخفيف عن امته، وكان قد فرض عليها خمسين صلاة في اليوم على حد زعم الراوي، فرجع إليه، وطلب منه التخفيف عملا بنصيحة موسى (ع) فجعلها اربعين،

ولما اخبر موسى بذلك اشار عليه ان يرجع ويطلب تخفيفها، فاستجاب لطلبه وجعلها ثلاثين ثم رجع النبي إلى ربه ثالثة ورابعة بايعاز من النبي موسى إلى ان استقرت على ما هي عليه الآن، وفي المرة الخامسة لم يستجب محمد (ص) لنصيحة موسى ورضي بالصلاة الخمس كما تنص على ذلك الرواية التي رواها البخاري في صحيحه. ويجدها القارئ في جميع مجلداته وبخاصة الثاني منها مكررة في ص ٢١١ و ٣٢٨ بصيغة واحدة. الا في عدد المراجعات التي راجع فيها النبي (ص) ربه باشارة من موسى بن عمران. ومن الامثلة ايضا حديث الثلاثة الدين اطبقت عليهم الصخرة، وسدت عليهم منافذ الحياة فاستعرضوا حسناتم، ودعا كل واحد منهم بعمل من اعماله الصالحات، فارتفعت عنهم الصخرة وخرجوا من تحتها مشسيا على اقدامهم، وهي في ص ٢٥ و ٣٥ و ٤٧ من الثاني ايضا كما يجدها القارئ في بقية المجلدات إلى غير ذلك من الامثلة التي يتعسر احصاؤها، ويستطيع المتتبع ان يؤكد ان المرويات التي لم تتكرر في صحيح البخاري لا تتجاوز الفين وبضع مئات من مجموح مروياته، هذا بالاضافة إلى بقية العيوب التي احصى بعضها جماعة من المؤرخين والمحدثين. وروى الخطيب البغدادي في تاريخه عنه انه قال يوما: رب حديث سمعته في البصرة، وكتبته في الشام، ورب حديث سمعته في الشام، وكتبته بمصر، فقيل له: يا ابا عبد الله بكماله فسكت. وجاء في مقدمة فتح الباري عن احيدر والي بخا رى ان البخاري قال له: رب حديث سمعته في البصرة وكتبته في الشام، ورب حديث سمعته بها وكتبته بمصر، فقلت له يا ابا عبد الله بتمامه فسكت. وقال ابن حجر العسقلاني: انه كان يروي الحديث الواحد تاما

باسناد واحد بلفظين، وانه كان لا يكتب الاحاديث التي يسمعها، فإذا رجع إلى بخاري كتبها عن حفظه. وسأل بعضهم ابن عقدة ايهما احفظ البخاري أو مسلم ؟ فقال كان محمد عالما، ولان مسلم عالما، فاعدت عليه مرارا فقال: يقع لمحمد الغلط في اهل الشام، وذلك لانه اخذ كتبهم ونظر فيها فربما ذكر الرجل بكنيته، ويذكره في موضع آخر باسمه يظنهما اثنين واما مسلم فقلما يقع له الغلط في العلل: لانه كتب كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل. وقد احصيت أحاديث البظ ري، كما جاء في (هدى الساري) فبلغت ٧٣٩٧ حديثا، بما في ذلك الاحاديث المكررة، فإذا اضيف إليها ما فيه من المعلقات، والمتابعات تبلغ ٩٠٧٢ (١)، وإذا حذفنا المكررات منها واقتصرنا على الاحاديث انني يتصل سندها بمصدرها تبلغ ٢٧٦٢ حديثا. قال في هدى الساري: فجميع ما في صحيح البخاري من

المتون الموصولة بلا تكرير على التحرير الفا حديث وستماية وحديثان، ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر من الجامج المذكور مائة وتسعة وخمسون حديثا، فجميع ذلك الفا حديث وسبعمائة واحدى وستون حديثا. روى عنهم، وعد منهم مروان بن الحكم، وابا سفيان، ومعاوية، وعمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والنعمان ابن بشير الانصاري، الذي لازم معاوية ووندہ يزيدا إلى اللحظة الاخيرة من حياته، واشترك معهما في جميع الجرائم والفتن، ولم يذكر الحسن

---

(١) المتابعات هي الاحاديث التى يرويها اثنان أو اكثر عن الصحابي الذي روى الحديث عن النبي (ص).

والحسين (ع) في جملة من روى من الصحابة، مع العلم بانهما صحابيان حسب تحديدهما للصحبة كما ذكرنا. واكثر من روى عنه أبو هريرة وعائشة، وعمر بن الخطاب، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فقد روى عن ابي هريرة اربعمائة وستة واربعين حديثا، وعن عبد الله بن عمر مائتين وسبعين حديثا، وعن عائشة مائتين واثنين واربعين حديثا ولم يرو عن فاطمة الزهراء سيدة النساء الا حديثا واحدا، وروى عن علي بن ابي طالب (ع) تسعة وعشرين حديثا، وروى عن ابي موسى الاشعري سبعة وخمسين حديثا وروى عن معاوية ثمانية احاديث وعن المغيرة بن شعبة الذي استحق حد الزنا لولا عطف عصر بن الخطاب عليه كما تنص كتب التاريخ روى عنه احد عشر حديثا وعن النعمان بن بشير ستة احاديث، ولم يرو عن المقداد بن الاسود الا حديثا واحدا ولا عن عمار بن ياسر الا اربعة احاديث ولا عن سلمان الفارسي الا اربعة احاديث وروى عن عبد الله بن العباس نحوا من مأتين وسبعة عشر حديثا وقد صحت عنده احاديث عبد الله لان اكثرها جاء عن طريق عكرمة المتهم باعتناق فكرة الخوارج كما سنتعرض لتاريخه في الفصل الآتي (١).

---

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ١١١ و ١١٢، والباعث الحثيث، ص ٢٥ ومقدمة فتح الباري ج ٣ ص ٢٤٨ و ٢٤٩.

الاكليني محمد بن يعقوب الكليني الرازي صاحب المؤلفات الغنية بالفوائد في مختلف المواضيع، ومن ابرز مؤلفاته كتابه المعروف بالكافي جمع فيه احاديث اهل البيت في الاصول والفروع والاخلاق وغيرها من المواضيع وجاء في كتب التراجم. انه لقب بالكليني نسبة إلى قرية من بلاد ايران في منطقة الري (تسمى كلين)، وفيها دفن والده يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، ويعرف ايضا بالسلسلي (١) وكان من ابرز شيوخ الشيعة في الري واوجههم، ثم انتقل إلى بغداد وسكن بها إلى ان توفي بها سنة ٣٢٨ هجرية، وقيل سنة ٣٢٩ هـ، وليس في كتب التراجم التي تعرضت لتاريخه ما يشير إلى تاريخ ولادته، لذلك لم يكن من السهل تحديد عمره على التحقيق، ومن الجائز ان يكون قد ادرك في صباه الامام الحادي عشر الحسن العسكري (ع) الذي توفي ستة مأتين وستين هجرية، ومما لا شك فيه ان حياته كلها كانت في عهد السفراء الاربع وكلاء الامام الثاني عشر محمد بن الحسن (ع) لان عهدهم استمر سبعين عاما تقريبا،

اي إلى حدود سنة ٣٣٠ هجرية والكليني لم يتخط هذا الرقم عند الجميع. والذي يؤيد انه ادرك الامام العسكري (ع) كما يرجح ذلك العلامة الطباطبائي في رجاله هو انه قد اخذ الحديث عن جماعة عاصروا

---

(١) لعل الوجه في هذه النسبة انه سكن اخيرا في بغداد في محلة تدعى درب السلسلة بباب الكوفة.

الائمة الثلاثة الرضا والجواد والهادي (ع) ورووا عنهم، منهم احمد بن محمد بن عيسى الاشعري شيخ القميين ووجههم، ولم يذكر المؤلفون في الرجال تاريخ وفاته، ولكنهم نصوا على انه لم يلتق بالامام العسكري، وهذا التعبير يشعر بوفاته قبل انتقال الامامة إليه. ومهما كان الحال فلم اجد فيما لدي من كتب التراجم ما يشير إلى تاريخ ولادة الكليني، والمقطوع به انه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث وفي اوائل القرن الرابع. وقد اتفق الطرفان السنة والشيعة على تعظيمه واجلاله، وانه كان من اظهر علماء عصره واوثقم في دينه وحديثه، وجميع من تعرض له من مؤلفي السنة وصفه بذلك. وجا، عن (البغوي) احد المحدثين من السنة في تفسير الحديث المشهور عن النبي (ص) ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها، ان المبعوث على رأس المائة الاولى من أولي الامر عمر ابن عبد العزيز، ومن الفقاء محمد الباقر (ع) والقاسم بن محمد وسالم ابن عبد الله بن عمر، وغيرهم من تلك الطبقة، وعلى رأس المائة الثانية من الحكام المأمون العباسي، ومن الفقهاء الشافعي، واللؤلؤي من الاحناف، واشهب من المالكية، والامام علي بن موسى الرضا من الامامية ومن المحدثين يحيى بن معين، وعلى رأس المائة الثالثة من الحكام المقتدر العباسي، ومن الفقاء أبو جعفر الطحاوي الحنفي، وابن جلال الحنبلي وابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، وعد السيد المرتضى ممن بعث من الامامية على رأس المائة الرابعة بالاضافة إلى جماعة من فقهاء المذاهب الاربعة. وجاء عن التبصير لابن حجر وغيره من المؤلفين في الرجال والتراجم ما يؤكد انه كان من ابرز الفقهاء والمحدثين في عصره، ومن المساهمين

بجد ونشاط واخلاص في تدعيم الدين ونشر الثقافة الاسلامية من جميع نواحيها. ونظر إليه الشيعة بعين الاحترام والتقدير في جميع الادوار التي مروا بها واشتهر من بين مؤلفاته الغنية بالفوائد كتابه الجليل الكافي، ذلك الكتاب الذي تحرى فيه اقصى ما لديه من جهد لتصفية الاحاديث الصحيحة عن غيرها كما نص على ذلك في مقدمة كتابه، حتى تم له تأليفه بعد جهاد ورحلات استمرا نحوا من عشرين عاما يجوب فيها البلدان من بلدة إلى بلدة في البحث عن الحديث ومذاكرة المحدثين في الحديث واصنافه ومصادره، والتنقيب عن الاصول الاربعمائة التي الفها تلامذة الائمة في الحديث، وعن مؤلفات القميين وغيرهم التي جمعوها في اواخر القرن الثاني من مرويات اصحاب الامامين جعفر بن محمد وابيه الباقر (ع) وقد ذكرنا في الفصل السابق ان القميين والاشعريين والبعض من الكوفيين قد تطوعوا لجمع الاحاديث وتصفيتها، والفوا في علمي الرجال والدراية ووضعوا اصول هذين العلمين خلال النصف الاول من القرن الثالث ه

ومهدوا الطريق للطبقة الثالثة التي برز فيها الكليني والف كتابه الجامع ونال اعجاب العلماء والمحدثين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم. ورجح جماعة من المؤلفين الاعلام انه كان على اتصال بسفراء الامام محمد بن الحسن الذين كانوا يتصلون به. كما نص على ذلك المحدث النيسابوري في كتابه منية المراد والسيد علي بن طاووس وغيرهما، وانطلق هؤلاء من هذه المرحلة إلى ان الكافي قد عرضه سفراء الامام عليه واقر العمل به، وتمسكوا بما جاء عنه (ع) انه قال: (الكافي كاف لشيعتنا)، واضافوا إلى ذلك ان بعض الشيعة من البلدان النائية كلف الكليني بتأليف كتاب في الحديث يجمع مختلف المواضيع، لكونه على اتصال دائم بالسفراء الذين كانوا يتصلون بالامام، ويروون عنه، فألفه اجابة لطلبهم في عشرين عاما، ولا بد وان يكون قد راجعهم فيما اشتبه عليه امره.

ولكن المؤلفات التي تعرضت للكليني وكتابه ليس فيها ما يؤيد هذا الادعاء ونص جماعة من المحدثين وغيرهم على عدم صحة الحديث المروي عن الامام (ع) حول هذا الموضوع، نظرا لان الرواة له لم تتوفر فيهم شروط الاعتماد على هذه الرواية هذا بالاضافة إلى ان الامام (ع) في الغيبة الصغرى لم يكن الاتصال به ممكنا الا في الضرورات وليس منها تمحيص مرويات الكافي لامكان التوصل إلى معرفة الصحيح من غيره بالرجوع إلى اصول علم الدراية واحوال الرجال، على ان بعض مرويات الكافي لو عرضت على الامام محمد بن الحسن (ع) لا يمكن ان يقره عليها كما سنتعرض لبعضها في الفصول الاتية ولو افترضنا ان الامام (ع) قال في تقريضه (الكافي كاف لشيعتنا) كما تنص على ذلك الرواية، لو افترضنا ذلك فلا يستفاد من هذه الجملة انه صحيح بكل محتوياته، لجواز كونه كافيا لشيعتهم من حيث اشتماله على كمية من الاحاديث في الفروع والاصول صادرة عن الائمة (ع) ومما لا ريب فيه ان المرويات الصحيحة والمقترنة ببعض القرائن المؤكدة لصدورها بين مرويات الكافي سواء في ذلك ما ورد منها لبيان الاحكام وما ورد في الاخلاق والآداب والسنن وغير ذلك هذه الاصناف لو طبقها الشيعة لكانت كفيلة بان تجعلهم في القمة بين اصناف الناس ومهما كان الحال فليست الرواية نصا في ان جميع مروياته صادرة عنهم (ع). وقد عد المؤلفون في علم الدراية الكليني من الطبقة الرابعة بين المحدثين. فالطبقة الاولى حسب اصطلاحهم يمثلها الطوسى والنجاشي والثانية يتزعمها الشيخ المفيد، وابن الغضائري، والثالثة هي طبقة الصدوق، واحمد بن محمد بن يحيى وامثالهما، والرابعة طبقة الكليني وهكذا إلى الطبقة السادسة عشر التي تنتهي بالمعاصرين للحسين وابيه أمير المؤمنين (ع) بينما ابتدأ السنة في تسلسل الطبقات من الصحابة، ثم

كبار التابعين، وهكذا إلى الطبقة الثانية عشر التي تنتهي بالترمذي، والنسائي وبعض شيوخه. ولكليني عدد من المؤلفات في مختلف المواضيع، منها كتابه في تاريخ القرامطة والرد عليهم، ومنها في تعبير الرؤيا، وفي رسائل الائمة (ع) وما قيل فيهم من الشعر، وفي الرجال وغير ذلك من المواضيع المختلفة بالاضافة إلى الكافي الذى عرف به الكليني اكثر من جميع مؤلفاته. وقد بلغت احاديثه بعد الاحصاء ستة عشر الف حديث ومائة وتسعين حديثا موزعة على جميع ابوابه ومواضيعه (١).

(١) انظر روضات الجنات للخونساري ج ٤ ص ٥٥٢ و ٥٥٣.

[١٣٠]

الكافي بنظر الشيعة لقد وقف علماء الشيعة من الكافي موقفا يمكن ان يكون بالقياس إلى موقف السنة من صحيح البخاري سليما وبعيدا عن المغالاة والاسراف فلم يتنكروا لحسناته ولم يتجاهلوا ما فيه من السيئات والنقص الذي لا يخلو منه كتاب مهما اتخذ المؤلف الحيطة لاخراجه كما يريد ويحب. ومع انهم لم يغالوا فيه غلو محدثي السنة وفقهائهم في صحيح البخاري، فلقد وضعه فريق من المحدثين القدامى فوق مستواه واحاطه الاخباريون بهالة من التقديس والاكبار، ولكن من جاء بعدهم من اعلام الطائفة قضى على تلك الهالة والفتوا الانظار إلى ما فيه من نقص وعيوب. ومع كل ذلك فلقد عده الكثير من العلماء والمحدثين مجددا بالنسبة إلى من تقدمه من المؤلفين في الحديث، بالرغم من ان الذين تقدموه من المحدثين والمؤلفين قد تحروا جهدهم لتصفية الاحاديث من المكذوب والمشبوه، وتشدد القيمون في احاديث المتهمين بالغلو والوقف وغيرهما من المنحرفين عن المذهب الاثنى عشري، ولكنهم كما اعتقد لم يوفقوا إلى اخراج جامع للمواضيع المختلفة التي اشتمل عليها الكافي، ولا اظن انهم صنفوا الاحاديث حسب المواضيع ووزعوها على الابواب، وفي المحل الذي يناسبها كما صنع الكليني، ولم يجمع احد قبله الاصول والمرويات التي يترجح لديه صدورها عن المعصوم، ولو من جهة القرائن التي تحيط بها، حتى ولو كان الراوي لها يعتنق الغلو والوقف، أو اي مذهب آخر، كما جمعها هو في كتابه ووضعها في المحل المناسب، فان الذين باشروا عملية

[١٣١]

التصفية من قبله، كانوا ينظرون إلى الراوي قبل اي شئ، فإذا وجدوا فيه مغمزا أو انحرافا تركوا مروياته مهما كان حالها ولو احيطت بعشرات القرائن، بينما درس الكليني الرواية من ناحية السند والمتن والملابسات التي تحيط بها، واعتبر الوثوق بالصدور مهما كان مصدره شرطا اساسيا للاعتماد على الرواية، ولذلك احتاج إلى عشرين عاما لانهاء هذه الدراسة التي اعطت هذه النتائج الغنية بالفوائد في مختلف المواضيع. وقال فيه الشيخ المفيد الذي ادرك شطرا من حياته: ان كتاب الكافي من اجل كتب الشيعة واكثرها فائدة. وقال المرزا حسين النوري في مستدرك الوسائل بعد ان اورد كلمة الشيخ المفيد: انما كان اكثر فائدة من غيره من حيث انه جامع للاصول والاخلاق والفروع والمواعظ والآداب، وغير ذلك من المواضيع، وهو اجل من غيره من حيث الاعتبار والاعتماد، لانه جمع الاصول الاربعمائة، التي كانت بتمامها موجودة في عصره، كما يظهر في ترجمة ابي محمد هرون بن موسى التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥، وقد جاء في ترجمته انه روى جميع الاصول والمصنفات، والف منها ومن غيرها كتابه المسمى (بالجوامع في علوم الدين) (١). ويؤيد ذلك ما جاء في اسباب تأليف الكافي، من انه ألفه اجابة لن طلب منه كتابا جمع من جميع فنون الدين ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، وياخذ منه من يريد علم الدين والعمل بالآثار الصحيحة عن الصادقين (ع)، والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عزوجل وسنة نبيه (ص) فاستجاب لطلبهم، والفه في تلك المدة

(١) انظر الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي، ورجال المرزا محمد ص ٣٥٨.

الطويلة التي حددها كل من ترجمه وتعرض لتاريخه بعشرين عاما، فجاء جامعا لما يحتاج إليه المحدث والفقيه والمتكلم والواعد، والمجادل، والمتعلم، والكتاب الذي يحتوي على هذه المواضيع، لا بد وان يلفت الانظار، ويصادف تقدير الباحثين من العلماء، لانه يوفر عليهم عناء البحث عن الروايات ويسد حاجة الفقيه، والحدث والمتكلم وغيرهم في آن واحد. هذا بالاضافة إلى ما كان يتمتع به مؤلفه من ثقة غالية، وشهرة واسعة، ومكانة في العلم والدين تؤهله لان يحتل المكانة التي تليق به في النفوس. ولان يكون احد المعنيين بالحديث الشريف، (سيبعث الله لامتي على رأس كل مائة من يجدد لها دينها (١) كما يرى ذلك جماعة من الفريقين السنة والشيعة، ومع انه نال اعجاب الجميع وتقديرهم، لم يغال به احد غلو محدثي السنة في البخاري، ولم يدع احد بأنه صحيح بجميع مروياته لا يقبل المراجعة والمناقشة سوى جماعة من المتقدمين تعرضوا للنقد اللاذع من بعض من تأخر عنهم من الفقهاء والمحدثين، ولم يقل احد: بان من روى عنه الكليني فقد جاز القنطرة كما قال الكثيرون من محدثي السنة في البخاري، بل وقف منه بعضهم موقف الناقد لمروياته من ناحية ضعف رجالها، وارسال بعضها، وتقطيعها، وغير ذلك من الطعون، التي تخفف من حدة الحماس له، والتعصب لمروياته، وحتى ان الذين لم يقروا تلك الاتهامات الموجهة إليه، ووصفوه بانه افيد كتب الحديث واجلها، وقالوا: بانه لم يصنف مثله، واخذوا بجميع مروياته، هؤلاء لم يدعوا بان جميع ما فيه مروي بواسطة العدول في جميع مراتب السند، والذي يستفاد من نصوصهم انه جامع للمرويات التي تثق النفس بصدورها عن المعصوم من حيث ان مؤلفه بقي زمنا طويلا يبحث وينقب ويقطع المسافات البعيدة من بلد إلى بلد فنى جمعه من الصدور والمجاميع بعد الوثوق بصدور مروياته

(١) اي يظهره على واقعه، ويزيح الشبه عن مقاصده واهدافه.

عن الائمة (ع) ولو بواسطة القرائن والامارات الخارجة عن متونها، ولو لم يكن الراوي مستوفيا للشروط المطلوبة في الرواة. ويتأكد ذلك عندما نلاحظ ان الصحيح في عرف المتقدمين يختلف اشد الاختلاف عن عرف المتأخرين: ذلك لان الصحة لا تتوقف على عدالة الراوي، بل يصح وصف الحديث بالصحة لمجرد الوثوق بصدوره، ولو من حيث وجوده في احد الاصول الاربعمائة. أو في احد الكتب المعروضة على الامام ككتاب عبيد الله الحلبي الذي عرضه على الامام الصادق (ع) واثنى عليه وكتابي يونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان المعروضين على الامام العسكري (ع) أو لكونه مطابقا لدليل آخر مقطوع به ونحو ذلك من القرائن المفيدة للاطمئنان بالصدور. ولو لم يكن الرواة كلهم من حيث ذاتهم ممن يصح الاعتماد عليهم. والمتحصل من ذلك ان اكثر الذين اعتمدوا على الكافي واعتبروا جميع صروياته حجة عليهم فيما بينهم وبين الله سبحانه، هؤلاء لم يعتمدوا عليها الا من حيث الوثوق والاطمئنان بالكليني الذي اعتمد

عليها بعد جهاد طويل استمر عشرين عاما، بالاضافة إلى ان احتمال تقريض الامام الثا ني عشر (ع) كتلك المرويات كان يراود أذهان الكثيرين ممن تأخروا عنه كما ذكرنا من قبل وان كنا لم نجد مصدرا مقبولا بهذا الاحتمال ولا نستبعد ان يكون الحديث المروي حول هذا الموضوع من موضوعات مقلدة الاخباريين الذين تضاعف حماسهم له بعد تصنيف العلامة الحلي للحديث إلى الاصناف الاربعة، وكما ذكرنا فان وثوق الكليني بها لم في مصدره بالنسبة إلى جميعها عدالة الرواة بل كان في بعضها من جهة القرائن التي تيسر له الوقوف عليها نظرا لقرب عهده بالائمة (ع)، ووجود الاصول المختارة في عصره هذا بالاضافة إلى عنصر الاجتهاد الذي يرافق هذه البحوث في الغالب. ويؤيد ذلك ان الكليني نفسه لم يدع ان مرويات

كتابه كلها من الصحيح المتصل سنده بالمعصوم بواسطة العدول، فانه قال في جواب من سأله، تأليف كتاب جامع يصح العمل به والاعتماد عليه قال: وقد يسر لي الله تأليف ما سئلت وارجو ان يكون بحيث توخيت. وهذا الكلام منه كالصريح في انه قد بذل جهده في جمعه واتقانه معتمدا على اجتهاده وثقته بتلك المجاميع والاصول الاربعمائة، التي كانت مرجعا لاكثر المتقدمين عليه ومصدرا لاكثر مرويات كتابه. ومهما كان الحال فالكافي مع انه كان من اوثق المجاميع في الحديث منذ تأليفه إلى عصر العلامة الحلي واستاذه احمد بن طاووس اكثر من ثلاثة قرون من الزمن مع انه كان بهذه المنزلة عند المتقدمين، فان جماعة منهم كالمفيد وابن ادريس، وابن زهرة، والصدوق لم يثقوا بكل مروياته ووصفوا بعضها بالضعف كغيرها من المرويات التي لم تتوفر فيها شروط الاعتماد على الرواية. ومن ذلك تبين ان المتقدمين لم يجمعوا على الاعتماد على جميع مروياته جملة وقصيلا، فان شهادتهم له بانه من اوثق كتب الحديث وافيدها واعتباره مرجعا لهم، لا تعني ان كل ما فيه حجة شرعية يجوز الاعتماد عليه في الفروع والاصول كما يدعي اكثر الاخباريين. ويمكن تحديد موقف العلماء والمحدثين من مرويات الكافي بالبيان التالي، وهو ان تصحيح الكليني لمروياته واعتباره لها حجة فيما بينه وبين ربه، هل هو شهادة منه بتزكية رواة تلك الاحاديث، وبوجود قسم منها في الكتب المعتبرة التي عرضت على الائمة (ع) وأقروا العمل بها من اعتبر تصحيحه لا واعتماده عليها من باب الشهادة لا بد وان يعتمد عليها لجواز الاكتفاء بالشاهد الواحد في مقام التزكية وفي الموضوعات كما لو شهد الثقة بأن هذا الكتاب لزيد مثلا وهذا الحديث موجود في الكتاب الفلاني، أو في المحل الفلاني مثلا.

ويؤيد ذلك ما جاء قي مستدرك الوسائل حيث قال: ان شهادة الكليني على صحة خبر ترجع إلى ان الخبر موجود في الاصول والكتب المعمول بها، المعلومة الانتساب إلى اربابها، والمتصلة طرفه واسانيده إليها وقد اخرجه منها أو تلقاه من الثقاة الذين لا تتوقف معرفتهم على الامور النظرية: لكونهم من مشايخه أو مشايخ مشايخه، وقرب عصره منهم، وعدم اشتباههم بغيرهم، وكلها شهادة حسية مقبولة عند الفقهاء، فلو شهد عادل بان هذا الكتاب لفلان، وهذا الكلام موجود في كتاب فلان أو شهد بأن فلانا ثقة، فهل رأيت أحدا يستشكل في ذلك، بل عليه مدار الفقه في نقل الآراء والفتاوى والاقوال، والتزكية والجرح (١)، فمن اعتبر تصحيح الكليني لمرويات الكافي شهادة منه بتزكية رواتها وبوجود قسم منها في الكتب المعتبرة. بنى على صحتها وجاز له العمل بها في الاحكام

وغيرها، ومن بنى على ان تصحيحه لها. كان من نتيجة فحصه واجتهاده ودراسته لاسناد الحديث ومتونه خلال تلك المدة الطويلة، من بنى على ذلك لم يفرق بين مرويات الكافي وغيرها من حيث كونها خاضعة للنقد والجرح والتعديل، لان اجتهاد شخص لا يكون حجة على غيره، ولابد في مثل ذلك من عرض ذلك الموضوع على الاصول والقواعد الموضوعة لتمييز الصحيح من غيره، وبالتالي قد ينتهي إلى عين النتيجة، وقد ينتهي لخلافها، وفي الحالين يتعين عليه ان يعمل بما أدى إليه اجتهاده. ومن الجائز القريب ان يكون المضعف لبعض مرويات الكافي متجها إلى هذه الملاحظة. قال السيد في المفاتيح: ان اخبار الكليني بصحة ما دونه في الكافي كما يمكن ان يكون باعتبار علمه بها، وقطعه بصدورها عن الائمة (ع) فيجوز الاعتماد عليها والحال هذه كسائر اخبار العدول، كذلك يمكن

---

(١) الفائدة الرابعة ص ٥٣٨.

ان يكون باعتبار اجتهاده وظهورها عنده ولو بالدليل الظني، فلا يجوز اذن الاعتماد عليه، فان ظن المجتهد لا يكون حجة على مثله، كما هو الظاهر من الاصحاب، بل ومن العقلاء، وحيث لا ترجيح للاحتمال الاول وجب التوقف. ومهما كان الحال، فالكتب الاربعة وعلى رأسها الكافي كانت بنظر المتقدمين من الفقهاء والمحدثين إلى اواخر القرن السابع الهجري الذي ظهر فيه العلامة الحلي، واستاذه احمد بن طاووس، كانت من اوثق المصادر في الحديث، ولم يتردد في قبول مروياتها سوى من اشرنا إليهم على ان بعض المحدثين قد فسر كلام المفيد والصدوق، الذي، يدل بظاهره على التشكيك ببعض مرويات الكافي، قد فسر كلامهما بما يرجع إلى انهما يترددان في بعض مروياته إذا تعارضت مع غيرها وكان المعارض لها اقوى سندا واظهر دلالة، وذلك لا يعني انها من نوع الضعيف، لان تعارض الصحيح مع الاصح لا يمنع من وصفه بالصحة، كما لا يمنع من جواز العمل به والاعتماد عليه في غير مورد التعارض مع الاصح منه والشئ الطبيعي ان تتضاءل تلك الثقة التي كانت للكافي على مرور الزمن بسبب بعد المسافة بين الائمة (ع) وبين الطبقات التي توالت مع الزمن، وبمجئ دور العلامة الحلى انفتح باب التشكيك في تلك المرويات على مصراعيه بعد ان صنف الحديث إلى الاصناف الاربعة، فتحرر العلماء من تقليد المتقدمين فيما يعود إلى الحديث، وعرضوا مرويات الكافي وغيره، على اصول علم الدراية وقواعده، فما كان منها مستوفيا للشروط المقررة اقروا العمل به والاعتماد عليه، وردوا ما لم تتوفر فيه الشروط المطلوبة. وعلى هذا الاساس توزعت احاديث الكافي التي بلغت ستة عشر الف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثا على النحو التالي. الصحيح منها خمسة آلاف واثنان وسبعون حديثا، والحسن مائة

واربعة واربعون حديثا، والموثق الف ومائة وثمانية وعشرون حديثا، والقوي ثلاثمائة وحديثان (١)، والضعيف تسعة آلاف واربعمائة وخمسة وثمانون حديثا (٢). ومما تجدر الاشارة إليه ان اتصاف هذا المقدار، من مرويات الكافي بالضعف لا يعني سقوطها بكاملها عن درجة الاعتبار، وعدم جواز الاعتماد عليها في امور الدين، ذلك لان وصف الرواية بالضعف من حيث سندها وبلحاظ ذاتها لا يمنع من قوتها

من ناحية ثانية كوجودها في احد الاصول الاربعمائة، أو في بعض الكتب المعتبرة، أو موافقتها للكتاب والسنة، أو لكونها معمولا بها عند العلماء، وقد نص اكثر الفقهاء ان الرواية الضعيفة إذا اشتهر العمل بها والاعتماد عليها، تصبح كغيرها من الروايات الصحيحة، وربما تترجح عليها في مقام التعارض. وجاء في مقباس الهداية للمامقاني. ان الذي الجأ المتأخرين إلى العدول عن طريقة القدماء، واضطرهم إلى تصنيف الحديث إلى الاصناف الاربعة، هو تطاول الازمنة بينهم وبين الطبقة الاولى، وضياع بعض الاصول المعتمدة التي دونها اصحاب الائمة (ع) والتباس المأخوذ منها بغيرها، وخفاء القرائن التي اعتمد عليها المتقدمون إلى غير ذلك من الاسباب التي اضطرتهم إلى هذا التصنيف لتمييز الصحيح عن غيره (٣). وسبب آخر اشرنا إليه من قبل، ولعله اقرب إلى الواقع من غيره،

---

(١) القوي ما كان سنده كله أو بعضه من غير الاماميين وليس فيه ضعف. (٢) انظر روضات الجنات إلى محمد باقر الخونساري (حرف الجيم ص ٥٥٣، والمستدرك الفائدة الرابعة). (٣) لم انظر مقباس الهداية الملحق بالمجلد الثالث من تنقيح المقال في علم الرجال.

وهو ان اصحاب الكتب الاربعة قد اعتمدوا على اجتهاداتهم ووثوقهم بتلك المرويات التي دونوها في مجاميعهم كما يبدو ذلك من بعض كلماتهم التي تشير إلى هذا المعنى، فان قول الكليني: وقد يسر لي الله تأليف ما سألت، وارجو ان يكون بحيث توخيت، ظاهر في انه اعتمد على اجتهاداته ودراسته في انتقاء الا حاديث التي دونها في الكافي، وقد تلقى العلماء تلك المجاميع بالقبول والتقدير نظرا لثقتهم باصحابها في دينهم وعلمهم، فحسن الظن بالكليني وغيره من مؤلفي الكتب الاربعة. يسر لهذه الكتب ان تحتل تلك المكانة الرفيعة في نفوس العلماء والمحدثين نحوا من ثلاثة قرون تقريبا، وبلغ الحال ببعض الاخباريين الذين لا يتخطون حرفية النصوص، ولا يفسحون حتى للعقل ان يتدخل في شئ من امور الدين، بلغ الحال بهم ان اعتبروها من نوع المقطوع بصدوره عن المعصوم، واستمروا على تعصبهم لها إلى العصور المتأخرة، ووجهوا إلى العلامة الحلي واستاذه التهم والشتائم، واعتبروا تصنيفه للحديث إلى الاصناف الاربعة من نوع البدعة والخروج على طريقة السلف الى الصالح وسيرتهم، ولا تزال فلولهم إلى اليوم تتمسك بمرويات الكافي وكانها من وحي السماء، مع العلم بأن العلامة قد خدم السنة والمذهب، وفضح اساليب الدساسين والمنحرفين الذين ألصقوا بالمرويات الصحيحة آلاف الروايات التي اتخذها اخصام الشيعة سلاحا للهدم والتخريب، والتشويش على الشيعة وأئمتهم (ع). هذه الثقة العظيمة بالمحمدين الثلاثة - محمد بن يعقوب الكليني ومحمد بن الحسن الطوسي ومحمد بن بابويه - وبخاصة الكليني هي التي جعلت للكافي تلك الحصانة عند المتقدمين من فقهاء الامامية ومحدثيهم، ولما جاء دور العلامة الحلي واستاذه ووجدا بين مرويات الكافي وغيره من كتب إلحديث ما لا يجوز الاعتماد عليه والركون إليه وقفا منها موقف المتحرر من التقليد والتبعية العمياء، وتابعهما على ذلك

كل من جاء بعدهما من العلماء والمحدثين. فكان موقفهما من مرويات الكليني اشبه ما يكون بموقف محمد بن احمد بن ادريس

الحلي من فتاوى الشيخ الطوسي وآرائه في الفقه، تلك الآراء التي ظلت اكثر من قرن من الزمن وكأنها من وحى السماء. ولا مصدر لذلك الا انه استطاع ان يفرض نفسه على تلاميذه وعلماء عصره، بالاضافة إلى شخصيته العلمية وشهرته الواسعة، ولما ظهر ابن ادريس المتوفى سنة ٥٩٨ هجرية ووقف من آرائه موقف الناقد المتحرر خالفه في كثير من آرائه ككل باحث متحرر لا يهمه الا احقاق الحق من مصادره. فأعاد الثقة إلى النفوس، وبدأ هو وغيره من العلماء المعاصرين والمتأخرين عنه في تقييم آراء الطوسى ومؤلفاته وارجاعها إلى الاصول والقواعد، بمد ان سيطرت على عقول العلماء والمفكرين وكادت ان تنسيهم فتح باب الاجتهاد الذي امتاز به فقهاء الشيعة على غيرهم من فقهاء المذاهب الاربعة، ولذلك شواهد وأمثلة اخرى في تاريخ العلماء والمفكرين يدركها الباص المتتبع في تاريخهم ومؤلفاتهم تؤكدان شخصية العالم وثقته في النفوس تسيطران احيانا على اتباعه وتلاميذه وتستبد في عقولهم وتفكيرهم، حتى يخيل إليهم ان جميع آرائه ونظرياته فوق الشبهات والاوهام.

---

[١٤٠]

الكليني يختصر السند أحيانا السنة حسب اصطلاح المحدثين هو الرواة الذين ينقلون الحديث بالتسسسل عن مصدره الاول نبيا كان أو اماما، أو صحابيا أو غير هؤلاء حتى ينتهي إلى إراوي الاخير والكليني يحرص في الكافي كما يبدو، بعد التتبع على ذكر السند بكامله. وقد يحذف بعضه، أو اوله اعتمادا على بعض القرائن الدالة عليه. قال المامقاني في خاتمة المجلد الاول من رجاله: وقد يحذف نادرا صدر السند، ولعله لنقله عن الاصل الذي يروي عنه من غير واسطة، أو لحوالته على ما ذكره قريبا، كما لو ذكر رواية بسندها الكامل، وبنفس السند روى رواية غيرها، فيحذف من السند حينئذ اعتمادا على ما ذكره اولا، وقد يختصر السند احيانا، ويقول عن عدة من اصحابنا عن فلان، ويعني بالعدة جماعة من مشاهير الرواة نبه عليهم بأسمائهم كي لا يحصل الالتباس. قال العلامة في خاتمة الخلاصة من كتابه في الرجال: نقلا عن الكليني نفسه، وكلما ذكرته في كتابي عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد البرقي، فهم علي بن ابراهيم، وعلي بن محمد بن عبد الله ابن اذينه، واحمد بن عبد الله عن ابيه، وعلي بن الحسين السعد آبادي، وكلما ذكرته في كتابي عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد فهم علي بن محمد بن علان، ومحمد بن ابي عبد الله، ومحمد بن الحسن، ومحمد ابن عقيل، واضاف إلى ذلك العلامة وغيره، ان الكليني إذا قال: عدة

---

[١٤١]

من اصابنا عن احمد بن محمد بن عيسى، فهم محمد بن يحيى، وعلي بن موسى الكمنداني،، وداوود بن كورة، واحمد بن ادريس، وعلي بن ا براهيم (١). وفي بعض ابواب الكافي يصرح هو بالمراد من العدة، فقد جاء في الباب التاسع من العتق. عدة من اصحابنا، علي بن ابراهيم ومحمد ابن جعفر، ومحمد بن يحيى، وعلي بن محمد بن عبد الله القمى، واحمد بن عبد الله، وعلي بن الحسين جميعا عن احمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى. والروايات المصدرة بلفظ العدة في الكافي اكثرها عن احمد بن محمد بن عيسى، وعن سهل بن زياد، وعن احمد بن محمد بن خالد البرقي، وقد نص الكليني نفسه على ان الذي تعنيه كلمة العدة هؤلاء الثلاثة باستثناء ثلاثة عشر رواية مصدرة بلفظ العدة كما أحصاها جماعة من المحدثين قد أهمل المعنيين فيها ولم ينص على اسمائهم. قال في

المستدرك: واما القسم الثاني وهم العدة الذين لم يتعرض لهم هو وغيره، فلا بد من الفحص عنهم والنظر في احوالم، فإذا تبين للباحث حسن حالهم اخذ بمرؤياتهم، والا يتعين التوقف بشأنها. ومجمل القول انه قد يبدو لغير المتتبع ان الكليني يختصر السند احيانا اعتمادا على ثقنه وعلمه بحال بعض الرواة كما هو الشأن بالروايات التي يصدرها بلفظ العدة ونحوه، ولكنه في الواقع قد اعتمد لفظ العدة بدلا من التنصيص عليهم بأسمائهم في كل رواية من باب الاختصار وتهربا من التطويل وبين بعد ذلك المعنيين من هذا اللفظ بأسمائهم واشخاصهم دفعا للالتباس عدا ثلاثة عشر موردا كما احصاها في الفائدة

---

(١) انظر الخلاصة في الرجال للعلامة ص ١٣٣.

الرابعة من مستدرك الوسائل لم ينبه هو وغيره عن المعنيين من لفظ العدة فيها، واكد ذلك المامقاني في خاتمة كتابه تنقيح المقال. على ان اكثر المتقدمين لم يفرقوا بين العدة التي نبه على الاشخاص المعنيين منها، وبين التي أهمل المراد منها بل وحتى بين مروياته التي اختصر السند في اولها، وبين التي ذكر فيها السند بكامله، لانه لا يروي الا عن الثقة على حد تعبيرهم، ونص بعضهم على ان الكليني لا يروي عن مجهول، واضاف إلى ذلك. وناهيك بحسن حال اولئك الرواة رواية الكليني عنهم، وما اشبه هذا النص بالنص الذي نقلناه عن بعض محدثي السنة بشأن من روى عنهم البخاري " لكل من روى عنه في الصحيح فقد جاز القنطرة " الا ان هذه الكلمة تعكس رأي الجمهور واظهر في المغالات والمبالغة من الكلمة الاولى التي لا تعكس الا رأي قائلها وبعض المقلدة من الاخباريين. وكما يصدر السند احيانا بلفظ العدة، يصدره ايضا بلفظ الجماعة، وقد اكثر منه في كتاب الصلوة عن احمد بن محمد، وفي بعضها بزيادة ابن عيسى، ورجح جماعة من المؤلفين في علمي الرجال والدراية ان الذي يعنيه من الجماعة هو عين ما يعنيه من العدة، وعلى ذلك فإذا ورد بعد لفظ الجماعة احد الثلاثة الذين ذكرهم بعد لفظ العدة، تكون الرواية كغيرها من الروايات التي صدرها بلفظ العدة عن احد الثلاثة، وان لم يرد بعد لفظ الجماعة احد الثلاثة، فلا بد من الفحص عن الجماعة وعن احوالم، ونص بعض المؤلفين في الرجال. على قبول الرواية المصدرة بلفظ الجماعة على كل حال. قال المامقاني في الفائدة الثانية من ملحقات رجاله: لكن لا يبعد قبول الرواية ان لم يكن فيها عيب من وجه آخر، لوضوح بمد اتفاق الجماعة المذكورين على الكذب، سيما بعد كونهم ممن يروي عنهم ثقة الاسلام (١).

---

(١) انظر الفائدة الثانية من ملحقات كتابه في الرجال ص ٨٤. *

الكليني يروي عن الاماميين وغيرهم لقد ذكرنا فيما تقدم ان الحديث الذي يوصف بالصحة عند المتقدمين لا يختص بما يرويه الامامي العادل عن مثله حتى ينتهي إلى النبي والامام (ع) بل يتسع وصف الصحة له ولغيره مما كان محاطا ببعض القرائن المرجحة لصدوره عن

المعصوم (ع) ولما هو موجود في الكتب التى عرضت على الامام فأقرها، أو في الاصول الاربعمائة، أو في الكتب التي شاع بين الطبقة الاولى العمل بها والاعتماد عليها ككتاب الصلوة لحريز بن عبد الله السجستاني، وكتاب حفص بن غياث القاضي، وكتب بي سعيد، وعلي بن مهزيار وغيرها من الكتب التي اعتمد عليها محدثوا الشيعة ودونوا مروياتها في مجاميعهم كالكافي وغيره، وعدوها من صحاح الاحاديث مع العلم بان مؤلفي تلك الكتب، ورواة احاديثها يختلفون في مذاهبهم اشد الاختلاف، فهم بين من هو عامي المذهب كحفص بن غياث القاضي الذي تولى القضاء للرشيد، كما جاء في خلاصة اخبار الرجال للعلامة الحلي وبين من هو من الفطحية كبني فضال، الذين قال الامام (ع) فيهم، خذوا ما رووا وذروا ما رأوا، أو من الواقفية وغير ذلك من المذاهب المختلفة، وذكرنا سابقا ان التصنيف الذي احدثه العلامة واستاذه للحديث قد تخطى الحدود التي اصطلح عليها المتقدمون، واصبح الموثق المقابل للصحيح والحسن، الذي يرويه غير الامامي الموثوق به من الاصناف المعتبرة المعمول بها بين الفقهاء، ويقدم على الحسن، مع ان رواته من الاماميين، سواء كان الرواة للحديث

المعروف في عرف المحدثين بالموثق ممن يدينون بالتشجع كالفطحية والواقفية، أو من السنيين الموثوق بهم، هذا الصنف من الحديث يأتي بعد الصحيح مباشرة، وذكرنا ان بين احاديث الكافي من هذا الصنف الفي حديث ومائة وثمانية عشر حديثا، وفي ذلك دلالة على ان الشيعة لم يبلغ بهم التعصب إلى عدم جواز الاخذ بكل ما يرويه المخالفون لهم في العقيدة، كما يدعي السنة، حتى ولو كان الراوي عن المعصوم معروفا بالاستقامة في دينه، والضبط لاسانيد الروايات ومتونها. ويؤكد ذلك ان الكليني نفسه روى عن جماعة من العامة كحفص بن غياث القاضي الذي تولى القضاء للرشيد، وغياث بن كلوب، ونوح بن دراج، وطلحة بن زيد، وعباد بن يعقوب الرواجني، والنوفلي والسكوني، وعن الزهري ووهب بن وهب ابي البختري، وجاء في بعض كتب الرجال انه كان من قضاة العباسيين، وعن عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا، وغيرهم ممن ورد ذكرهم في اسانيد الكافي. وإذا كان الاكثر من الشيعة يتشددون في رواية غير الامامي أو يعتبرون كون الراوي اماميا، فذلك لا يعني انه من ضرورات مذهبهم في الحديث، وانما هو من الاجتهاد الذي تختلف فيه الانظار والآرا، وكما ذكرنا ان اعتمادهم على مرويات الفطحية وغيرهم، وتدوينها في مجاميعهم، مع العلم بانهم كانوا يسمونهم (بالكلاب الممطووة) مما يؤكد ان جماعة منهم يكتفون بعدالة الراوي في مذهبه، وان الاختلاف في العقيدة لا يمنع من الاعتماد على ما يرويه، إذا كان صادقا ومأمونا في النقل، والذي يؤيد هذا المبدأ ويؤكده قول الامام العسكري (ع) في جواب من سأله عن مرويات بني فضال باعتبارهم من المنحرفين ص المخطط الاثني عشري: خذوا ما رووا وذروا ما رأوا هذا الحديث يرشد إلى ان فساد العقيدة لا يسري إلى فساد القول، فإذا قال المخالف لك، حقا وصدقا فخذ بقوله واعتمد عليه إذا كنت تثق بصدقه واستقامته، واترك رأيه ما دمت تعتقد بفساده.

موقف السنة من مرويات الخالفين لهم ثم ان القائلين من الشيعة بعدم جواز الاعتماد على رواية غير الامامي، هؤلاء على قلتهم لا يفرقون بين اصناف المخالفين لهم، ولا يفضلون مخالفا على غيره، كما فعل السنة مع المخالفين لهم، فانهم عدوا الشيعة من

المبتدعة المخالفين كالخوارج وغيرهم من الفرق، ولكنهم فضلوا عليهم الخوارج واخذوا به رواياتهم بحجة انهم لا يستحلون الكذب، والشيعة يستحلونه على حد زعمهم. قال السباعي في كتابه السنة ومكانتها من التشريع الاسلامي. والذين يظهر لي انهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته كالشيعة أو كان من طائفة عرفت باباحة الكذب، ووضع الحديث في سبيل اهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة. وقبلوا رواية بعض الشيعة الذين عرفوا بالصدق والامانة، كما قبلوا رواية المبتدع، إذا كان هو وجماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان وبعض الخوارج. وجاء في منهاج السنة. نكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية الا الرافضة فانهم يكذبون (١). ويقصد السباعي ببعض الشيعة الذين عرفوا بالصدق والامانة الزيدية كما يدل على ذلك قوله في ص ١٤٩ وهؤلاء، اي الزيدية يعدون

---

(١) انظر السنة ومكانتها من التشريع الاسلامي للسباعي ص ١١٠ ومنهاج السنة ج / ١ ص ١٣.

اكثر طوائف الشيعة اعتدالا، وفقههم قريب من فقه أهل السنة، اما الرافضة ويعني بهم من يفضلون عليا ويقولون بأنه هو صاحب الحق بعد رسول الله فهؤلاء لا يشفع لهم شئ عند السباعي وامثاله. وجاء في الكتاب المذكور في خلال حديثه عن الفرق السياسية. إن الرافضة اكثر الفرق كذبا، وان مالك سئل عنهم فقال: لا تكلمهم ولا تروى عنهم وانهم يكذبون، وان شريك بن عبد الله القاضي وغيره قالوا عنهم: احمل عن كل من لقيت الا الرافضة فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا، وانهم وضعوا الحديث في ذم معاويه وابن العاص، كما وضعوا في فضائل علي واهل بيته ثلاثمائة الف حديث، وقد اطال السباعي الحديث عمن اسماهم بالرافضة، وحشد مجموعة من الاراجيف والاباطيل حولهم، وحاول ان يصورهم بألد اعداء الاسلام الذين لم يكن يهمهم الا تحطيمه وتقويض دعائمه، كما نص على ذلك في ص ٩٥ من كتابه. ونحن لا نريد ان نخوض معه ومع امثاله ممن استحوذ عليهم النصب والتعصب، واعمى قلوبهم الحقد على اهل البيت وشيعتهم، فقد سبقه إلى هذه الافترآت سلفه الصالح من اتباع الامويين وعملائهم الذين كان معاوية والامويون من بعده يشترون ضمائرهم بالاموال لكي يضعوا الاحاديث في فضله وفضل اتباعه، وفي التشنيع على الشيعة والتوهين لامرهم وانتقاص علي وابنائه (ع)، ورد عليهم الشيعة قديما حديثا وفندوا جعجن مفترياتهم، ودسائسهم، ومع كل ذلك فالسباعي والجبهاني والسفياني وغيرهم، من المأجورين والمفرقين لا يعنيهم الا تفريق الصفوف وتمزيق وحدة المسلمين وبث الاحقاد في النفوس لقاء أجر معلوم من أسيادهم أعداء الاسلام، هؤلاء وغيرهم يجترون أقوال المتقدمين حنقا وحقدا على الشيعة، وعداوة لأهل البيت الذين أذهب

الله عنهم الرجس وطهرهم من البدع على رغم انف الحاقدين والمفترين. كالسباعي والجبهاني وابن تيمية وامثالهم المأجورين. لقد رفض السنة رواية الشيعي لأنه مبتدع كذاب، وقبلوا رواية الخوارج لانهم وان كانوا من أهل البدع كالشيعة على حد تعبيرهم،

الا انهم صادقون متدينون لا يستحلون الكذب ولا الفسق. وكانوا من التقوى على جانب عظيم كما جاء في كتابه ص ٩٦. ويعود في ص ٩٧ ليؤكد هذه الحقيقة فيقول: لقد حاولت ان اعثر على دليل علمي يؤيد نسبة الوضع إلى الخوارج. فرأيت الادلة العلمية على العكس، تنفي عنهم هذه التهمة، فقد كانوا يكفرون مرتكب الكبيرة من الذنوب أو مرتكب الذنوب مطلقا والكذب من الكبائر، فكيف إذا كان على رسول الله (ص) ومضى في حديثه ينتحل لهم اسباب الزهد والصدق والعبادة الخالصة، ويصف الرافضة (اي الشيعة) بالكذب ووضع الاحاديث، محتجا لتزكية الخوارج بقول ابي داوود: ليس في أهل الاهواء أصح حديثا من الخوارج، ويقول ابن تيمية، ليس في أهل الاهواء أصح حديثا واصدق واعدل من الخوارج، إلى غير ذلك من ٦ الهراً الذي لا يرتكز على العلم والمنطق والدين. وكنت أتمنى لنفسي ان لا تضطرني مطالعاتي حول الموضوع الذي يبدي إلى الخوض مع هؤلاء الدساسين المأجورين في مثل هذه المواضيع وكان بالامكان ان اتغاضى واتجاهل بعض التهم والاراجيف التي يلصقها الحاقدون بالشيعة، لولا (ان الساكت عن اظهار الحق شيطان اخرس) ولولا ان الحقيقة تفرض نفسها على الباحث المجرد، وتأبى عليه ان يمر بمثل هذه الآراء من غير ان يكشفها على واقعها لتكون سلاحا بيد الباحث البرئ الذي لا يعنيه الا الحق من اي مصدر كان.

---

[١٤٨]

لالقد اتفق اكثر السنة على ان مرويات الشيعة لا يجوز الاعتماد عليها لانهم في طليعة المبتدعة المتسترين بالاسلام ومن الدعاة إلى بدعتهم، لانهم يدعون بأن الرسول نص على علي (ع) بالخلافة في غدير خم وغيره من المواقف، ووضعوا على حد تعبيرهم الاف الاحاديث في فضله وفضل السيدة فاطمة وولديها الحسن والحسين (ع)، لذلك فهم من المبتدعة الكذابين، والخوارج من المبتدعة الصادقين. ونحن لا نريد ان نناقش ونجادل في المرويات حول استخلاف علي وفضائل اهل البيت، لا نريد ذلك، لان الحديث حول هذه المواضيع يتصل بتاريخ الاسلام، وقد تكلم فيه الشيعة والسنة في عشرات المناسبات وكتبوا حوله عشرات الكتب، ولكن الذي اريد ان اقوله لمن يحتج في رفض مروياتهم، بأنهم من المبتدعة الداعين إلى بدعتهم. كيف سوغ هؤلاء لانفسهم قبول مرويات مروان ومعاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص، وطلحه والزبير والنعمان بن بشير الانصاري، وامثال هؤلاء ممن أراقوا الدماء و استباحوا الحرمات، واعلنوها حربا شعواء لا هوادة فيها على الامام الشرعي الذي اختاره المهاجرون والانصار، والمسملمون من جميع البلدان والاقطار. أليس خروج عائشة ام المؤمنين وزوجة النبي (ص) تقود جيشا إلى حرب علي (ع) يقتل الابرياء وينهب الاموال ويروع الآمنين، والقرآن يناديها ويؤكد عليها وعلى غيرها من امهات المؤمنين، بان يقرن في بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى، أليس ذلك فسادا في الارض، وبدعة في دين الله لا تقل أخطاره عن أخطار فكرة الخوارج وغيرهم من المبتدعة وهل البدعة الا ادخال ما ليس من الدين في الدين، وارتكاب ما يتنافى مع اصول الاسلام وقواعده، وهل تتفق سيرة معاوية واتباعه ممن قبل المحدثون احاديثهم، هل تتفق سيرتهم مع اصول الاسلام وفروعه وقواعده ونحن لا نريد ان نجادلم فيما ينسبونه إلى الشيعة من الوضع

---

[١٤٩]

والكذب: ونفترض ذلك امرا واقعا، ولكن هل يستطيع باحث مجرد ان ينزه اخصاج علي كمعاوية واتباعه ومن يحمل روحه ومبادئه عن

الوضع والكذب وبذل الاموال لهذه الغاية. مع ان التاريخ مشحون بالشواهد على انه قد اصدر امرا وزعه على جميع عماله في مختلف العواصم وامرهم بوضع الاحاديث في فضل الخلفاء وبخاصة قريبه عثمان، ووضع الاحاديث التي تسئ إلى علي وبنيه. أصحيح ان رسول الله (ص) قال: من اراد ان ينظر إلى رجلين من اهل النار فلينظر إلى هذين. فنظرت السيدة عائشة وإذا بعلي والعباس قد اقبلا نحو رسول الله (ص) كما روى ذلك جماعة من المحدثين عنها، اصحيح ان رسون الله (ص) قال: ان عليا يموت على غير ديني، كما روى عروة بن الزبير عن خالته عائشة أو ليست بعض المرويات المدونة في الصحاح عن جماعة من الصحابة كأبى هريرة وامثاله اضر على الاسلام واكبر خطرا مما يسميه السباعي واسلافه بالبدع كما سنشير إليها خلال الفصول الآتية، أو ليس معاوية اول من ادخل البدع في دين الله ودعا إليها وعاقب على تركها وفرض مسبة علي وبنيه على الخطباء وائمة المساجد. واستمر الامر على ذلك قرنا كاملا من الزمن وقد قال رسول الله (ص): من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها. أو لم يقل رسول الله (ص) لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية وهل ينكر احد من المحدثين، قتل معاوية واتباعه لعمار بن ياسر ومن على شاكلته من صحابة النبي الميامين. افلا يكفي معاوية ان يكون في عداد المبتدعة تسليط ولده الفاجر المستهتر في دين الله على المسلمين: مع العلم بانه قد خالف بذلك سيرة

الشيخين الجليلين ابي بكر وعمر الذين لم يجعلا لأولادهما نصيبا فيها. وفي ولدهما من هو ابر واصلح واتقى من معاوية واولاده بعشرات المرات ولو اردنا ان نستقصي البدع والمنكرات التي احدثها جماعة من الصحابة وماتوا وهم مصرون عليها لخرجنا من ذلك بمجلد اضخم من كتاب السباعي (السنة ومكانتها من التشريع) وكنت اتمنى ان لا ادخل في هذا الموضوع، ولكني كما ذكرت اولا قد رأيت نفسي مضطرا لتقديم هذه الامثلة التي تؤكد ان الذين يرفضون مرويات الشيعة يتسترون بتلك الاسباب التي يدعونها، والواقع ان السبب الاول والاخير الذي لا يمكن التكفير عنه، ولا يدخله عنصر الاجتهاد الذي دخل على تصرفات معاوية واتباعه وعلى من وصفهم القرآن بالمنافقين. السبب الاول والاخير هو موالات الشيعة لعلي واهل بيته (ع) والرجوع إليهم في امور الدين والتكفير عن هذه البدع لا يمكن ان يكون الا بالرجوع عن موالاتهم والتمرغ على اعتاب بعض الصحابة بما فيهم معاوية واتباعه، وما داموا مصرين على ذلك فهم مبتدعة كذابون، والخوارج قوم صلحاء لا يجاملون ولا يستعملون التقية كما يصنع الشيعة، ولم يكن وسطهم بالوسط الذي يلقبل الدسائس والزندقة والشعوبيين، كما هو الحال بالنسبة إلى الرافضة على حد تعبير السباعي وغيره (١). ونحن إذ نبارك له ولاسلافه من العلماء والمحدثين، فكرة الرجوع إلى الخوارج واخذ الدين عنهم، نريد ان نلفت نظر القراء إلى ان اهل السنة يشترطون العدالة في الراوي بالاضافة إلى الاسلام، ويفسرون العدالة بفعل الواجبات واجتناب المحرمات، مع العلم بان الخوارج يكفرون جميع المسلمين، لانهم لم يشتركوا معهم في جهاد الامويين، ويكفرون عليا واتباعه، وعثمان وحزبه، ويستحلون دماء واموال جميع

(١) انظر ص ٩٥ من الكتاب المذكور.

من لم يساندهم ويدين بآرائهم، هذا بالاضافة إلى تشريعاتهم المنافية لاصول الاسلام ومبادئه، لان فيهم من جوز نكاح بنات الاولاد وبنات اولاد الاخوة (١). وادعى يزيد بن انيسه احد قادتهم ان الله سيبعث نبيا من العجم بكتاب ينسخ شريعة محمد بن عبد الله (ص). و فيهم من ادعى بان سورة يوسف ليست من القرآن، إلى غير ذلك من الآراء المنافية لضرورات الاسلام والتي تجعلهم في عداد الكفار والملحدين (٢)، ومع ذلك فالخوارج صادقون لا يستحلون الكذب، والشيعة مبتدعة كذابون. وجاء عن بعض المحدثين من السنة انه سمع شيخا منهم بعد ما تاب يقول: ان هذه الاحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فانا كنا إذا هوينا امرا صيرناه حديثا. وبهذه المناسبة يقول الحافظ ابن حجر: هذه والله قاسمة الظهر للمحنجين بالمراسيل، إذ بدعة الخوارج كا نت في مبدأ الاسلام، والصحابة متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم، وهؤلاء إذا استحسنوا امرا جعلوه حديثا واشاعوه، فربما سمع الرجل الشئ فحدث به، ولم يذكر من حدثه به فيحمله منه غيره، ويجئ الذي يحتج بالمنقطعات فيحتج به مع كون اصله ما ذكرنا (٣). على ان السباعي يرسل اقواله جزافا وينسبها إلى اهل السنة ليؤيد بها ادعاءه ويركز على اساسها حملاته المسعورة على الشيعة.

---

(١) وهم العجاردة اتباع ميمون المجردي احد امرائهم. (٢) انظر مقالات الاسلاميين للاشعري، والتبصير في الدين للاسفرائيني، وكتابنا الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ص ٥٦ وما قبلها. (٣) انظر ص ٩٨ من شيخ المضيرة عن توجيه النظر ص ٢٤٥.

والواقع ان الباحث المتتبع يمكن ان ينتزح من آرائهم ونصوصهم حول هذه المواضيع ان الاكثرية الغالبة ترفض رواية الشيعي بقول مطلق بنحو يصح نسبته إلى جمهور اهل السنة واحسب ان هذا هو اول ما يهتدي إليه الباحث بعد استقصاء آرائهم وتمحيصها لانهم متفقون على انهم من اهل البدع والاهواء وبدعتهم ليست كغيرها من البدع التي يمكن ان يجد لها الانسان تفسيرا مقبولا على حد زعمهم، ومع ذلك فلا يصح نسبته إلى الجميع. وجاء في الباعث الحثيث للشيخ احمد محمد شاكر ما يؤيد ذلك، حيث قال: اهل البدع والاهواء إذ كانت بدعتهم مما يحكم بكفر القائلين بها لا تقبل روايتهم بالانفاق كما نص على ذلك النووي، واضاف إلى ذلك ان السيوطي انكر الالفاق الذي يدعيه النووي، لوجود القائل بقبول روايتهم مطلقا، ووجود من يقول بقبولها إذا اعتقد الراوي حرمة الكذب. واما من كانت بدعته لا توجب الكفر، فان بعضهم لم يقبل روايته مطلقا، وبعضهم قبلها إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه، وروى ذلك عن الشافعي، حيث قال: ما رأيت في اهل الاهواء والبدع اشهد بالزور من الرافضة. وقال بعضهم: تقبل رواية المبتدع إذا لم يكن داعية إلى بدعته ولا تقبل إذا كان داعية إليها، وفي رأي النووي ان الاكثر يذهبون إلى ذلك (١). ومن مجموع ذلك تبين انهم لم يتفقوا على رأي واحد في هذه المسألة، وان بينهم من يرجح قبول رواية المبتدع في الاحوال كلها، وان

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ١٠٠.

كان الاكثر يشترط ان لا يكون داعية إليها كما نص على ذلك النووي وقال الحافظ الذهبي في المجلد الاول من الميزان في ترجمة ابان بن تغلب: ان الشيعي إذا لم يكفر الشيخين ابي بكر وعمر ولم يتبرأ منهما تقبل روايته، ثم قال في وصف ابان: انه شيعي جلد، لكنه صدوق فلنا صدقة وعليه بدعته، واضاف إلى ذلك. فلقائل ان يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع ؟ وحد الثقة العدالة والاتقان، فكيف يكون عدلا وهو صاحب بدعة، وجوابه ان البدعة على ضربين صغرى كالتشيع بلا غلو، وغلو التشيع، وهذه كثيرة في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه والحط على ابي بكر وعمر، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة، ولا استحضر من هذا النوع رجلا صادقا ولا مأمونا، بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله، حاث ا وكلا فالغالي في زمان السلف وعرفهم، هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا (ع) وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين ايضا، فهذا ضال مفتر كذاب ونقل عن الحافظ ابن حجر ما هو قريب من هذا النص (١). وهذا النص من الذهبي يكاد ان يكون صريحا في ان صدق الراوي ووثاقته لا بد من مراعاتهما في الراوي ايا كانت صفته، والشيعي مع انه على جميع حالاته مبتدع، ولكن إذا لم يبلغ الحال به إلى تفكير من حارب عليا (ع) والبراءة من الشيخين لا ترد روايته إذا كان صدوقا وضابطا للحديث، وهو وان لم يعبر عن رأي الجمهور في هذه المسألة، الا ان الكثير منهم على ذلك، كما يبدو من نصوصهم وتصريحاتهم.

---

(١) المصدر السابق ص ١٠١.

قال ابن حجر في هدى الساري في تحديد المبتدع الذي لا تقبل مروياته: ان الموصوف بالبدعة، اما ان يكون ممن يكفر بها أو يفسق فالمكفر بها لا بد وان يكون التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الائمة، كما في غلاة الرافضة المدعين حلول الالوهية في علي (ع) وغيره، والايمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيمة أو غير ذلك، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شئ. والبدعة الموجبة للفسق كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لاصول السنة خلافا ظاهرا والمستندين في خلافهم إلى تأويل ظاهر سائغ، فقد اختلف اهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله، إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة، موصوفا بالديانة والعبادة، فقيل يقبل حديثه مطلقا، وقيل يرد مطلقا، وفصل آخرون بين ان يكون داعية لبدعته، أو غير داعية لها فقبلوا حديث غير الداعية، وردوا حديث الداعية لها واضاف إلى ذلك. ان هذا المذهب هو الاعدل وصارت إليه طوائف من الائمة، وادعى ابن حيان اجماح اهل النقل عليه. وفصل بعضهم في رواية المبتدع الذي لا يدعو لبدعته، بما حاصله ان غير الداعي إلى بدعته إذا اشتملت روايته ولو من بعيد على ما يؤيد بدعته، أو يحسنها في ظاهر الحال فلا يصح التعويل على حديثه، وان لم يشتمل حديثه على شئ من ذلك يصح الاعتماد عليه إلى غير ذلك من الاقوال الكثيرة التي اوردها العسقلاني في مقدمة فتح الباري (١). وكما ذكرنا لا يستطيع الباحث ان ينتزع مبدأ عاما صريحا في عدم قبول مرويات الشيعة بقول مطلق يعبر عن رأي الجميع ويصح اعتباره

مذهبا لهم والذي يمكن نسبته إلى الاكثرية ان السشيعي إذا لم يعلن البرائة ممن تقدم على على (ع) في الخلافة ولم

---

(١) انظر ص ١٤٤ و ١٤٥ من المجلد الثاني من هدى الساري.

يكن داعيا إلى تشيهه ولا متحمسا له يصح الاعتماد على حديثه إذا كان معروفا بالصدق ومتحررا من منافيات الوثاقة والمروءة على حد تعبير بعضهم، اما إذا كان ممن يتبرأ من اخصام علي (ع) ويدعو إلى بدعته التي هي التشيع في اصطلاحهم، أو يروي ما يؤيدها فلا يكون مقبول الحديث، ومن هنا يصح ان يقال ان الشيعي الاثني عشري لا يصح الاعتماد على مروياته عند الاكثرية الغالبة، لعدم توفر الشروط التي يشترطونها لقبول روايته مع التشيع بهذا المعنى. ويجد الباحث هنا وهناك في خلال احاديثهم من يرجح الاخذ برواية الشيعي إذا لم يكن مغاليا، وهؤلاء على قلتهم قد فصل بعضهم بين ما إذا وردت رواية الشيعي من طريق السنة ايضا، وبين ما إذا تفرد بها الشيعي، ففي الاول ترد روايته اطفاء لناره واخمادا لبدعته على حد تعبيرهم وفي الحالة الثانية يصبم الاخذ بها والاعتماد عليها إذا كان معروفا بالصدق ولم يكن لروايته صلة ببدعته، تقديما لمصلحة انتشار الحديث على مصلحة اهانة المبتدع، لان من مصلحة الحديث نشره واظهاره. وفي مقابل هذه المصلحة رد حديث المبتدع المستلزم لاهانته والتشهير بكذبه حتى لا تتسرب دسائسه إلى النفوس، ولكن مصلحة انتشار الحديث المرتبة على الاخذ برواية المبتدع الصادق اولى بالمراعات من تلك المصلحة (١). وقد وقف الغزالي من هذه المسألة موقفا معتدلا بالنسبة إلى غيره من شيوخ السنة، يرجع حاصله إلى ان اشتراط العدالة في الراوي إذا كان من جهة تحصيل الاطمئنان والوثوق بحديثه والعادل يتجنب الكذب

---

(١) المصدر السابق، وهذا التفصيل يصور لنا مدى الحقد والتعصب ضد الشيعة الذي امتزج بدماء هؤلاء وتحكم ا في تفكيرهم ومداركهم واعماهم عن ادراك ابسط الحقائق واقربها الى النفوس البريئة التي لا ترى للحق بديلا. (*)

ويتحرز الاخذ من غير الموثوقين، فالمبتدع بناء على ذلك مهما كانت بدعته إذا كان صدوقا يتجنب الكذب ويتحرى الصواب، ويبتعد عن غير الموثوقين. ينبغي ان تؤخذ روايته بعين الاعتبار، وإذا كان اشتراط العدالة راجعا إلى ان الفسق بذاته يمنع من قبول الشهادة والرواية، من حيث كونه نقصا يسلب المتصف به اهلية الاعتماد عليه كالكفر مثلا، فالمبتدع من حيث كونه فاسقا يفقد اهلية تحمل الشهادة والرواية. وقد رجح مانعية الفسق من الاعتماد على الرواية لا من حيث ذاته بل من حيث ان الفاسق متهم في حديثه، ولا يكون محلا للوثوق والاطمئنان في الغالب، وانتهى من هذه المقدمة إلى ان المبتدع مهما كانت بدعته، إذا كان ورعا صدوقا متمسكا في دينه لا يستحل الكذب، يصح الاخذ بمروياته والاعتماد عليه في الحديث وغيره، وإذا لم يكن بهذه الصفات لا يعتمد عليه في شئ من امور الدين (١). وهذا التفصيل من الغزالي اقرب إلى المنطق والصق بالواقع من جميع ما قيل حول المبتدع ومروياته وتؤيده الآية الكريمة. (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما

فعلتم نادمين) حيث ان الظاهر من الآية الكريمة ان الفاسق انما وجب التبين في حديثه والفحص عن صحته والوقوف عنده حتى ينكشف الحال من حيث احتمال كذبه، وعدم صدقه فيما اخبر به لا من حيث مانعية الفسق بذاتها. ولعل البخاري، لا ينظر إلى المبتدعة من الزاوية التي نظر منها الغزالي فلم يرو عمن ثبت تشيعه الا عن عدد لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة ولم يرد ذكر لاحد منهم في اكثر من رواية أو روايتين، ولعل ذلك من حيث ان الروايات التي وردت عن طريقهم رواها غيرهم من السنة

---

(١) انظر المستصفي ص ١٠٢ من الجزء الأول.

كما اعتذر بعض المحدثين عنه بالنسبة لروايته عن حمران بن اعين، وروى عن بعض المتهمين بالتشعيع، وعلى قلة تلك المرويات فقد ضعفها جماعة من محدثي السنة لمجرد هذه التهمة، كما روى عن عدد كبير من الخوارج، والنواصب. والقدرية والمرجئة وغيرهم ممن وصفهم علماء السنة ومحدثوهم بالمبتدعة ولكن بدعتهم لا تمنع من صدقهم على حد تعبيرهم. وقد فرق العسقلاني في مقدمة فتح الباري بين التشيع والرفض، والغلو في الرفض بما حاصله ان التشيع هو محبة علي (ع) وتفضيله على الصحابة فمن قدمه على ابي بكر وعمر فهو رافضي غال في التشيع، ومن لم يقدمه عليهما فهو شيعي، فإذا ذكر الشيعي سبب التقدم على الشيخين، أو صرح ببغضهما فهو غال في الرفض، ومن كان يعتقد بالرجعة فاشد غلوا (١). وبنتيجة هذه الفروق التي ذكرها ابن حجر لمراتب التشيع، يتبين ان الذين روى عنهم من الشيعة ممن يقدمون عليا (ع) على الخليفتين ابى بكر وعمر لا يتجاوزون اصابع اليد الواحدة، كما تؤيد ذلك الاحصاآت التي اجراها النقاد لاحاديث البخاري، وجميع المتهمين بالتشيع بين رجاله كما يظهر من كتب اهل السنة المؤلفة في التراجم واحوال الرواة لا يتجاوزون خمسة عشر تقريبا، ويتسع التشيع عندهم لكل من يحب عليا أو ينتقد اخصامه. فإذا وجدوا شخصا معتدلا في تقديره لسحوادث ومنصفا في عرضها، أو وجدوه ينتقد سيرة بعض الخلفاء والحكام الامويين، اتهموه بالتشيع، ووقفوا موقف المتحفظ من مروياته، وقد يتهم الراوي بالتشيع لمجرد أنه يروي فضيلة لعلي أو حديثا حسنا فيه. ويؤيد ذلك ما جاء في المجلد الثالث من الميزان للذهبي في اثناء حديثه عن محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٢١٠، فقد قال في وصفه:

---

(١) انظر هدى الساري ص ٣٣٣.

انه ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر ولازم ذلك ان الموالاة التي تبلغ اعطاء علي صفة الافضلية على غيره تمنع من قبول مروياته. وقال فيه احمد بن علي السليماني الحافظ: انه كان يضع للروافض (١) وقد ضعف المؤلفون في الحديث واحوال الرواة اسماعيل ابن سليمان بن المغيرة الازرق التميمي الكوفي لانه ممن روى حديث الطائر المشوي. وقال فيه أبو حاتم سمعت ابن نمير يقول: كان اسماعيل بن الازرق من غلاة الشيعة، ولا مصدر لمن

اعطاه هذه الصفة الا روايته للحديث المذكور، وليس في كتب الرجال ما يشير إلى تشيعه فضلا عن غلوه في التشيع. ومما يؤيد انهم كانوا لا يتحملون من الراوي ما يرويه في فضائل علي (ع) ان الحافظ عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي المتوفى سنة ٣٧٣ احد الاعلام في عصره، كان يدرس عددا من تلاميذه، فاتفق له انه املي عليهم حديث الطائر المشوي، فلم يتحملوا منه ذلك، بل وثبوا عليه فاقاموه من مكانه وغسلوا موضعه، فلزم بيته ولم يحدث احدا بعد ذلك، ولذا قل حديثه عند الواسطيين كما نص على ذلك في تذكرة الحفاظ (٢) ومن الشواهد على ذلك. ان عباد بن يعقوب ابا سعيد الكوفي المتوفى سنة ٢٥٠ ممن روى عنه البخاري حديثا واحدا، ورواه غيره من محدثي السنة، وورد لعباد بن يعقوب ذكر في بعض اسانيد البخاري وتعرض للنقد والطعن عليه، لروايته عنه، بحجة انه كان داعية إلى الرفض، مع اعترافهم بانه كان صدوقا في حديثه. كما يؤيد ذلك ابن العماد الحنبلي، والحافظ الذهبي، وكان ابن خزيمة إذا حدث عنه يقول حدثنا الثقة في روايته المتهم في رأيه، ولا مصدر لهم في تشيعه وغلوه في

---

(١) انظر ص ٥٩٩ من المجلد ٣ من ميزان الاعتدال. (٢) انظر الامام الصادق والذاهب الاربعة ج ٦ ص ٣١٠.

الرفض الا انه كان يقول: ان الله اعدل من ان يدخل الجنة طلحة والزبير، لانهما بايعا عليا ثم نكثا بيعته وقاتلاه. وروى عن جماعة ان النبي (ص) قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ى والف كتابا في احوال الصحابة لم يتحيز فيه وروى ما يتعلق بفضل علي (ع) مع العلم بان كتب التراجم الشيعية لا تنص على تشيعه، بل ينص اكثرها انه كان عامي المذهب، وممن نص على ذلك المرزا محمد في اتقان المقال، والطوسي في كتابه الفهرست (١) ومهما كان الحال فالباحث بعد التمحيص لاحوالهم وآرائهم حول هذا الموضوع يطمئن إلى ان الرأي الشائع عندهم الذي يصح نسبته إليهم هو عدم قبول مرويات الشيعة الامامية الذين يفضلون عليا على غيره من الخلفاء ويرونه وابناءه (ع) احق بالخلافة بعد الرسول ممن تولاها على التعاقب ومن الجائز القريب ان يكون هذا الموقف السلبي من مرويات الشيعة في مختلف العصور هو من نتائج الحظر الشامل الذي وضعه معاوية وولاته على مرويات الشيعة وحتى على شهاداتهم، ولقد اكد هذا الحظر في وثيقته التاريخية التي وزعها في مختلف الاقطار الاسلامية واقتدى به غيره من الامويين طيلة حكمهم الذي استمر نحوا من ثمانين عاما فكان من نتيجة ذلك ان اصبح من المرتكزات في اذهانهم يرثها الخلف عن سلفه في مختلف العصور / انظر ج / ٣ النهج.

---

(١) انظر شذرات الذهب ج ٣ ص ١٢١ وتهذيب التهذيب ص ١٠٩ و ١٠٠ وهدى الساري ٤١١ ومنهج المقال في علم الرجال للمرزا محمد.

الفصل الخامس من رجال البخاري

بالرغم من تلك الهالة التي للبخاري وجامعه في نفوس آلاف العلماء والمحدثين من السنة، التي بلغت حدود الغلو المفرط. والتقديس لكل مروياته، بالرغم من ذلك فقد تعرض للنقد والطعن كغيره من كتب الحديث، من ناحية الاسناد والمتن، وعرض بعض النقاد عيوب جماعة من رواته ونص على عدم توفر الشروط المطلوبة فيهم، ولكن اكثر المؤلفين في الرجال قد تطوعوا للدفاع عنهم، وحاولوا تغطية عيوبهم بمختلف الاساليب، واسرف بعضهم في دفاعه بعدما عجز عن اثبات برأتهم مما الصق بهم، فقال: لا يجوز الطعن في اي كان من رجال البخاري ما لم يكن امره واضحا لا يقبل التأويل والتوجيه، وما دام التأويل والتوجيه ممكنا، فكلهم فوق الشبهات والاهواء، واستشهد هؤلاء بقول المقد سي وغيره من المحدثين: قال في هدى الساري في الموضوع نفسمه، وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول: كل من روي عنه من الصحيح فقد جاز القنطرة، كما نص على ذلك القشيري، الشيخ أبو الفتح في مختصره، واضاف إلى ذلك. انه لا يجوز الخروج عن هذا الاصل الا بحجة ظاهرة، وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين. واقر هذا المبدأ ابن حجر في مقدمة فتح الباري، ودافع دفاعا قويا عن الرجال الذين تعرضوا للنقد والتجريح من رجال البخاري بعد ان

عرض ما قيل فيهم من قدح ومدح، ولم يستطع ان يستر تحيزه لهذا المبدأ، ولا غلوه في تعظيم الصحيح وتقديس رجاله، كما يبدو ذلك من الفصل الذى عرض فيه الاسماء التي تعرضت لسنقد في كتب الرجال (١). الفصل، الذي عرض فيه الاسماء التي تعرضت للنقد في كتب الرجال (١). إليهم وتضعيفها، ونؤكد ما ذكرنا اولا من انا لا نستبعد على البخاري ان يكون قد اعتمد على ما يعتقد بسلامته من العيوب متنا وسندا. ككل باحث يتحرى الصحيح حسب اجتهاده، ولكل انسان ان يجتهد كما اجتهد هو وغيره، ولكن لا يلزم انسان باجتهاد غيره مهما بلغت مرتبته من العلم والتدقيق والاحاطة. وسنعرض في هذا الفصل جماعة من رجال الصحيح للبخاري والكافي للكليني معتمدين فيما قيل فيهم على المؤلفات التي تبحث في هذه المواضيع عند السنة والشيعة. وقد تعرضنا في الفصول السابقة لجماعة من الصحابة الذين اعتمد عليهم البخاري في صحيحه وروى عنهم المئات من الاحاديث، مع العلم بأن الذين كتبوا في الجرح والتعديل لم يتعرضوا لمن اسموهم بالصحابة الا بما يوحي بالقداسة والفضل العظيم، لان شرف الصحبة جعلهم فوق مستوى الناس اجمعين، لذا فان الذين تعرضوا للنقد والتجريح من رجال البخاري كلهم من الطبقة الثانية وما بعدها. ولا نريد في هذا الفصل ان نستقصي جميع المشبوهين والمتهمين بالبدع والانحرافات الخلقية والعقائدية، لان استيعاب هذه الناحية بكاملها لا يتسع لها كتاب واحد، لا سيما وان هذه الدراسات التي تناولت كتابين من ابرز كتب الحديث واجلها عند السنة والشيعة لم تكن لهذه الغاية.

---

(١) انظر ١٤٤ جزء ٢ من المقدمة.

ومهما كان الحال فالكتابان قد تعرضا للنقد والهجوم وبخاصة فيما يتعلق برجالهما. لا سيما بين المتأخرين من اعلا م الفريقين وان كانت الهجمات التي تعرض لها البخاري وصحيحه من بعض اعلام السنة قد تطوع لردها العشرات من العلماء والمحدثين لان من روى عنه فقد جاز القنطرة وصحيحه اصح كتاب بعد كتاب الله كما يؤكد ذلك اكثرهم. ونقدم اولا بعض النماذج من المعتمدين عند البخاري قال ابن الصلاح: لقد احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الطعن بهم كعكرمة مولى ابن عباس، واسماعيل بن اويس، وعاصم بن علي وعمر بن مرزوق وغيرهم وغيرهم. وقال العراقي في شرح الفيته في مقام الرد على من قال ان من شرط البخاري انه لا يخرج الا عن الثقة حتى ينتهي إلى الصحابي: قال: هذا القول ليس بجيد، لان النسائي ضعف جماعة اخرج لهم الشيخان، وقال البدر العيني: في الصحيح جماعة جرحهم بعض المتقدمين. وجاء في العلم الشامخ: في رجال الصحيحين من صرح كثير من الائمة بجرحهم وتكلم فيهم من تكلم بالكلام الشديد. وقال الشيخ احمد شاكر في شرحه لالفية السيوطي: وقد وقع في الصحيحين كثير من رواية بعض المدلسين، والتدليس في الرواية من الاسباب الموجبة لضعف الراوي، وعدم وثاقته، لان التدليس في واقعه يرجع إلى الكذب والاغراء. وقال شعبة بن الجاج امام الجرح والتعديل على حد تعبير بعض المؤلفين في احوال الرواة: لان ازني احب الي من ان ادلس، واضاف إلى ذلك، ان التدليس اضر من الكذب. ونص جماعة من الفقهاء والمحدثين منهم الشافعي على عدم قبول

روايته مطلقا (١) وقال جماعة: من اشتهر بالتدليس اصبح من المجروحين الذين لا تقبل مروياتهم مطلقا، وان صرح بالسماع بعد ذلك. وممن اشتهر بالتدليس أبو هريرة الذي اعتمد عليه البخاري اكثر من جميع الصحابة. قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله (ص) كذا وانما سمعه من غيره، ونص الذهبي في سيرة اعلام النبلاء. على ان يزيد بن ابراهيم سمع شعبة بن الجاج يقول: كان أبو هريرة مدلسا. وجاء في البداية والنهاية. ان يزيد بن هرون سمع شعبة يقول فيه ذلك. ويروي ما سمعه من كعب الاحبار ومن رسول الله (ص) ولا يميز بين هذا وهذا، وعندما يتصدى له احد بالسؤال ويحقق معه في الحديث الذي ينسبه لرسول الله (ص) يتراجع احيانا ويقول اخبرني به مخبر، ولم اسمعه من رسول الله (ص) وبلغ عائشة انه يروي عن الرسول انه سمعه يقول: من اصبح جنبا فلا صوم له، فانكرت عليه وقالت له: متى سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك فقال لها كما جاء في رواية البخاري، وابن سعد، وابن كثير وغيرهم: لقد شغلك عن حديث رسول الله (ص) المرآة والمكحلة والخضاب فاصرت على انكارها عليه والتشهير به وروت عن الرسول بانه كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام، فيغتسل ويصوم، فتراجع بعد ذلك، وقال انها اعلم مني: اني لم اسمعه من رسول الله (ص) وانما سمعته من الفضل بن العباس.

---

(١) التدليس في الرواية ان يروي الراوي عمن عاصره ولم يسمع منه بقصد ايهام الغير انه قد سمع منه. كما لو روى بلفظ سمعت فلانا أو قال لي فلان من غير ان يسمع منه أو يراه.

قال ابن قتيبة: لقد استشهد أبو هريرة بالفضل بن العباس بعد موته، ونسب الحديث إليه ليوهم الناس بانه قد سمعه منه (١). وقال الحافظ الذهبي: التدليس من الصحابة كثير الا انه لا يضر، ولا عيب فيه، هذا مع العلم بان التدليس من العيوب التي لا تقل خطرا عن الكذب، ان لم يكن افظع منه، وقد عده علماء الجرح والتعديل سببا كافيا لتضعيف الرواية وسقوطها عن درجة الاعتبار، ولكنه إذا صدر من صحابي فلا حكم له، لان الله سبحا نه قد رفع عنهم ما وضعه على غيرهم، ولانهم مجتهدون في كل ما يفعلون وعدالتهم اثبت من الجبال الرواسي لا تتصدع بجميع المنكرات والمعاصي. ولذا فان النقاد وعلماء الجرح والتعديل قد وضعوا عددا كبيرا من رجال البخاري في قفص الاتهام والصقوا بكل واحد عيوبه، ولم يذكروا في عدادهم من الصحابة الا مروان بن الحكم لانه قتل طلحة في اعقاب واقعة الجمل، وشهر السيف طلبا للخلافة على حد تعبير بعضهم، واعتذر عنه جماعة منهم ابن حجر في مقدمة فتح الباري، بانه كان متأولا فيه (٢). ويقصدون بذلك انه خاف ان ينسحب من المعركة كما انسحب منها القائد الثاني الزبير، وتلك جريمة لا مبرر لها، لانهم يقاتلون قوما اشركوا بالله واستحلوا حرماته بنظر مروان وعصابته، ونص بعضهم انه كان متأولا من حيث انه كان مقتنعا بان طلحة ممن حرض على عثمان واعان على قتله. ومهما كان الحال فقد روى البخاري عن جماعة من الخوارج والنواصب والقدرية والمرجئة وغيرهم ممن وصفهم المحدثون والفقهاء

---

(١) انظر شيخ المضيرة عن سير اعلام النبلاء وموطأ مالك. (٢) انظر هدى الساري ص ٦٧٨.

بالمبتدعة، ومن بين هؤلاء نحوا من خصسمة عشر راويا طعن فيهم المحدثون بتهمة التشيع، وسنعرض قي هذا الفصل جماعة ممن تعرضوا للنقد واتهموا بالانحراف من رجال البخاري. فمن هؤلاء عكرمة مولى عبد الله ابن العباس، وقد تعرض لاعنف الهجمات واسوأ الاتهامات من المتقدمين على البخاري والمتأخرين عنه ومرد الطعون الموجهة إليه إلى الامور التالية الاول انه كان يكذب في الحديث وينسب لعبدالله بن العباس وجاء عن ابن سيرين وسعيد بن المسيب، وعطاء ويحيي بن سعيد الانصاري، ومالك ابن انس، والقاسم بن محمد وغيرهم انه كان من الكذابين المعروفين وحبسه علي بن عبد الله في بيت الخلاء لانه اسرف في الكذب على ابيه، وقال سعيد بن المسيب لغلامه: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على عبد الله، إلى غير ذلك من النصوص التي تصفه بالكذب والوضع. الثاني من الطعون الموجهة إليه انه كان يعتنق فكرة الخوارج. ويدعو إليها في افريقيا وغيرها وانتشرت في تلك البلاد بسببه، فقد روى الحاكم في تاريخ نيسابور قال: كنت قاعدا عند عكرمة، فاقبل مقاتل ابن حيان واخوه، فقال له مقاتل: يا ابا عبد الله ما تقول في نبيذ الجر فقال عكرمة: هو حرام، قال ما تقول فيمن شربه: قال اقول انه كافر. وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ الغرباء: وبالمغرب إلى وقتنا هذا قوم على مذهب الاباضية يعرفون بالصفرية يزعمون انهم اخذوا عن عكرمة. وقال ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٢٧: كان عكرمة عبدا لعبد الله بن العباس فباعه علي بن عبد الله لخالد بن يزيد بن معاوية باربعة آلاف دينارا، ثم رجع عكرمة إلى علي وقال له: اتبيع علم ابيك باربعة آلاف دينارا، فاستقاله فاقاله واعتقه، واضاف إلى ذلك ان عبد الله ابن الحرث قال: دخلت على علي بن عبد الله وعكرمة موثق على باب كنيف فقلت له: اتفعلون هذا بمولاكم، قال ان هذا يكذب على ابي: واستطرد

في حديثه عنه ووصفه بانه كان خارجيا يرى رأي الخوارج ويدعو إليه ومات وله من العمر ثمانون عاما (١). واكد هذه الحقيقة كل من يحي بن بكير، وخالد بن ابي عمران الحصري، ومعصب الزبيري، واحمد بن حنبل وغيرهم، ودافع عنه جماعة من المحدثين، وكان من اشدهم حماسا له ابن حجر في مقدمة فتح الباري، وما ذاك الا لان البخاري يعتمد عليه في جامعه ويكثر من الرواية عنه (٢). الثالث من الطعون، انه لان يساير الامراء ويقف على ابوابهم طمعا. في جوائزهم، ومن كانت هذه حالته يضطر إلى مجاراتهم وتقريض اعمالهم. وقد اسهب في مقدمة فتح الباري في سرد ما قيل فيه من مدح وذم، ودفع جميع الطعون الموجهة إليه اعتمادا على نصوص بعض المحدثين الذين اثنوا على دينه وعلمه، مع العلم بان الرأي الشائع المعمول به عند جمهور المحدثين فيما لو تعارض الجارح والمعدل، هو تقديم الجارح، لان المعدل يخبر عما ظهر من حاله والجارح يخبر عن باطن خفي على غيره، وإذا كان عدد المعدلين اكثر، فقد قيل بتقديم التعديل، والصحيح الذي عليه الجمهور كما نص ابن الصلاح ان الجرح مقدم على كل حال (٣). ومن الغريب ان يطعن الحفاظ والمحدثون فيمن كان يساير الحكام ويطمع في جوائزهم ولا يطعنون فيمن كان يشترك معهم مباشرة في الحكم والظلم والبغي وقتل الابرياء كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة بى مروان

---

(١) انظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٠١. (٢) انظر المقدمة ص ١٩٢، ١٩٣ و ١٩٤. (٣) انظر الاضواء ص ٢٨١.

ابن الحكم وبسر بن ارطاة وامثال هؤلاء من العشرات الذين روى عنهم البخاري في صحيحه عشرات الروايات، ولم يجرأ احد من الانقاد ان يتعرض لم بنقد أو تجريح. ومنهم اسماعيل بن اويس، وقد ضعفه النسائي، وقال فيه سلمة بن شبيب ما يوجب طرح روايته على حد تعبير ابن حجر في مقدمة فتح الباري، كما ضعفه ابن معين والدارقطني وغيرهما، ولم يستطع ابن حجر ان يثبت امام الطعون الموجهة إليه، ولكنه اعتذر عنه، بانه قد اجتمع بمحمد بن اسماعيل البخاري، واخرج له احاديثه لينتقي منها وطلب منه ان يرشده إلى الصحيح من غيره ليحدث به، واستنتج من ذلك ان البخاري لم يدون في صحيحه الا الصحيح منها (١). ومنهم عروة بن الزبير، احد الحاقدين على علي (ع) الذين كانوا يروون فيه الاكاذيب ارضاء لسيدهم معاوية بن ابي سفيان، وروى عنه الزهري بانه سمع عائشة تقول: كنت عند رسول الله (ص) إذ اقبل علي والعباس، فقال النبي (ص) يا عائشة ان هذين يموتان على غير ديني. وروى عنها انها قالت: كنت عند رسول الله (ص) فقال النبي (ص) يا عائشة: ان سرك ان تنظري إلى رجلين من اهل النار فانظري إلى هذين، فنظرت وإذا بعلي والعباس قد اقبلا علينا. وجاء في شرح النهج لابن ابي الحديد عن جرير بن عبد الحميد عن محمد بن. شيبة قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا (ع) فنالا منه، فبلغ علي بن الحسين (ع) فجاء حتى وقف عليهما، فقال اما انت يا عروة فان أبي حاكم اباك إلى الله فحكم لابي على ابيك، واما انت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك بيت ابيك، واضاف إلى ذلك. إذ عاصم بن ابي عامر الجبلي حدث عن يحيى ابن عروة انه قال: كان ابي إذا ذكر عليا (ع) نال منه إلى غير ذلك مما

(١) المقدمة ص ١٥١، ج ٢.

يؤكد انه كان ناصبيا كارها لعلي (ع)، وقد اكثر البخاري من الرواية عنه وعن ولده هشام بن عروة، الذي روى عن ابيه وورث عنه النصب والعداء الشديد لعلي واهل بيته (ع) (١). ومنهم حريز بن عثمان احد المتعصبين والمبغضين لعلي وبنيه (ع) وجاء في المجلد الاول من شرح النهج، ان حريز بن عثمان كان ينتقصه ويبغضه ويروي عنه اخبارا مكذوبة، وقد قيل ليحيى بن صالح الوضاحي: لقد رويت عن مشايخ من نظراء حريز بن عثمان، فما بالك لم تحمل عنه، قال لقد اتيته: فناولني كتابا، فإذا فيه حدثني فلان عن فلان ان النبي (ص) لما حضرته الوفاة اوصى ان تقطع يد علي بن ابي طالب (ع) فرددت الكتاب ولم اسمتحل ان اروي عنه شيئا. وجاء في تاريخه انه كان إذا دخل المسجد ليصلي فيه لا يخرج منه في يلعن عليا سبعين مرة، وجاء عن اسماعيل بن عياش انه قال: رافقت حريزا من مصر إلى مكة فجعل يسب عليا ويلعنه، ثم قال لي: هذا الذي يرويه الناس ان النبي (ص) قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى حق، ولكن اخطأ السامع، قلت: فما هو ؟ قال: انما هو انت مني بمكان قارون من موسى (٢). وجاء عنه انه قال: يا اهل العراق انتم تحبون عليا ونحن نبغضه ولما سألوه عن سبب ذلك اجاب بانه قتل اجداده (٣). ومنهم أبو بردة بن ابي موسى الاشعري احد النواصب المغالين في بغضهم لعلي (ع) قال في المجلد الاول من شرح النهج: ومن المبغضين

(١) انظر المجلد الاول من شرح النهج ٣٥٨ - ٣٧٠. (٢) المصدر السابق ص ٣٦٣. (٣) نفس المصدر ص ٣٧٠.

القالين له أبو بردة بن ابي موسى الاشعري، ورث البغض له لا عن كلالة وجاء عن عبد الرحمن بن جندب ان ابا بردة قال لزياد بن ابيه: اشهد ان حجر بن عدي قد كفر بالله كفرة اصلع، عنى بذلك انه اخذ الكفر عن على (ع). وروى عبد الرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف انه قال: سمعت ابا بردة يقول لابي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر، انت قتلت عمارا قال نعم: فتناول يده وقبلها، ثم قال له: لا تمسك النار ابدا (١). ومن الغريب ان ابن حجر في مقدمته عد اكثر من اربعمائة من رجال البخاري. ممن طعن فيهم جماعة من المحدثين بما يوجب ضعفهم وعدم الوثوق بهم وعد منهم ستة من النواصب المعروفين بعدائهم لعلي (ع) ولم يذكر احدا من النواصب الذين ذكرناهم، مع انهم قد اشتهروا بهذه الصفة اكثر من غيرهم، ولعله من حيث انه لا يجد سبيلا للدفاع عنهم. ومهما كان الحال، فإذا اضفنا هؤلاء إلى الستة الذين ذكرهم ابن حجر في مقدمته واضفنا الجميع إلى النواصب من الصحابة، يبلغ عدد النواصب بين رجال البخاري نحوا من ستين ناصبيا على وجه التقريب. كما يبلغ عدد الخوارج الذين روى عنهم في صحيحه اكثر من ثلاثة عشر خارجيا حسب التهم الموجهة إليهم في كتب التراجم واحوال الرجال. وإذا اردنا ان نتلمس له ولامثاله من المحدثين العذر بالنسبة إلى نواصب الصحابة من حيث انهم قد اجتهدوا في كل ما صدر عنهم كما يزعم اهل السنة فهل يجد لهم الباحث عذرا مقبولا يبرر اعتمادهم

على مرويات هذا النوع من التابعين، ويسوغ لهم رد مرويات الشيعي الداعي إلى

---

(١) المجلد الاول من شرح النهج: ص ٣٧٠.

تشيعه كما رجح ذلك اكثرهم، ولماذا كان المفضل لعلي (ع) على غيره والقائل بانه هو الخليفة الشرعي بعد رسول الله (ص) اسوأ حالا ممن كان يقول في حجر بن عدي الكندي الصحابي الجليل، لقد كفر بالله كفرة اصلع، كأبي بردة بن ابي موسى الاشعري وعروة بن الزبير وامثالهما من السبابين الفحاشين الذين قد اكثر البخاري من الرواية عنهم، وهم اسوأ حالا من الخوارج الذين كانوا يكفرون جميع المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم لمجرد انهم لم يقفوا إلى جانبهم في المعارك التي دارت بينهم وبين الامويين، ولم يقروا آراءهم التي لا ترتكز على اساس صحيح من العلم والدين والمنطق، مع العلم بانه قد عاصر الامامين الهادي والعسكري (ع) ولا بد وان يكون قد ادرك الامام الجواد ولم يرو عنهم شيئا كما وانه لم يرو عن الائمة الصادق والكاظم والحسن الزكي، ولا عن غيرهم من السادة العلويين والرواة لاحاديث اهل البيت الذين عاصرهم وعرف عن نشاطهم قي جمع الحديث وتدوينه وتصفيته في الفترة التى مر بها في معالجة هذه المواضيع. ومجمل القول ان الشيخ محمد بن اسماعيل البخاري، مع انه وجد في عصر كانت مدارس الفقه والحديث في منتهى نشاطها عند جميع الفرق والمذاهب الاسلامية ونشاط الشيعة كان بارزا ملموسا في اوائل القرن الثالث الذي ظهر فيه البخاري في مختلف العواصم والمناطق الاسلامية. لا سيما الكوفة وبغداد وقم وغيرها من المدن الكبرى التي كانت تجمع العشرات ممن تفرغوا لدراسة الحديث وتدوينه، ومع ذلك فلم يرو عن احد منهم. ولا عن الائمة الثلاثة الذين عاصرهم، ولا عن الامام الصادق (ع) مؤسس مدرسة الفقه والحديث وولده الامام موسى بن جعفر، ولا عن احد من العلويين كزيد بن علي وغيره. مع العلم بان زيد بن على قد ترك اثرا في الفقه والحديث، من ابرز مؤلفات ذلك العصر، وترك تلاميذ

الائمة (ع) آلاف المؤلفات كما تدل علي ذلك الفهارس المخصصة لاحصاء مؤلفات الشيعة (١). هذه المؤلفات علي سعتها اكثرها من مرويات الامامين الصادق وابيه محمد الباقر، وهي لا تتعدى احاديث الرسول واقضيه على وفتاويه خلال ثلاثين عاما قضاها بعد وفاة الرسول في نشر العلم والاثار الاسلامية ومع ذلك فالبخاري لم يرو عنه في صحيحه سوى تسعة عشر حديثا، بينما روى عن ابي هريرة اكثر من اربعمائة وخمسين حديثا، وعن انس بن مالك المعروف بعدائه لعلي (ع) اكثر من مأتي حديث، وقد تجاهل الحسن بن علي (ع) الذي نشأ في احضان الرسول وتخرج من مدرسة علي أمير المؤمنين (ع) وبقي بعد جده وابيه منهلا لرواد العلم ومصدرا كريما لكل مسترشد يروي لهم احاديث جده، ويعلمهم احكام الاسلام كما نزلت من عند الله، ومع ذلك فلم يروعنه البخاري شيئا وروي عن عبد الله ابن الزبير، وعده صحابيا فوق الشبهات والاهواء مع انه هو والحسن بن علي (ع) في سن واحدة تقريبا، وهو الذي ترك الصلاة على النبي اربعين يوما عداوة لعلي وال علي (ع). هذه

المواقف من البخاري مع الشيعة وائمة الشيعة من الصعب ان يجد لها الباحث تفسيرا مقبولا لاسيما وهو يروي عن الخوارج والنواصب وامثالها من المنحرفين و المفسرين في الشهوات والمنكرات وجميع الآثام. وإذا قلنا ان البخاري لا يروي عن الشيعة ولاعن ائمتهم، فلا نقصد من ذلك ان صحيحه خال من الشيعة، وانما الذي نعنيه ان الشيعة في عصره وقبله ان لم يكونوا ابرز من غيرهم في جميع الميادين والمواضيع العلمية، فلا اقل من انهم كانوا كغيرهم من علماء السنة ومحدثهم وقد

---

(١) انظر الفهرست في اسماء المؤلفين من الشيعة والنجاشي وغيرهم.

انصرفوا إلى تصفية الحديث وتصنيفه قبل لم ان يقوم البخاري بمهمته التي تعد تجولا جديدا في تاريخ الحديث عند السنة، ومع ذلك لم يرو عن هذه الطبقات التي عاصرته ولا عن التي قبلها وتجاهل الائمة الكرام الذين حدثوا ص جدهم الرسول وابيهم علي (ع) وعن كرام الصحابة، لا نقصد ان ندعي انه خال من الرواة المعتنقين لفكرة التشيع، لان الباحث يجده في بعض الاسانيد يعتمد احيانا على بعض الشيعة كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، وعبد الملك بن اعين في حديث واحد رواه عنه سفيان بن عيينة في كتاب التوحيد من صحيحه، والثلاثة الاول وان احيط تشيعهم باكثر من شبهة عند السنيين والشيعيين، ولكنهم في واقعهم اقرب إلى التشيع من التسنن، لا سيما سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج بن يوسف لانه لم يعلن براءته من علي وبنيه (ع) كما نص على ذلك اكثر المؤرخين، هذا بالاضافة إلى ان كتب التراجم السنية لا تعد سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد من رجال الشيعة. وهب ان هؤلاء واكثر منهم ممن اتهم بالتشيع بين رجال البخاري من الشيعة البارزين والداعين إلى التشيع، فهل يرفع ذلك عن البخاري الذي جاء لتصفية الحديث، وجمع صحيحه من ستماية الف حديث مسؤولية اهماله لآلاف الرواة والمحدثين من الشيعة الذين شاركوه في رحلاتهم الطويلة لدراسة الحديث، واهماله لثلاثة من الائمة الذين عاصروه (١) وتجاهله للامام الصادق وولده الكاظم وحفيده الامام علي ابن موسى (ع) وللحسن السبط، مع اكثاره من مرويات ابي هريرة المدلس (٢) وابن هند واتباعه، وعكرمة الخارجي، وعروة الناصبي، وروايته عن عمران بن حطان ورفاقه من الخوارج، لذا فان الباحث لم

---

(١) الجواد والهادي والعسكري (ع). (٢) بشهادة ابن قتيبة. وشعبة بن الحجاج امام اهل الجرح والتعديل وغيرهما.

يجد بدا، من التسائل، بل وحتى من اتهامه بالتعصب ضد الشيعة كما ذكرنا. ولو افترضنا ان له عذرا بالنسبة لاهماله لرواة الشيعة ومحدثيهم فهل يستطيع احد ان يجد له عذرا مقبولا يجعله في حل من تجاهله للامام الصادق والائمة الهداة من ذرية الرسول (ع) الذين كا نوا يروون عنه وعن جدهم علي (ع) وكانوا على صلة باراء جميع الفقاء والمحدثين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم. ومنهم محمد بن شهاب الزهري احد علماء التابعين، المتوفى سنة ١٢٣، وكانت

صلاته بقصور الامويين من اوثق الصلاة، وتولى لهم القضاء فافاضوا عليه من عطائهم وهباتهم، كما تؤكد ذلك المصادر التاريخية. ومن المعلوم ان الحكام وبخاصة الامويين منهم كانوا ابعد عن الدين واهله من غيرهم، ولم يقربوا من العلماء الا من كان يؤيد تصرفاتهم، ويمنحهم صفات الخلفاء الشرعيين لرسول الله (ص). وجاء في تاريخ اليعقوبي، ان عبد الملك بن مروان لما منع الناس من الحج إلى مكة يوم كان ابن الزبير مسيطرا على الحجاز، ضج الناس من منعهم عن اداء فريضة الحج، فاستنجد عبد الملك بالزهري لكي يجعل له مخرجا من تلك الازمة، فوضع له حديثا عن الرسول (ص) ينص على انه قال: لا تشد الرحا ل الا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، وان الصخرة التي وضع رسول الله قدمه عليها تقوم مقام الكعبة فبنى عبد الملك على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج، واقام لها سدنة واخذ الناس ان يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة نكاية باخصامه السياسيين (١).

---

(١) انظر ص ٨ من المجلد الثاني من تاريخ اليعقوبي.

وقد وصفه الذهبي في المجلد الرابع من ميزان الاعتدال با لتدليس (١). ٦ - احمد بن بشير الكوفي روى عنه البخاري في صحيحه، وعده النسائي، وعثمان الدارمي من الضعفاء، واكد عثمان الدارمي بانه من المتروكين الذين لا يعتمد على مروياتهم توفي سنة ١٩٧. ٧ - احمد بن صالح المصري أبو جعفر الحافظ، قال النسائي فيه: ليس بثقة ولا مأمون، تركه محمد بن يحيى، ووصفه ابن معين بالكذب وقال معاوية بن صالح: سألت يحيى بن معين عن احمد بن صالح، فقال كذاب يتفلسف وقد دافع عنه ابن حجر في مقدمة فتح الباري على عادته مع المتهمين من رجال البخاري. ٨ - احمد بن ابي الطيب المروزي، وصف احاديثه أبو حاتم الرازي بالضعف، وجاء في ميزان الاعتدال. انه كان يروي المناكير، وتولى شرطة بخارى من قبل حكامها. ٩ - ابراهيم بن عبد الرحمن السكسكي، ضعفه احمد بن حنبل، ويحيى ابن سعيد، وترك حديثه الدارقطني، ورجح تركه النساني، ومع ذلك فقد روى عنه البخاري حديثين، واعتمد عليه في بعض الاسانيد. ١٠ - احمد بن عيسى المصري، قال في التهذيب: لقد حلف ابن معين بانه كذاب وقال سعيد بن عمرو اليربوعي: لقد انكر أبو زرعة على مسلم روايته عنه واضاف إلى ذلاك، ان ابا زرعة قال: ما رأيت اهل مصر يشكون في انه واشار إلى لسانه، اي انه كذاب.

---

(١) انظر ص ٤٠، ج ٤، من الميزان.

---

١١ - اسحاق ين سويد بن هبيرة العدوي، كان ناصبيا يهاجم الامام علي بن ابي طالب (ع) ضعفه جماعة من المحدثين، ومع ذلك فقد روى عنه البخاري، ومسلم وابو داوود والنسائي. ١٢ - اسحاق بن محمد بن اسماعيل، ضعفه أبو داوود والنسائي، وقال الدارقطني والحاكم في المستدرك، لقد تعرض البخاري للنقد من جهة روايته عنه. ١٣ - اسماعيل بن ابان الوراق احد شيوخ البخاري ضعفه

جماعة من المحدثين، ووصفه بعضهم بالانحراف عن الحق، يعنون بذلك انه كان يميل إلى التشيع (١). ١٤ - اسيد بن زيد الجمال، ضعفه كل من النسائي وابن معين والدارقطني ورجح ضعفه كل من ابن عدي وابن حيان، واضاف ابن حيان انه كان يروي المناكير ويسرق الحديث، ويظهر منهم انه كان متهما بالتشيع، فقد جاء في كلام البزار عنه، احتمل حديثه مع شيعية شديدة عنه (٢). ١٥ - ثور بن يزيد الحمصي، كان من القائلين بالقدر، وقد نهى الاوزاعي وابن المبارك عن كتابة حديثه والاعتماد عليه. ١٦ - حصين بن نمير الواسطي ضعفه ابن معين، وابو أحمد الحاكم في الكنى، وقال فيه جماعة: انه كان ناصبيا يشتم عليا (ع).

---

(١) وقد ورد ذكره في كتب الرجال عند الشيعة، ولم يظهر منها ما يشعر بتشيعه أو وثاقته ولم يذكروا له مدحا ولا ذما الا عن طريق التقريب لابن حجر. (٢) ليس في كتب الرجال ما يشير الى تشيعه. ولا هو من الشيعة. والظاهر انه كان معتدلا في تسننه.

---

١٧ - الحسن بن عمارة الكوفي كان كذابا، وقد اطبقوا على تركه، كما جاء في مقدمة فتح الباري. ١٨ - خالد بن مخلد القطراني الكوفي من كبار شيوخ البخاري، طعن في احاديثه جماعة منهم احمد بن حنبل، وتوقف في امره آخرون لانه كان غاليا في التشيع على حد زعمهم، وقال فيه ابن سعد: انه منكر الحديث مفرط في التشنيع، وعد له ابن عدي عشرة احاديث من المنكرات. وروى عنه البخاري بسنده إلى ابي هريرة ان رسول الله (ع) قال: ان الله عز وجل قال: من عادى لي وليا فقد اذنني بالحرب وما تقرب الي عبدي بشئ أحب الي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده انني يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، فلئن سألني عبدى لاعطينه، ولان استعاذ بى لاعيذنه، وما ترددت في شئ انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته، ولا بد له منه (١). وقد عد المحدثون هذا الحديث من الغرائب، ولكن هيبة الجامع الصحيح الذي دون فيه هذا الحديث تمنعهم من طرحه، وعدوه من منكرات خالد بن مخلد على حد تعبير الذهبي في المجلد الاول من الميزان. وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: كان خالد بن مخلد

---

(١) والواقع ان الحديث يشتمل على بعض الفقرات المنكرة والتى لا يمكن الالتزام بها بالنسبة إلى الله تعالى " مثل قوله وما ترددت في شئ انا فاعلة ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن " فان نسبة التردد إلى الله لا تنفك عن الجهل بالمصالح والنتائج المرتقبة. ولعل هذه الزيادة في الحديث من موضوعات ابي هريرة.

احد الحفاظ بالكوفة، رحل واخذ الحديث عن مالك وطبقته، وتوفي سنة ٢١٣. وليس في كتب الرجال الشيعية له ذكر، ولو كان من الشيعة أو من المفرطين في التشيع كما يدعى ابن سعد وغيره لورد ذكره حتما بين رجال الشيعة، لانهم لم يهملوا احدا، بل تعرضوا حتى لمن كان تشيعه محاطا بشئ من الغموض، وخالد بن مخلد لو كان من رجال الشيعة كما تنص على ذلك بعض المؤلفات السنية لا يمكن اهماله لاسيما وهو من كبار شيوخ البخاري. ١٩ - داود بن

الحصين المدني، قال فيه الذهبي: قد تفرد بأشياء منها ولاؤه لعثمان وآله ومنها انه كان خارجيا يرى رأي الخوارج، ويروي الاحاديث المنكرة، وكان يتقي حديثه سفيان بن عيينة، وتوقف فيه أبو حاتم، وكان علي بن المديني يقول: مرسل الشعبي وسعيد بن المسيب احب الي من مسند داوود عن عكرمة عن ابن عباس (١). ٢٠ - رفيع أبو العالية الرياحي: قال فيه الشافعي: ان احاديث ابي العالية الرياحي رياح لا يعتد بها (٢). ٢١ - زكريا بن يحيى بن عمر بن حصين من شيوخ البخاري، طعن فيه الدارقطني، واضاف: بأنه متروك الحديث، ووصفه الحاكم، بانه يخطئ في احاديثه. ٢٢ - زياد بن عبد الله بن الطفيل ضعفه علي بن المديني وابن سعد وقال ابن حيان: لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد به، كما ضعفه النسائي وجماعة آخرون، ومن غرائب احاديثه ما رواه عن عطاء بن السائب بسنده

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ص ٥ ج ٢. (٢) نفس المصدر ص ٥٤.

إلى ابن عباس، ان رجلا قال: يا رسول الله، ايصبغ ربك ؟ قال نعم صبغا لا ينقض احمر واصفر وابيض (١). ٢٣ - سالم بن عجلان الافطس مولى بني امية، كان من دعاة المرجئة، وينفرد برواية المعضلات من الاحاديث، ويقلب الاخبار كما يريد، وجميع من ترجمه ذكر انه قد اتهم بامر سوء، فقتل لهذه الغاية، ونص في الميزان على ان الذي تولى قتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس. ٢٤ - سلمة بن رجاء التميمي ضعفه النسائي وقال فيه ابن معين: ان حديثه ليس بشئ، وقال ابن عدي: انه حدث بأحاديث لا يتابع عليها. ٢٥ - سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي كان يروي عن الضعفاء والمجاهيل، وكان على حد تعبيرهم، لو ان رجلا وضح له حديثا لم يفهم ولم يميز، واضاف إلى ذلك الدارقطني. انه كان يروي المناكير، يأخذها عن الضعفاء ويحدث بها، وقد ذكره العقيل في كتاب الضعفاء. ٢٦ - عاصم بن علي بن عاصم، قال فيه يحيى بن معين: كل عاصم في الدنيا ضعيف، وضعفه كل من ابن معين والنسائي، وأورد له ابن عدي بعض الاحاديث المنكرة عن شعبة (٢). ٢٧ - عباد بن راشد التميمي، ضعفه يحيى القطان، والنسائي وابو داود، وجاء في ميزان الاعتدال ان البخاري ذكره في كتابه الضعفاء. ٢٨ - عبد الله بن صالح الجهني كاتب الليث بن سعد كذبه جماعة في الحديث واتهمه آخرون، ونفى عنه النسائي الوثاقة، وذمه احمد بن

---

(١) نفس المصدر، ص ٩٣. (٢) مقدمة فتح الباري، ج ٢ ص ١٧٦.

حنبل، ووصفه بعضهم بالتدليسى في بعض أحاديثه، وقال احمد بن حنبل لقد روى عبد الله بن صالح عن الليث عن اي ذؤيب، وما سمع الليث ابن سعد من اي ذؤيب شيئا. ووثقه جماعة من المحدثين، كما دافع عنه ابن حجر في مقدمته، وجاء في هدى الساري: ان خالد بن نجيح كان مصاحبا له، ويضع الحديث في كتبه بخط يشبه خطه وربما كتب الحديث ورماه في داره فيظن عبد الله انه من خطه فيأخذه ويحدث به إلى غير ذلك مما قيل فيه من الطعون (١). ٢٩ - عبد الله بن عبيدة الزيدي اخو موسى بن عبيدة، كما جاء عن ابن

معين، ولم يرو عنه غير اخيه موسى، وحديثهما من نوع الضعيف عند المحدثين. ٣٠ - عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن انس، طعن فيه كل من النسائي وزكريا الساجي، والعقيلي، ونص زكريا الساجي انه كان ضعيفا يروي المناكير. ٣١ - عبد الحميد بن عبد الرحمن، وصفه ابن معين بضعف العقل، وضعفه في الحديث ابن سعد والعجلي، ونسب إليه أبو داود انه كان داعية للارجاء. ٣٢ - عبد الكريم ابن ابي المخارق أبو امية البصري متروك ضد أئمة الحديث وقد نص النسائي على ضعفه، روى عنه البخاري في كتاب التهجد من صحيحه. ٣٣ - عبيد الله بن موسى ابن أبي المختار العبسي أحد الشيوخ

---

(١) انظر مقدمة فتح الباري، ص ١٧٨، ج ٢ وج ٢ من الميزان ص ٤٤١ و ٤٤٢.

للبخاري اتهمه المحدثون بالتشيع، وانه كان يروي فيه بعض الاحاديث المنكرة وقد ضعفوه لهذه الغاية ونص ابن معين: على انه كان يستضعف فيما يرويه عن جامع سفيان الثوري (١). ٣٤ - عدي بن ثابت الانصاري التابعي المشهور على حد تعبير ابن حجر في مقدمة فتح الباري، تردد في مروياته جماعة من المحدثين، لانه كان يغلو في التشيع بزعمهم. وقال عنه أبو حاتم: انه كان امام مسجد الشيعة وقاضيهم، ونص ابن حجر، ان البخاري لم يرو عنه شيئا يقوي بدعته. وقال الذهبي في الميزان: لو كانت الشيعة مثله لقل شرهم، وقال عنه ابن معين: انه شيعي مفرط، واضاف إلى ذلا لي الدارقطني، انه رافضي غال (٢). ٣٥ - عمر بن ابي سلمة التنيسى الدمشقي صاحب الاوزاعي، ضعفه يحيى بن معين، وزكريا الساجي، وقال أبو حاتم، لا يحتج بحديثه، واضاف إلى ذلك احمد بن حنبل، انه روى احاديث باطلة عن زهير بن محمد. ٣٦ - عمر بن هاني العبسي كان داعية إلى القول بالقدر بمعنى التفويض ومن انصار الامويين ومن الدعاة المتحمسين لبيعة يزيد بن

---

(١) لم يرد له ذكر في رجال الشيعة. وكما ذكرنا من قبل ان الراوي يتهم بالتشيع أو الغلو فيه لانه يروي فضيلة لعلي (ع) أو ينتقد اخصامه كطلحة والزبير ومعاوية. (٢) والظاهر ان التشيع المنسوب لعدي بن ثابت من نوع التشيع المنسوب لغيره ولذا فان المؤلفين في الرجال لم يذكروه في عداد الشيعة ويبدو انه لم يكن يتشدد في مواقفه على اخصام علي (ع).

عبد الملك، وقد قتله مروان الحمار آخر حكام الدولة الاموية، روى عنه البخاري في صحيحه ثلاثة احاديث. قال العباس بن الوليد بن صبيح: قلت لمروان بن محمد لا أرى سعيد بن عبد العزيز روى عن عمير بن هاني العبسي، فقال: كان عمير ابغض إلى سعيد من النار، قلت ولما قال: اوليس هو القائل على المنبر حين بويع ليزيد بن عبد الملك، سارعوا إلى هذه البيعة، انما هما هجرتان هجرة إلى الله ورسوله، وهجرة إلى يزيد، ولاه الحجاج أمر الكوفة وعزله عنها، لانه لم ينفذ له جميع اوامره على حد زعمه (١). ٣٧ - فليح بن سليمان الخزاعي، ضعفه يحيى بن معين، والنسائي، وابو داود، وقال الدارقطني: انه مختلف في امره، وقال ابن عدي ان احاديثه بين صالح وغريب. ٣٨ - محمد بن طلحة بن مصرف الكوفي، قال ابن معين: ثلاثة يتقى حديثهم، محمد بن طلحة، وفليح بن سليمان،

وايوب بن عتبة، ونص ابن سعد على انه له احاديث منكرة، وقال عثمان: ان الناس كانوا يكذبونه، وتردد في امره يحيى بن معين، ولم يرجح وثاقته، كما خطأه أبو داود وغيره. ٣٩ - محمد بن زياد الالهانى، أبو سفيان الحمصي، كان هو وحريز بن عثمان معروفين بالنصب والعداء لعلي (ع) ومع ذلك فقد وثقه جماعة من المحدثين وروى عنه البخاري وغيره (٢). ٤٠ - محمد بن فضيل بن غزوان الكوفي كل وثقه جماعة، وتوقف

---

(١) انظر دلائل الصدق للمظفري، ج ١، ص ٥٣. (٢) المصدر السابق ص ٦.

في امره آخرون لتشيعه، كما يدعي ابن حجر في مقدمة فتح الباري واضاف إلى ذلك. ان ابا هاشم حدث عنه انه كان يقول: رحم الله عثمان، ولا رحم من لا يترحم عليه: وانه رأى عليه اثار أهل السنة والجماعة (١). ٤١ - مطرح بن يزيد أبو المهب، مجمع على ضعفه كما نص على ذلك الذهبي في المجلد الرابع من الميزان، واضاف إلى ذلك، لقد ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال ابن حيان: مطروح لا يروي الا عن ابن زهر، وعلي بن يزيد، وهما ضعيفان. وهو الذي روى عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن ابي امامة، انه قال: خرج رسول الله (ص) من عند عمه حين قبض وهو يقول: ما زلت بعمي حتى تركته في ضحضاح من نار (٢). ٤٢ - معلى بن منصور أبو ليلى كذبه احمد بن حنبل، ونقل عبد الحق عن احمد بن حنبل، انه رماه بالكذب، ونص ابن سعد على ان جماعة من اصحاب الحديث لا يروون عنه. ٤٣ - المغيرة بن مقسم، أبو هشام احد فقهاء الكوفة، كان يدلس في حديثه كما نص على ذلك ابن فضيل، وضعف حديثه احمد بن حنبل عن ابراهيم النخعي، وادعى ان ما رواه عن ابراهيم انما سمعه عن حماد، ويزيد بن الوليد.

---

(١) ولعلهم لذلك لم يقفوا منه موقف المتصلب وقد عده المرزا محمد والشيخ محمد طه من رجال الشيعة الوثوقين. (٢) الميزان ص ١٢٢، ج ٤.

وقال العجلي: انه كان عثمانيا (١). وأكد ابن حيان واسماعيل القاضي، بأنه كان مدلسا. ٤٤ - محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله ابن اخي الزهري، حدث ثلاثة احاديث عن النبي لا أصل لها كما جاء في مقدمة فتح الباري، وقد ضعفه يحيى بن معين، ونص أبو حاتم على ان حديثه ليس بقوي. ٤٥ - المنهال بن عمر الاسدي، ضعفه جماعة من المحدثين، وقال فيه يزيد بن ابي زياد: ان شهادته على درهمين لا تقبل، وكان المغيرة بن مقسم، ينهي الاعمش عن الرواية عنه، ونص ابن الجوزجاني، على انه سئ المذهب (٢). ٤٦ - عبد الله بن سالم الاشعري الحمصي كان ناصبيا يشتم عليا (ع) وقد ضعفه جماعة، ومع ذلك فقد روى عنه البخاري. ٤٧ - قيس بن ابي حازم البجلي، هاجر إلى النبي (ص) فلم يتوفق لرؤيته مع انه ادرك الجاهلية، ولانه لم يلق النبي (ص) لم يكن في عداد الصحابة، وقد ضعفه جماعة من المحدثين، وبالغ آخرون في تزكيته وكان ناصبيا يهاجم عليا (ع) ويروي احاديث منكرة. ٤٨ - فليح بن سليمان الخزاعى أبو يحيى المدني، ضعفه يحيى بن معين، والنسائي، وابو داوود، وتردد فيه الدارقطني، وغمزه الساجي ونص ابن عدي على

ان له احاديث من نوع الغرائب، وقد اعتمد عليه البخاري واخرج عنه في المناقب وغيرها من مواضيع كتابه.

---

(١) وكلمة عثمانيا. تعنى النصب والكراهية لعلي (ع). (٢) ليس في كتب الرجال ما يؤكد تشيعه. والظاهر انه كان معتدلا في تسننه ينكر على معاوية واتباعه تصرفاتهم. ولا يتعرض لعلي وآله بسوء.

---

٤٩ - قطر بن خليفة المخزومي، قد ضعفه جماعة من المحدثين، وجاء، عن ابي بكر بن العياش انه ترك حديثه لسوء مذهبه، اي لان فيه تشيعا قليلا على حد تعبير ابن عدي، ونص الجوزنجاني على عدم وثاقته. وقال احمد بن يونس: كنا نمر به وهو مطروح ولا نكتب عنه شيئا. ٥٠ - ثور بن زيد الديلمي، شيخ الامام مالك، كان يرى رأي الخوارج ويقول بالقدر. ٥١ - خيثم بن عراك بن مالك، قال ابن حازم: لا تجوز الرواية عنه، وقال سعيد بن زيز، ومصعب الزبيري: استفتى امير المدينة مالكا عن شئ فلم يفته، فأرسل إليه ما منعك من ذلك، قال لانك وليت خيثما على المسلمين، فلما بلغه ذلك عزله. ٥٢ - نعيم بن حماد الخزاعي، ضعفه النسائي، ونسبه بعض المحدثين إلى الوضع في الحديث، ونص ابن معين على انه يتوهم الشئ فيخطئ فيه. وقد روى بسنده إلى النبي (ص) انه كان يقول: رأيت ربي في احسن صورة، شابا موقرا رجلاه في خضرة طيه نصلان من ذهب (١). ٥٣ - هشام بن حجير المكي، ضعفه يحيى بن معين، ويحيى القطان وعده من الضعفاء أبو جعفر العقيلي، وقال سفيان بن عيينة: لم نأخذ عنه الا ما لم نجده عند غيره.

---

(١) الميزان ج ٤ ص ٨٦٩.

---

٥٤ - هشام بن عروة الزبيري، كان يحدث احاديث فينكرها عليه أهل بلده، وجاء عن مالك انه كان لا يرتضي حديثه، وجاء عنه انه نسي في اخر عمره فكان يحدث ولا يعرف ماذا يحدث به، كما نص على ذلك ابن القطان وغيره، والظاهر ان الامام مالك كان سئ الرأي فيه من غير ناحية الحديث كما يظهر من هدى الساري، لابن حجر (١). ٥٥ - هشام بن عمار الدمشقي احد الشيوخ للبخاري، قال فيه أبو داود حدث باربعمائة حديث لا اصل لها، وجاء عن عبد الله بن محمد بن سيار الفرهياني انه قال: كان هشام يلقن كل شئ ما كان من حديثه ويقول: قد اخرجت هذه الاحاديث صحاحا. وقال صالح جزرة، وعبد الله بن محمد بن سيار: انه كان يأخذ أجرة على الرواية، على كل رواية ورقتين درهما (٢). ٥٦ - وهب بن منبه الصنعاني ضعفه جماعة لانه من القائلين بالقدر، وروى عنه حماد بن سلمة انه قال: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الانبياء، تنص على ان من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر فتركت قولي. وروى سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار انه قال: دخلت على وهب بن منبه داره بصنعاء، فاطعمني من جوزة في داره، فقلت وددت انك لم تكن كتبت في القدر كتابا: قال: وانا والله لوددت ذلك. ونص جماعة من المؤلفين في احوال الرجال. ان وهب بن منبه كان وضاعا يحدث عن الكتب التي وجدها في اليمن وجهاتها وينسبها إلى

(١) ص ١١٨ من المجلد الثاني. (٢) انظر الميزان ص / ٣٠٣ / ج / ٤.

رسول الله (ص) وهو واخوه همام اخذا عن ابي هريرة واخذ عنهما الاسرائيليات. التي حدث بها. وكان لهما ولابي هريرة وكعب الاحبار دورا بارزا في ادخال الموضوعات على الحديث وتشويه معالمه. ومن هؤلاء اخذ عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفته التي ادعى ان الرسول اذن له بتدوينها من اقواله وافعاله في حالتي الرضا والغضب على حد تعبيره. وتجد اكثر من الطعن عليه الحافظ ابن كثير في المجلد الاول من تاريخه البداية والنهاية (١). ٥٧ - يحيى بن ابي زكريا الغساني، ضعفه أبو داوود، ووصفه بالجهالة ابن معين، ونص ابن حيان على انه لا تجوز الرواية عنه. ٥٨ - يعقوب بن حميد بن كاسب المدفي، ضعفه النسائي وغير، ونفى عنه الوثاقة يحيى بن معين، ونص أبو داوود ان في مسنده احاديث منكرة، واضاف إلى ذلك. انا قد طالبناه بالاصول فدافعنا، ثم اخرجها بعد ذلك، فإذا تلك الاحاديث بخط طري، زاد فيها واسندها. ٥٩ - يحيى بن عبد الله بن بكير المصري، ضعفه النسائي، وجاء عن ابن معين انه قال: حديثه ليسى بشئ، ونص البخاري في تاريخه الصغير، ان ما رواه يحيى بن عبد الله عن اهل الحجاز في التاريخ فاني اتقيه. ٦٠ - هشيم بن بشير السلمي، قال الثوري لا تكتبوا عنه، وقد اشتهر في التدليس والكذب، واتفق له ان جماعة من اصحابه قد اجمعوا على إذ لا يأخذوا عنه شيئا مما يحدث به، ففطن لذلك، نجعل يقول في كل حديث يذكره، حدثنا حصين. ومغيرة عن ابراهيم، فلما فرغ قال

(١) انظر الاضواء وفجر الاسلام لاحمد امين، وتاريخ الفقه الجعفري والمبادئ العامة للمؤلف.

لهم: هل دلست اليوم ؟ قالوا لا، ضال والله لم اسمع من مغيرة مما ذكرته حرفا واحدا. ٦١ - الوليد بن مسلم مولى بني امية، روى عن مالك عشرة أحاديث لا أصل لها كما جاء في ميزان الاعتدال وهدى الساري. وقال عنه أبو مسهر: كان ياخذ من ابي السفر حديث الاوزاعي، وابو السفر كان كذابا، ونص اكثرهم على انه كان يدلس في الحديث، واحيانا يدلس عن الكذابين. ٦٢ - الوليد بن كثير بر يحى المدني، كان خارجيا يرى رأي الاباضية، وقد ضعفه ابن سعد، وتردد في امره الاساجي، واعتذر عنه ابن حجر بأنه لم يكن داعية إلى الخوارج، وان كان منهم ويرى رأيهم. ٦٣ - عمران بن حطان السدوسي، قال الدارقطني: انه متروك الحديث وخبيث في مذهبه، وقال البرد في الكامل، كان من رؤساء الصفرية وفقهائهم، والدعاة إلى مذهبهم، وهو الذي امتدح ابن ملجم لانه قتل سيد المسلمين وامامهم علي بن ابي طالب بالابيات المشهورة التي يقول فيها: اني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا إلى غير ذلك من الرواة الذين اعتمد عليهم البخاري في صحيحه، وقد ذكر في مقدمة فتح الباري اكثر من اربعمائة من رواة الصحيح تضاربت فيهم آراء المحدثين، من حيث وثاقتهم وجواز الاعتماد على مروياتهم ونص جماعة من ائمة الجرح والتعديل على عدم وثاقتهم وتضعيف مروياتهم. على ان علماء الجرح والتعديل انفسهم، كابن معين،

وابن المديني، ومحمد بن حيان، ويحيى بن سعيد القطان، والذهبي محمد بن احمد بن عثمان، مؤلف الميزان، وابن حزم على بن احمد بن سعيد وغيرهم، قد طعن بعضهم في بعض، ونسب كل منهم إلى الآخر الانحراف والعيوب التي توهن أمره، وتوحى بعدم الوثوق في مروياته واقواله (١). واكتفي بهذه الامثلة من المشبوهين والمتهمين في دينهم وروايتم بين رجال الصحيح الذين يعدون بالمئات تهربا من التطويل والملل، مع العلم بأن هذه الامثلة اليسيرة تكفي القارئ البرئ لان ينظر إلى البخاري كغيره من المؤلفين الذين يعتمدون على اجتهادهم حينا، وعلى غيرهم ممن يحسنون به الظن حينا آخر فيخطئون ويصيبون ككل انسان لم يعصمه الله من الخطا والزلل، وتكفي ايضا لان يكون صحيحه بنظر القراء كغيره من مجاميع الحديث التي جمعت الغث والسمين والصحيح والفاسد مع الاعتراف له بالفضل والعمل الطيب، والجهد المثمر.

---

(١) انظر دلائل الصدق من ص ٩ ح إلى ١٢ وقد اعتمدنا في هذه اللمحة عن هؤلاء الاشخاص على ميزان الاعتدال، وهدى الساري، واقتصرنا على هذا المقدار من المهتمين بالانحراف والمضعفين من رجال الصحيح تهربا من التطويل والملل.

من رجال الكافي لم يستطع المغالون في تقديس مرويات الكافي من المتقدمين والمتاخرين على حماسهم له ان يدفعوا الطعون القاسية التى الصقها علماء الرجال والحديث بكثير من مروياته ولا ان يثبتوا صحة ما جاء فيه بشكل عام في حين ان وصف الصحة كاد ان يكون من ابرز صفاته عند فئة من الاخباريين هم أشبه بحشوية العامة لم يستطيعوا أن يثبتوا صحة مروياته لانه قد اعتمد على اجتهاداته في توثيق الرواة واختيار المرويات، والانسان مهما بلغ شأنه ومهما بالغ في البحث والتنقيب لا يخرج عن كونه انسانا يخطئ ويصيب، ولكن الكليني مع اخطائه الكثيرة لم يشذ شذوذ البخاري، فلم يرو عن صنائع الحكام وخدام القصور ولا عن احد من لا الصحابة ما لم تسمو به الصحبة وترتفع به عن الدنايا والاجرام إلى حيث الكرامة والاعتزاز بالفضيلة والاقتداء بالرسول (ص) بالقول والفعل. ولكنه في الوقت ذاته قد روى عن الغلاة وبعض المنحرفين عن الطريق القويم كما يبدو للمتتبع في كتب التراجم واحوال الرواة، ولعله كان يكتفي بوجود بعض الموثوقين في سند الرواية، وهو مع ذلك لم يوفق لدراسة متون بعض الاحاديث دراسة علمية بقصد التمحيص ومقارنة مضمونها مع منطق أهل البيت واسلوبهم الذي يتفق مع العلم والعقل ومنطق الحياة، ولو فعل ذلك لوجد لزاما عليه ان يتجنب بعض تلك المرويات التي لا تعكس مبدأ الائمة ولا تنسجم مع واقعهم الرفيع الذي يمثل اسلوب جدهم الاعظم وكتاب الله الكريم، مع العلم بأنه قد

دون في الكافي إلى جانب تلك المرويات اقوالم المتكررة وتوصياتهم بان يعرضوا احاديثهم على كتاب الله وانهم لا يحدثون الا بما تقبله العقول ويتفق مع الكتاب، وان ما لا يتفق مع الكتاب يجب طرحه.

ومهما كان الحال فسنتعرض في هذا الفصل لجماعة من المتهمين بالانحراف والمطعون بهم من رجال الكافي معتمدين على الكتب الشيعية التي تعرضت لاحوال الرجال وتاريخهم مع الاختصار حسب الامكان تهربا من التطويل والملل الذي يحسه الكثير من القراء. ١ - احمد ابن ابي زاهر أبو جعفر الاشعري، كان يروي عن الضعفاء والمجاهيل، ولم يكن قويا في نفسه، ومن اجل ذلك لم يسلم حديثه من العيوب كما جاء في الخلاصة للعلامة الحلي. ٢ - احمد بن مهران، ضعفه ابن الغضايري والعلامة في الخلاصة، ولم يشر احد من المؤلفين في الرجال إلى توثيقه. ٣ - يونس بن ظبيان، نص المؤلفون في الرجال على انه ضعيف لا يلتفت إلى حديثه واتفقوا على انه من الغلاة الوضاعين. وجاء عنه انه قال: كنت في بعض الليالي في الطواف فإذا بنداء من فوق رأسي اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فرفعت رأسي فإذا أبو الحسن الرضا (ع) ولما بلغ حديثه هذا ابا الحسن الرضا (ع) غضب غضبا لم يملك معه نفسه ثم قال للرجل لعنك الله ولعن من حدثك. ولعن يونس بن ظبيان الف لعنة يتبعها الف لعنة. اما ان يونس مع ابي الخطاب في اشد العذاب.

وجاء عنه ان بنتا لابي الخطاب ماتت. فوقف يونس على قبرها وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله (١). ٤ - علي بن حسان. كان من الغلاة المعروفين في عصره بالكذب. وتأويل الآيات والاحاديث حسب معتقداته. وقد الف كتابا في تفسير القرآن. اسماه تفسير الباطن. روى اكثره عن عمه عبد الرحمن بن كثير. وروى عنه الكليني رحمه الله في تفسير بعض الآيات ما يؤكد غلوه وفساد عقيدته. وسنتعرض لبعض مروياته في الفصول الآتية. ٥ - علي بن اسباط. المعروف بأبي الحسن المقري كان من القائلين بامامة عبد الله الملقب بالافطح ابن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع)، عده المؤلفون في الرجال من الضعفاء لذلك ولغيره من اسباب التضعيف. ونص بعضهم انه رجع عن رأيه بعد جدال جرى بينه وبين علي بن مهزيار، فالف ابن مهزيار رسالة في الرد عليه بقصد ارجاعه إلى الامام الشرعي. ٦ - عبد الرحمن بن كثير من موالي العباس بن محمد بن عبد الله ابن العباس. كان من الوضاعين كما جاء في كتب الرجال. واخذ عنه ابن اخيه علي بن حسان. واعتمد عليه في كتابه تفسير الباطن كما ذكرنا. وقد اكثر عنه وعن علي بن حسان الكليني في كتاب الحجة من الكافي. وقل ان تجد رواية من مروياتهما سالمة عن الشذوذ والعيوب والغلو المفرط الذي حاربه الائمة انفسهم في مختلف المناسبات ووضعوا المروجين لهذه الافكار في مستوى الجاحدين الذين لعنهم الله واعد لهم العذاب الاليم.

---

(١) انظر الاتقان لشيخ محمد طه ص ٣٩٤ ورجال المرزا محمد حرف إليه.

---

٧ - محمد بن الحسين بن سعيد الصايغ. جاء في النجاشي والخلاصة للعلامة الحلي. انه ضعيف جدا ومتهم بالغلو المنافي لاصول الاسلام. ٨ - علي بن العباس الجرازيني. قال في الاتقان: انه ضعيف جداء ونص في الخلاصة ان له تصنيفا في الممدوحين والمذمومين يدل على خبثه وفساد مذهبه لا يلتفت إليه. ولا يعبأ بما رواه. ٩ - علي بن حمزة البطائني. كان ممن وقف على امامة موسى بن جعفر (ع) وادعى بانه غاب وسيرجع. وجاء في الخلاصة

للحلي. انه اصل الوقف، واشد الخلق عداوة للولي بعد ابي ابراهيم موسى بن جعفر (ع) ونص الكشي في رجاله، ان علي بن الحسن بن فضال قال: علي بن اي حمزة كذاب متهم ملعون، رويت عنه احاديث كثيرة، وكتبت عنه تفسير القرآن من اوله إلى آخره، الا اني لا استحل ان اروي عنه حديثا واحدا. وروى اللاهجي في رجال الفقيه ص يونس بن عبد الرحمن انه قال: مات أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وليس احد من قوامه الا وعنده له المال الكثير، وكان ذلك سبب وقوفهم عليه وانكارهم لموته، وله عند علي ابن ابي حمزة ثلاثون الف دينارا، وقيل فيه اكثر من ذلك (١). ١٠ - عمر بن شمر بن يزيد الجعفي، ضعفه المؤلفون في الرجال، ونسبوا إليه انه دس احاديث في كتب جابر الجعفي ونسبها إليه، واضاف إلى ذلك في الخلاصة. اني لا اعتمد على شئ مما يرويه.

---

(١) انظر اتقان المقال ص ٣٢٢ و ٣٢٣.

---

١١ - صالح بن ابي حماد أبو الخير الرازي، ضعفه اكثر المؤلفين في الرجال وتوقف في امره العلامة في الخلاصة. ١٢ - صالح بن يحيى المزني ضعفه جماعة من المحدثين، ونسبوا إليه ما يشعر بعدم جواز الاعتماد عليه، واتفقوا على انه كان زيدي المذهب. ١٣ - صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان، جاء في نقد الرجال للتفريشي انه كان من الغلاة الكذابين، لا يلتفت إلى احاديثه، واكد ذلك في الخلاصة، ولم يرد عن احد من المؤلفين في الرجال ما يشير إلى جواز الاعتماد على مروياته، أو وثاقته. ١٤ - محمد بن جمهور العمي البصري، جاء في النجاشي عنه. انه ضعيف في الحديث فاسد المذهب، واضاف إلى ذلك، انه قد قيل فيه اشياء الله اعلم بها من عظمها، واكد ذلك عنه اكثر المؤلفين في الرجال ونصوا على ان له شعرا يحلل فيه محرمات الله (١). ١٥ - محمد بن سليمان بن عبد الله الديلمي، نص في اتقان المقال. على انه ضعيف جدا لا يعول عليه في شئ، ومع ذلك فهو متهم بالغلو والانحراف في عقيدته، كما نص على ذلك ايضا المؤلفون في احوال الرواة. ١٦ - محمد بن سنان الزاهري، جاء في رجال النجاشي عنه انه ضعيف جدا لا يعول عليه، ولا يلتفت إلى ما تفرد به. وجاء عن الفضل بن شاذان انه قال: لا احل لكم ان تروا احاديث

---

(١) انظر ص ٣٤٢ من الاتقان ورجال المرزا محمد وغيره.

محمد بن سنان، وعده مع الكذابين المعروفين، كأبي الخطاب ويونس بن ظبيان، ويزيد الصائغ وغيرهم. ورووا عنه انه قال: لا تروا عني مما حدثت به شيئا، فانما هي كتب اشتريتها من السوق، واطال المؤلفون في الرجال الحديث عنه، وذكروا لل ما قيل فيه من مدح وذم، ولم ينتهوا إلى ما يوجب الاطمئنان لمروياته. ١٧ - سليم بن قيس بن سمعان، وثقه جماعة، وضعفه آخرون، وادعى جماعة من المحدثين، ان الكتاب المعروف بكتاب سليم بن قيس من الموضوعات، واطالوا الحديث حوله وحول كتابه، وجاء فيه ان الائمة ثلاثة عشر اماما، وان محمد بن ابي بكر وعظ اباه عند الموت مع انه

كان في حدود السنتين. ١٨ - المفضل بن صالح أبو جميلة الاسدي، جاء فيه انه ضعيف كذاب يضع الاحاديث ويرويها عن الائمة (ع). ١٩ - المفضل بن عمر الجعفي، نص النجاشي في رجاله عنه، بانه كان فاسد المذهب، مضطرب الرواية لا يعبأ به، وروى حماد بن عثمان ان الامام الصادق عليه السلام قال له: يا كافر يا مشرك مالك ولابني اسماعيل. وجاء عن ابن مسكان ان حجر بن زائدة وعامر بن جداعة الازدي دخلا على الامام الصادق (ع) فقالا له جعلنا الله فداك: ان المفضل بن عمر يقول: انكم تقدرون ارزاق العباد، فقال: والله ما يقدر ارزاق العباد وارزاقنا الا الله، ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري وابلغت إلى الفكر في ذلك، حتى احرزت قوتهم فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه، قالا افنلعنه ونبرأ منه قال نعم وجاء في

بعض المرويات ما يشعر بوثاقته والاطمئنان إليه الا ان مجرد ذلك لم يكن كافيا لبرائته مما نسب إليه. ٢٠ - المنخل بن جميل الكوفي، نص المؤلفون في الرجال على انه ضعيف فاسد الرواية، واضافوا إلى ذلك انه من الغلاة المعروفين. ٢١ - القاسم بن محمد الجوهري، كان واقفي المذهب روى عن ابي الحسن موسى بن جعفر (ع)، وقد ضعفه جماعة من المحدثين، ولعل سبب تضعيفهم له انحرافه عن مخطط التشيع. ٢٢ - صالح بن محمد بن سهل الهمداني، من الغلاة الكذابين كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال، وجاء عنه انه قال: كنت اقول في الصادق بالربوبية: فدخلت عليه فلما نظر الي قال: يا صالح انا والله عبيد مخلوقون لنا رب نعبده وان لم نعبده عذبنا. ورجح بعضهم ان الغالي الكذاب هو محمد بن سهل الهمداني من اصحاب الامام الجواد (ع)، وهو الذي اشعار إليه الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة، ونص على انه من المذمومين والمتهمين في عقيدتهم (١). ٢٣ - عبد الله بن عبد الرحمن، جاء في الاتقان وغيره عنه انه غال ضعيف ليس بشئ، ونص التفريشي وغيره على انه كان من كذابة اهل البصرة، وله كتاب الزيارات يدل على خبث عظيم على حد تعبيرهم. ٢٤ - عبد الله بن القاسم الخضرمي المعروف بالبطل، وصفه المؤلفون في الرجال، بانه كذاب غال يروي عن الغلاة لا خير فيه ولا يعتد برواياته. ٢٥ - عبد الله بن القاسم الحارثي، كان من اصحاب معاوية بن

---

(١) انظر رجال المرزا محمد ورجال الشيخ محمد طه ص ٣٠١.

عمار ثم فارقه وقال بالغلو، وجاء عنه في الخلاصة وغيرها. انه غال كذاب ضعيف متروك الحديث. معدول عن ذكره. ٢٦ - محمد بن الحسن بن شمون، جاء عنه. انه كان واقفيا، ثم غلا، ضعيف فاسد المذهب، ونص في نقد الرجال، انه ضعيف متهافت لا يلتفت إليه ولا إلى مروياته. واضاف إلى ذلك انه عاش مائة واربعة عشر عاما. ٢٧ - سلمة بن الخطاب، وصفه المؤلفون في الرجال بالضعف في حديثه، ورجح بعضهم قوته ووثاقته نظرا لاعتماد جماعة منهم احمد بن ادريس، ومحمد بن الحسن الصفار ومحمد بن بابويه الصدوق على مروياته. ٢٨ - محمد بن الوليد الصيرفي شباب، ممن اتفقوا على ضعفه بلسان واحد، ولم يشر احد إلى التردد في امره. ٢٩ - محمد بن علي أبو جعفر القرشي، قال في اتقان المقال: ضعيف جدا فاسد الاعتقاد ة لا يعتمد عليه في شئ، واضاف إلى ذلك انه ورد قم بعد

ان اشتهر بالكذب في الكوفة، فنزل علي احمد بن محمد بن عيسى، ولما اشتهر امره بالغلو تخفى، واخيرا اخرجه منها احمد بن محمد قهرا (١) ٣٠ - محمد بن علي بن بلال، من المذمومين عند المحدثين، ونص الطبرسي في الاحتجاج على وجود بعض المرويات في ذمه والتشهير به، واضافوا إلى ذلك انه كان لديه بعض الاموال إلى الامام (ع) فانكرها وتمنع من صرفها في مواضعها إلى غير ذلك من الطعون الموجهة إليه.

---

(١) انظر الاتقان ومنهج المقال وغيرهما من كتب الرجال.

---

٣١ - احمد بن هلال، جاء في الخلاصة عنه انه ملعون على لسان الحجة محمد بن الحسن (ع) كما ينص على ذلك التوقيع الوارد على يد ابي القاسم بن روح، وجاء في فهرست اسماء المؤلفين للطوسي. انه كان غاليا متهما في دينه، توفي سنة ٢٦٧. ٣٢ - امية بن علي، ضعفه المؤلفون في الرجال، وجاء في الخلاصة ونقد الرجال انه ضعيف الرواية، في مذهبه ارتفاع، اي غلو مفرط. ٣٣ - الحسين بن مياح. من غلاة الشيعة ومن الضعفاء في الحديث كما نص على ذلك في الاتقان والخلاصة، ومنتهى المقال، ولم يتردد في امره احد ممن تعرضوا لحاله. ٣٤ - محمد بن ارومة، جاء في الاتقان وغيره عنه انه من المتهمين بالغلو، وبلغ من تشدد القميين على المتهمين بالغلو انهم قد دسوا من يقتله في جوف الليل، فجاءه الموكل بهذا الامر فوجده يصلي نوافل الليل فتركه ورجع عنه، وينسب إليه انه الف كتابا في تفسير الباطن، وكان ذلك من اسباب النقمة عليه (١). ٣٥ - عبد الكريم بن عمرو بن صالح الخثعمي، جاء عنه انه واقفي خبيث. ونص في الخلاصة على ان الواقفية تدعيه. والغلاة تروي عنه كثيرا. ٣٦ - محمد بن عيسى اليقطيني، ضعفه جماعة من المحدثين، وجاء عنه انه كان يذهب مذهب الغلاة، ووثقه جماعة منهم، واعتمدوا على مروياته، وقد اطال المؤلفون في الرجال الحديث عنه وذكروا كل ما قيل فيه من مدح وذج ولم ينتهوا إلى نتيجة حاسمة في امره (٢).

---

(١) انظر الاتقان ص ٣٣٩. (٢) نفس المصدر ص ٣٥٦.

---

٣٧ - عبد الله بن بحر، وصفه المؤلفون في الرجال بانه ضعيف مرتفع القول. اي انه من الغلاة المبالغين في غلوهم، ولم يتول الدفاع عنه احد منهم. ٣٨ - عمر بن عبد العزيز، يروي المناكير ويخلط في احاديثه كما نص على ذلك اكثر المحدثين، ولم يتحمس للدفاع عنه احد، ولا وصفه احد بالوثاقة. ٣٩ -. مسعدة بن صدقة، كان بتري المذهب، كما نص على ذلك الكشي في رجاله، ولم يتعرض احد إلى توثيقه. ٤٠ - وهب بن وهب، ابوالبختري، قال عنه النجاشي: انه كان كذابا، وقال غيره: انه كان من اكذب البرية، وله عن الصادق (ع) احاديث كلها لايو ثق بها. ٤١ - الحسن بن العباس بن الحريش، نص في اتقان المقال على انه ضعيف جدا له كتاب انا انزلناه في ليلة القدر، ردئ الحديث مضطرب الالفاظ وجاء في الخلاصة ونقد الرجال ان كتابه فاسد الالفاظ موضوع، وهذا الرجل لا يلتفت إليه ولا

يكتب حديثه، وقد روى عنه الكليني في الكافي، باب انا انزلناه في ليلة القدر. واحسب ان هذا العدد اليسير من المتهمين بالانحراف عن المخطط الاسلامي الصحيح يكفي لدحض مزاعم القائلين بان الشيعة يصححون جميع مرويات الكافي، ولا يرتابون في شئ منها، ذلك لان الصحيح كما ذكرنا في الفصول السابقة هو الذي يرويه العادل المستقيم في دينه عن مثله إلى ان يتصل بالنبي أو الامام (ع) ووجود منحرف واحد في سند الرواية يكفي لعدم الاعتداد بها ما لم تقترن ببعض القرائن التي تؤكد صدورها.

الواجب في صحيح البخاري بالامكان ان ينتزع الباحث صفات الواجب عند البخاري من مروياته عن النبي (ص) حول هذا الموضوع المنتشرة في صحيحه هنا وهناك، وبالطبع انه لم يدون فيه الا الاحاديث الصحيحة عنده، لانه اختاره من ستمائة الف حديث على حد زعم المؤلفين في التراجم كما ذكرنا، مع العلم بان البخاري في صحيحه لم يوفق إلى توزيع الاحاديث على المواضيع التي تعرض لا توزيعا كاملا، ذلك لانه يعنون الموضوع احيانا ويروي فيه بعض الاحاديث التي تناسبه واحيانا يروي فيه ما لا يتناسب معه، لذلك فان الباحث إذا اراد ان ينتهي إلى رأيه الاخير في موضوع من المواضيع التي دونها في كتابه لا بد وان ينتهي بقية الابواب ويتتبع المرويات فيها إذا كانت هذه المدونات تعبر عن رأيه في تلك المواضيع. ولعل السر في ذلك ان البخاري لم يمهله الاجل إلى انجاز كتابه ونقله من المسودات التي جمعه فيها، فوافاه الاجل قبل تبييضه وتوزيع احاديثه في الاماكن التي تناسبها، وحذف المكررات منه، كما ذكرنا سابقا ولما جاء دور تلاميذه من بعده دونوه على علاته، ولو امهله الاجل لجاء كتابه مصنفا ومرتبا على الابواب والمواضيع ووافيا بالغرض الذي اراده من تأليفه، وسليما من اكثر العيوب التي لا يستطيع الباحث تجاهلها. كما وانه لم يتعرض للواجب بعنوان خاص، بل تعرض لصفاته تعالى وبعض الخصائص التي تشير إلى حقيقته في مختلف المناسبات

والابواب ففي الباب الذي عقده لتفسير قوله تعالى:، ولتصنع على عيني " قارن بين عين الدجال، وعين الله في اكثر من رواية، وكلها تنص على ان الدجال اعور العين اليمنى، وان الله ليس باعور. وبهذه المناسبة روى عن موسى بن اسماعيل عن جويرية عن نافع عن عبد الله انه قال: ذكر الدجال عند النبي (ص) فقال: ان الله لا يخفى عليكم انه ليس باعور واشار بيده إلى عينه، وان الدجال اعور العين اليمنى، كان عينه عنبة طافية. وروى عن انس ان النبي (ص) قال: ما بعث الله من نبي الا انذر قومه الاعور الكذاب، انه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر، هو الخالق المصور البارئ. وقد اكثر من الروايات التي تنص على خروج الدجال وان عينه اليمنى عوراء وعين الله سليمة من العور، وفي خلال مروياته التي اوردها في هذا الباب روى عن عبيدة عن عبد الله انه قال، جاء حبر من الاحبار إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد انا نجد ان الله جعل السموات على اصبع، والارضين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء والثرى على اصبع، وسائر الخلائق على اصبع، ثم يقول انا الملك، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ورواها مرة ثانية واضاف إليها انه ضحك تعجبا وتصديقا (١). وفيما يتعلق برؤية الله سبحانه وتعالى عما يصفه الجاهلون علوا كبيرا روى في شرح قوله تعالى: " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " عن

جرير انه قال: كنا جلوسا عند النبي (ص) إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته.

---

(١) انظر ص ٢٧٨ و ٢٨٠ و ٣٠٠ المجلد الرابع من الصحيح للبخاري.

وروى عن جرير بن عبد الله انه قال: قال النبي (ص) انكم سترون ربكم عيانا. وروى عنه ايضا انه قال: خرج علينا رسول الله ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته وروى عن ابي هريرة مجموعة من الاحاديث بهذا المضمون، وزاد فيها انه قال: فهل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا لا يارسول الله: قال انكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الامة فيها شافعوها ومنافقواها، فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون له: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون. وجاء فيما رواه عن انس ان المؤمنين يحبسون يوم القيامة فيتشفعون بالانبياء، فكل نبي يأتونه يذكر خطيئته فيعتذر عن مقابلة الرب، فيأتون محمدا (ص) فيستأذن على ربه في داره فيؤذن له، وعندما يراه في داره يخر له ساجدا ويبقى زمنا طويلا، ثم يقول له: ارفع رأسك فيرفع رأسه ويستشفع بمن يريد فيخرج من الدار التي فيها ربه ويدخلهم الجنة، ويخرج جماعة من النار ويدخلهم الجنة ايضا، ثم يعود فيدخل على ربه في داره، فيؤذن له ثانيا فيسجد لله، ثم يرفع رأسه ويشفع فيمن يشفع له، فيخرج منها ويدخلهم الجنة، ثم يدخل الدار التي فيها الله ثالثا، وهكذا يصنع ذلك مرارا حتى لا يبقى في النار الا من يستحق الخلود فيها (١).

---

(١) نفس المصدر ص: ٢٨٣ و ٢٨٧.

ويحدث البخاري عن الله سبحانه في بعض مروياته عن الرسول (ص) انه ينزل عن عرشه الجالس عليه في السماء السابعة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الاخير، فقد روى عن اسماعيل عن مالك عن ابن شهاب عن ابي عبد الله الاغر عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فاغفر له، وروى هذه الرواية بالفاظها من غير ز يادة في ص ١٠٠ عن ابي سلمه ابن عبد الرحمن، وتكرر منه هذا المضمون بهذا السند وغيره. وفي مناسبة ثانية يصور انس بن مالك وابو هريرة الله سبحانه بصورة رجل له رجلان يضع احدهما في جهنم فيملأها، بينما جميع العصاة والكفار لا يملئون الا جانبا منها. فقد روى عن انس انه سمع النبي (ص) يقول: يلقى العصاة في النار فتقول هل من مزيد فيضع قدمه فيها فتقول قط قط: وروى عن ابي هريرة ان الرسول (ص) قال: يقال لجنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد فيضع قدمه فيها فتقول قط قط: وروى عن ابي هريرة ايضا ان النبي (ص) قال تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين

والمتجبرين، وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم، فقال الله سبحانه للجنة: انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي: وقال للنار: انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها، فتقول قط قط قط، فهنالاك تمتلئ ويزوي بعضها

إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه احدا. واما الجنة فينشئ الله لها خلقا تمتلئ بهم. وروى عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد ان النبي (ص) قال: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء ا وسمعة فيذهب ليسجد فيعود وظهره طبقا واحدا (١) وجاء في المجلد الرابع من صحيح البخاري، ان رجلا سأل الله سبحانه ان يخرجه من النار، فاشترط عليه ان لا يسأله غير ذلك، فلما اخرجه منها سأله ان يقربه من باب الجنة، فاخذ عليه العهود والمواثيق ان لا يسأله غير ذلك، فلما قربه منها سأله ان يدخله الجنة والح في سؤاله حتى ضحك منه الله واذن له بالدخول إلى الجنة (٢). وروى في صفحة ٣١٢ من المجلد الثاني ان رجلا اتى للنبي (ص) فقال النبي (ص) للمسلمين من يضيف هذا فاخذه احدهم وآثره على نفسه وعياله فلما اصبح جاء إلى النبي (ص) فقال له: لقد ضحك الله الليلة من فعالكما. ويروي البخاري ايضا عن صفوان بن محرز ان رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله (ص) يقول في النجوى قال يدنو احدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه، فيقول: اعملت كذا وكذا فيقول نعم: ثم يقول له اعملت كذا وكذا، وهكذا واخيرا يقول له: اني سترت عليك في الدنيا، وانا اغفرها لك اليوم، إلى غير ذلك من المرويات التي اوردها البخاري في صحيحه حول رؤية الله وصفاته. ولو انه درس هذه المرويات دراسة موضوعية وحاكم بينها وبين كتاب الله وعرضها على العقل، لو فعل ذلك لا بد وان ينتهي إلى طرحها

---

(١) انظر صر ١٩١ و ١٩٢ المجلد الثالث من الصحيح للبخاري. (٢) المجلد الرابع للبخاري.

لانها لا تنفك عن التجسيم الذي لا يقره العقل ولا الكتاب الكريم الذي ينص على إنه " لا تدركه الابصاري ولا يحيطون به علما " وكيف تتفق هذه الآية مع رواية ابي هريرة التي تنص على ان الله يضع رجله في جهنم ليفي لها بوعده، فتمتلئ عند ذلك ويسكن غضبها، وكيف يرى كما يرى القمر ليلة تمامه والشمس ساعة تنجلي عنها السحب والغيوم، والله يقول: " لا تدركه الابصار ". وهل ينفك القول بان له ساقا عن انه جسم كبقية الاجسام المركبة من الساق والرجل واليد والعين وغير ذلك. وكيف يضحك على من يرجوه طمعا في كرمه وجوده واين تكون الدار التي يسكنها رب ابي هريرة، افي السموات ام في الارض، وإذا كان يسكن في دار، ويحويه مكان معين، فقد خلت منه بقية الدور والامكنة والجهات، واصبح كسائر الممكنات التي لا توجد الا باسبابها، تعالى عن ذلك علوا كبيرا. ومن الغريب ان البخاري قد دون هذه الاحاديث في صحيحه واختارها من ستمائة الف حديث كما يزعم كل من ترجمه وكتب عن صحيحه ودون إلى جانبها بعض المرويات التي تنص على ان الحديث الذي يصح الاعتماد عليه هو الذي يوافق كتاب الله ولا ينكره العقل، مع العلم

بان الكتاب والعقل لا يقران شيفا من تلك المرويات ولا تتفق معهما الا بعد تأويلها والتأويل وان كان ممكنا، وواقعا بالنسبة إلى بعض المرويات، ولكنه لا يتعين الا إذا كانت شروط الاعتماد على الرواية متنا وسندا متوفرة فيها، ولم يتوفر في هذه المروات شئ من ذلك. على انه قد دون في ص ٢٧٤ من المجلد الرابع ان السيدة عائشة قالت. من حدثكم ان محمدا رأى ربه فقد كذب، لان الله لا تدركه الابصار، ومن حدثكم انه يعلم الغيب فقد كذب، لانه لا يعلم الغيب الا الله " وجاء في رواية ثانية عنها انها قالت لعامر بن مسروق وقد سألها عن

الله هل يرى: ولقد وقف شعري مما قلت، من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار، وهو اللطيف الخبير " " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب " ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: " ما تدري نفس ماذا تكست غدا " ومن حدثك بانه قد كتم شيئا مما اوحي إليه فقد كذب (١). هذه الرواية تتنافى مع المرويات التي تنص على انه يرى كما يرى القمر ليلة تمامه والشمس ساعة تنجلي عنها السحب والغيوم، ولا بد من تكذيب احدى الطائفتين، ولا شك إذ رواية السيدة عائشة تتفق مع الكتاب ويؤيدها العقل فهي اولى بالقبول والاعتبار، ومروياتها اقرب إلى الواقع من مرويات ابي هريرة، ولو قال قائل ان تلك المرويات مستوحاة من كتاب الله تعالى حيث جاء في بعض آياته ما يشير إلى ان له وجها ويدا ورجلا، وانه يجلس على عرشه وغير ذلك، قلنا في جوابه ان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا بد من ملاحظة سياق الآية واسباب نزولها، وضم اولها إلى آخرها وبالاضافة إلى ذلك لا بد من تحكيم العقل عندما يصطدم به الظاهر منها، لا سيما بعد ان كان القرآن يتحمل اكثر من معنى واحد، وكل واحد من المعاني إذا كان مقبولا تتحمله الآيات بمجموعا ومفرداتها، ومما لا شك فيه ان تفسير اليد بالقوة، والوجه بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء، ومجئ الرب بمجئ اوامره ونواهيه هو المتعين من تلك للآيات، ويتناسب مع الاسلوب القرآني وبلاغته، وفي نفس الوقت يندفع محذور التجسيم والتشبيه الذي يلازم الاخذ بظواهر تلك المفردات. ولعل الذي دعا المحدث الجليل محمد بن اسماعيل إلى تدوين هذه المرويات في جامعه، ان رواتها من الصحابة والصحابة لا ينطقون عن الهوى لانهم فرق الشبهات والاهواء كما زعم الجمهور من اهل السنة.

---

(١) انظر ص ٢٧٤ / ج / ٤ وص ١٩٣ / ج / ٣.

الواجب في الكافي لقد تعرض الكليني في كتابه الكافي للواجب وصفاته، ودون فيه بعض المرويات التي تتعرض لحدوث العالم واثبات الصانع وصفاته الثبوتية والسلبية وغير ذلك مما يليق بذاته، فروى عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الامام علي بن موسى الرضا (ع) انه قال: دخل رجل من الزنادقة على ابي الحسن الرضا (ع) وعنده جماعة من اصحابه فقال له الامام (ع): ايها الرجل ارأيت ان كان القول قولكم وليس هو كما تقولون السنا واياكم شرعا سواء لا يضرنا ما صمنا وصلينا وزكينا واقررنا، فسكت الرجل، ثم قال أبو الحسن الرضا (ع) وان كان القول قولنا وهو الحق الستم قد هلكتم

ونجونا فقال رحمك الله: اوجدني كيف هو واين هو، فقال الامام (ع) ويلك ان الذي ذهبت إليه غلط، هو اين الاين بلا اين، وكيف الكيف بلا كيف، فلا يعرف بالكيفية ولا بالاينية، ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشئ، فقال الرجل: اذن انه لا شئ إذا لم يدرك بحاسة من الحواس. فقال أبو الحسن: ويلك لما عجزت حواسك عن ادراكه انكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن ادراكه ايقنا انه ربنا لا يشبه شيئا من الاشياء. فقال له الرجل: فاخبرني متى كان، فقال أبو الحسن: فاخبرني متى لم يكن فاخبرك متى كان. قال الرجل: فما الدليل عليه ؟ قال أبو الحسن عليه السلام: اني لما نظرت إلى جسدي ولم يكن فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول

ودفع المكاره عنه وجر المنفعة إليه، علمت ان لهذا البنيان بانيا فاقررت به، مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته، وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمسي والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبينات علمت ان لهذا مقدرا ومنشأ (١). وروى عن هشام بن الحكم ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال في جواب بعض الملحدين: لا يخلو قولكم انهما اثنان من ان يكونا قديمين قويين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون احدهما قويا والاخر ضعيفا، فان كانا قويين فلم لا يدفع احدهما صاحبه ويتفرد بالتدبير، وان زعمت ان احدهما قوي والآخر ضعيف ثبت انه واحد للعجز الظاهر في الثاني. فان قلت انهما اثنان لم يخل من ان يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا ان الخلق منتظم، والفلك جار، والتدبير واحد والشمس والليل والقمر والنهار دل صحة الامر والتدبير وائتلاف الامر على ان المدبر واحد، ثم ان ادعيت انهما اثنان يلزمك فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما، فيلزمك ثلاثة، فان ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى يكون بينهما فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة. فقال الزنديق: فما الدليل عليه ؟ قال أبو عبد الله الصادق (ع) وجود الافاعيل دلت على ان صانعا صنعها، الا ترى انك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت ان له بانيا وان كنت لم تر الباني ولم تشاهده. قال فما هو ؟ قال الامام (ع): شئ لا كالاشياء غير انه لاجسم ولا

(١) هذا الاسلوب في مقام الاستدلال على وجود الصانع قد تكرر في احاديث اهل البيت (ع) وقد اورد في الكافي مجموعة من الاحاديث بهذا المضمون وتكرر في القران أيضا هذا النوع من الاستدلال بالمعلول على وجود العلة.

صورة ولا يحس ولا يجس، ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الاوهام، ولا تنقصه الد هور ولا تغيره الازمان (١). وقد اورد الكليني عشرات الاحاديث عن الائمة (ع) حول التوحيد والصفات، واكثرها تنص على انه واحد لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يدرك بالحواس، ولا تحيط به الاوهام، ولا تحويه الامكنة والازمان. وجاء في بعضها عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال: اياكم والتفكر في الله، ولكن إذا اردتم ان تنظروا إلى عظمته، فانظروا إلى عظيم خلقه. وجاء في بعضها عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال: اياكم والتفكر في الخلق ولكن إذا اردتم ان تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه.

(١) وملخص هذا الدليل الذي استدل به الامام على وجود الصانع، هو ان المبدأ الاول لو كان اثنين. فلا يخلو من ان يكونا قديمين قويين أو ضعيفين، أو يكون احدهما قويا والأخر ضعيفا، والمراد بالقوي ان يكون قادرا على فعل الكل وفاعلا له بالارادة والمراد بالضعيف هو الذي لا يقوى على فعل الكل ولا يستبد به ولا يصلح لمقاومة القوي، فان كانا قويين فيلزم ان يدفع كل منهما صاحبه ويتفرد به. ولازم ذلك عدم وقوع الفعل في مثل هذه الحالة. وان كان احدهما ضعيفا. فيلزم من ضعف وجود احتياجه إلى العلة الموجدة. فيكون ممكنا وان كانا ضعيفين. فلا يخلو من ان يكونا متفقين في الحقيقة من كل جهة بحيث لا يكون لكل منهما جهة تشخيص يتعين بها عن صاحبه ولازم ذلك وحدتهما وهو خلاف الفروض. وان كانا مفترقين من كل جهة. فانتظام الخلق وأئتلات الامر يدل على وحدة المدبر. ثم ان فرض الاثنينية ولو من جهة يلزمه ان يكون بينهما مميز فاصل وقد عبر عنه الامام (ع) بالفرجة. وهذا المميز لا بد وان يكون قديما موجودا بذاته ولازم ذلك تعدد. القديم كما ذكر الامام (ع).

وتعرض في كتاب التوحيد لمسألة الرؤية التي اثبتها اهل السنة واورد مجموعة من الاحاديث تنص على انه لا يرى في الدنيا والآخرة. فمن ذلك ما رواه أبو الحسن الموصلي عن ابي عبد الله الصادق (ع) انه قال: جاء حبر إلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقال يا امير المؤمنين هل رأيت ربك ؟ قال (ع) ويلك ما كنت لاعبد ربا لم اره. قال: وكيف رأيته ؟ قال ويلك: لا تدركه العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان: وروى عن ابي هاشم الجعفري انه قال: سألت ابا الحسن الرضا (ع) عن الله هل يوصف فقال: اما تقرأ القرآن قلت بلى: قال: اما قرأت قوله تعالى: لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قلت بلى. قال: ان اوهام القلوب اكبر من ابصار العيون، فهو لا تدركه الاوهام وهو يدرك الاوهام. واضاف إلى ذلك أبو هاشم الجعفري في رواية اخرى ان ابا الحسن قال: يا ابا هاشم ان اوهام القلوب ادق من ابصار العيون، انت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، واوهام القلوب لا تدركه فكيف تدركه ابصار العيون. وروى عن صفوان بن يحيى انه قال: سألني أبو قرة المحدث ان ادخله على ابي الحسن الرضا (ع) فأستأذنته في ذلك، فاذن له ودخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والاحكام حتى انتهى إلى التوحيد، فقال أبو قرة انا روينا ان الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فجعل لموسى الكلام ولمحمد الرؤية فقال أبو الحسن الرضا (ع) فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الانس والجن لا تدركه الابصار، ولا يحيطون به علما،

وليس كمثله شئ، اليس محمد (ص) ؟ قال بلى: قال كيف يجئ رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله وانه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: لا تدركه الابصار، ولا يحيطون به علما، وليس كمثله شئ، ثم يقول: انا رأيته بعيني واحطت به علما، وهو على صورة البشر اما تستحون، اما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي من عند الله بشئ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر. قال أبو قرة، فانه يقول: ولقد رآه نزلة اخرى، فقال أبو الحسن: ان بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كذب الفؤاد ما رأى يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، وآيات الله غير الله، وقال: ولا يحيطون به علما، وإذا رأته الابصار فقد احاطت به علما ووقعت المعرفة. فقال أبو قرة فنكذب الروايات (١) فقال أبو الحسن (ع) إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبتها، وقد اجمع المسلمون على انه لا يحاط به علما، ولا تدركه الابصار، وليس كمثله شئ، إلى غير ذلك من الروايات التي اوردها

في الكافي حول امتناع الرؤية في الدنيا والآخر ة (٢). وجاء في الكافي المجلد الاول في باب النهي عن وصفه بغير ما وصف به نفسه، ان عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن اعين إلى ابي عبد الله الصادق (ع) ان قوما بالعراق يصفون الله بالصورة والتخطيط، فان رأيت جعلني الله فداك ان تكتب الي بالمذهب الصحيح

---

(١) المراد من الروايات التي اشار إليها أبو قرة ما اوردناه عن البخاري حول هذا الموضوع من مرويات ابى هريرة وانس بن مالك وغيرهما مما هو موجود في صحاح اهل السنة. (٢) انظر ص ٩٦ من المجلد الاول اصول الكافي.

من التوحيد، فكتب الي. سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وتعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله فاعلم رحمك الله، ان المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل، فانف عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه (١) هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان (٢). وقد اورد في الكافي اثنتي عشر رواية في هذا الباب وكلها تؤكد مضمون هذه الرواية. وروى في باب النهي عن التجسيم والتصوير عن علي بن حمزة انه قال: قلت لابي عبد الله الصادق (ع) سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم ان الله جسم صمدي نوري معرفته ضرورة يمن الله بها على من يشاء من خلقه، فقال (ع) سبحان من لا يعلم احد كيف هو الا هو ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس، ولا تدركه الابصار ولا الحواس، ولا يحيط به شي، ولا جسم، ولا صورة، ولا تخطيط ولا تحديد. وروي عن محمد بن زيد انه قال: جئت إلى الرضا (ع) اسأله عن التوحيد، فاملى عليه. الحمدلله فاطر الاشياء انشاء ومبتدعا ابتداعا بقدرته وحكمته، لا من شئ فيبطل الاختراع، ولا لعلة فلا يصح الابتداع خلق ما شاء كيف شاء متوحدا بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته لا

---

(١) المراد من نفي البطلان هو النهي عن تجريده عن الصفات لان تجريده عن جميع الصفات يلزم منه التعطيل والمراد من نفى التشبيه اي عدم وصفه بصفات مخلوقاته بنحو يلزم منه تشبيهه بهم والمقصود بقوله (ع): فلا نفي ولا تشبيه عدم جواز نفى الصفات عنه نفيا باتا وعدم جواز تشبيهه بمخلوقاته كما يصنع الاشاعرة. (٢) ص ١٠٠ ج ١.

تضبطه العقول ولا تبلغه الاوهام، ولا تدركه الابصار، ولا يحيط به مقدار عجزت دونه العبارة، وكلت دونه الابصار، وضلت فيه تصاريف الصفات، احتجب بغير حجاب، واستتر بغير ستر، وعرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة، ونعت بغير جسم، لا اله الا الله الكبير المتعال. واكثر المرويات التي ذكرها الكليني حول نفي التجسيم تشير إلى ان هشام بن الحكم، وهشام بن سالم كانا يذهبان إلى القول به، ولعل نسبة التجسيم التي الصقت بهما ظلما وعدوانا، كانت من جملة الدوافع لسؤال الائمة عن هذه الناحية، بالاضافة إلى شيوع هذه المقالة بين محدثي السنة وفقهائهم. ولكن المتتبع لتاريخ هشام بن الحكم بصورة خاصة يطمئن إلى برائته من هذه التهمة (١) وقد ذكرنا في

الفصول السابقة ان مرويات الكافي ليست كلها جامعة لشروط الصحة، وان القسم الاكبر منها يدخل في نوع الضعيف نتيجة للتصنيف الذي احدثه الحلي واستاذه. ويؤيد ذلك ان بين هذه المرويات التي تنسب التجسيم لهشام بن الحكم رواية علي بن أبي حمزة التي يدعى فيها ان هشاما يقول: ان الله جسم صمدي نوري، وعلي بن اي حمزة من ضعفاء الرواة، ومتهم بالكذب، ووضع الاحاديث، وبالاضافة إلى ذلك، فقد كان من وكلاء الامام موسى ابن جعفر، وتحت يده من امواله ثلاثون الف دينارا، انكرها بعد وفاته، وانحرف عن المخطط الاثني عشري، وقد اطال المؤلفون في الرجال الحديث عنه، وجاء في بعض نصوصهم انه كان من المجدين في اطفاء نور الله.

---

(١) لقد تعرضنا لهذا الموضوع مفصلا في كتابنا الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة في خلال حديثنا عن التجسيم وما يترتب عليه من اللوازم الفاسدة التي لا يمكن الالتزام بها بحال من الاحوال.

وقد روى عنه الكليني في مختلف المواضيع، ولعل ذلك من حيث اعتماد محمد بن عمير، وصفوان بن يحيى على بعض مروياته، وهما لا يرويان الا عن ثقة، كما يدعي ذلك بعض المؤلفين في الرجال (١). وممن نسب التجسيم لهشام بن الحكم يونس بن ظبيان، فقد روى عنه في الكافي انه قال دخلت على ابي عبد الله الصادق (ع)، فقلت له: ان هشام بن الحكم يقول قولا عظيما ويزعم: ان الله جسم ويونس بن ظبيان من الغلاة الوضاعين للحديث، وقد لعنه الامام على بن موسى (ع) (٢) ومنهم علي بن العباس الذي يروي عن الحسن بن عبد الرحمن الحماني، فقد روى عن الحسن بن عبد الرحمن انه قال: قلت لابي عبد الله: ان هشام بن الحكم زعم ان الله جسم ليس كمثله شئ، عالم قادر سميع بصير متكلم ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد، ليس شئ منها مخلوقا، فقال قاتلة الله، اما علم ان الجسم محدود والكلام غير المتكلم، معاذ الله وابرأ إلى الله من هذا القول. وعلي بن العباس من المذمومين، والمتهمين بالغلو كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال (٣). ومهما كان الحال فالروايات التي تنسب التجسيم لهشام بن الحكم وغيره من اصحاب الائمة، والتي تعطي للائمة خصائص الخالق، وغير ذلك من الروايات المنافية لكتاب الله وسنة نبيه، هذا النوع من بين مرويات الكافي، لم تتوفر فيها شروط الرواية التي يصح الاعتماد عليها في الاصول والفروع كما ذكرنا.

---

(١) انظر اتقان المقال ص ٢٢٢ و ٢٢٣. (٢) نفس المصدر ص ٣٩٤ و ٣٩٥. (٣) المصدر السابق ص ٣٢٧.

وروى في الكافي في باب صفات الذات عن محمد بن مسلم ان ابا جعفر الباقر (ع) قال في تحديد صفاته: انه واحد احدي المعنى، ليس بمعان كثيرة مختلفة: قال قلت: جعلت فداك يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع، فقال: كذبوا والحدوا وشبهوه، تعالى عن ذلك، انه سميع بصير يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع، قال قلت: يزعمون انه بصير على ما يعقلونه

(١) فقال (ع) كذبوا انما يعقل ما كان بصفة المخلوق، وليس الله كذلك. وروى عن هشام بن الحكم ان الامام الصادق (ع) قال في جواب الزنديق الذي سأله عن الله سبحانه: هو سميع بصير يسمع بغير جارحة ويبصر بغير آلة، سميع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي انه سميع بنفسه انه شئ والنفس شئ آخر، ولكني اردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا وافهاما لك إذ كنت سائلا، فاقول سميع بكله لا ان كله له بعض، لان الكل لنا له بعض، ولكني اردت افهامك، وليس مرجعي في ذلك كله الا انه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى (٢). وفي بيان المراد من الآية: " الرحمن على العرش استوى " من كتاب

---

(١) أي من الابصار بآلة البصر اما لانه جسم مركب من مجموعة اجزاء ومنها آلة البصر. أو لان صفاته غير ذاته كما يدعى الاشاعرة وملخص الجواب. انهم يثبتون لله تعالى ما يعقلونه من صفاتهم. والله منزه عن مشابهتهم. (٢) والذي اراده الامام (ع) من ذلك ان الله ليس له نفس وبعض كما هو الحال بالنسبة لمن يسمع ويبصر من مخلوقاته بل جرى في كلامه مع السائل على المألوف في مقام التخاطب بقصد افهام السائل ويعني بذلك انه لا يسمع ويبصر بآلة ترسم الصور في عقله وذهنه. ولو كان كذلك لزم تعدد القديم.

التوحيد اورد بعض المرويات التي تفسر المراد من العرش والاستواء عليه، والحركة والانتقال فقد روى عن عيسى بن يونس ان ابن ابي العوجاء قال لاي عبد الله الصادق (ع) في بعض محاوراته معه: ذكرت الله فاحلت على غائب، فقال أبو عبد الله: ويلك كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهدهم واليهم اقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرى اشخاصهم، ويعلم اسرارهم. فقال ابن ابي العوجاء اهو في كل مكان، اليس إذا كان في السماء كيف يكون في الارض، وإذا كان في الارض كيف يكون في السماء فقال أبو عبد الله: انما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما يحدث في المكان الذي كان فيه، فاما الله العظيم، فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان اقرب منه إلى مكان. وروى عن عبد الرحمن الجاج انه قال: سالت ابا عبداله الصادق (ع) عن قول الله تعالى " الرحمن على العرش استوى " فقال: استوى في كل شئ، فليس شئ اقرب إليه من شئ، لم يبعد عنه بعيد، ولم يقرب منه قريب استوى في كل شئ (١). وقد اطال في الكافي في عرض المرويات عن الائمة (ع) حول التوحيد، وما يتفرع عنه، وتضمنت تلك المرويات دفع جميع الشبه والآراء التي راجت في ذلك العمر بين فرق المسلمين، وتنزيهه عن الجسمية والشبه

---

(١) ومن هذه الرواية وغيرها مما جاء حول تفسير هذه الاية ان المراد من العرش هو جميع مخلوقاته. والاستواء عليه كناية عن الاستيلاء. والاشراف فيكون المعنى المتحصل من هذه الآية انه قد استولى واشرف على جميع مخلوقاته وتساوت نسبته ألى جميعها من حيث علمه وقدرته عليها واحاطته بها.

بمخلوقاته عن كل ما لا يليق بذاته تعالى من الصفات والنعوت وغير ذلك مما اثبته له الملاحدة والمشبهة والاشاعرة، واقتصرنا على هذه النماذج من المرويات تهربا من التطويل. على ان بقية الروايات لا

تختلف عن هذه النماذج الا بالاسلوب وعرض الفكرة، واحيانا قد يختصر الامام أو يطيل في عرض الفكرة وتقريبها حسب المناسبات ويختلف ذلك باختلاف حال السائل (١).

---

(١) انظر ص ٧٨ و ٨١ و ٩٦ و ١٠٠ و ١١٧ و ١٢٨ وما بعدها المجلد الاول.

البداء في الكافي لقد روى الكليني في باب البداء ست عشرة رواية، وجاء في بعضها. ان الاقرار والاعتراف لله بالبداء من الايمان، وفي بعضها الآخر. ان الايمان لا يتم بدونه، وانه من افضل العبادات. وجاء في رواية زرارة عن ابى عبد الله (ع) انه قال: ما عبد الله بشئ مثل البداء، وفي رواية هشام بن سالم، ما عظم الله بمثل البداء. وفي رواية محمد بن مسلم ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: ما بعث الله نبيا حتى يأخذ عليه ثلاث خصال، الاقرار له بالعبودية، وخلع الانداد، وان الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء. وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال: العلم علمان، فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه احدا من خلقه، وعلم علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله، فانه سيكون، لا يكذب نفسه، ولا ملائكته ورسله، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويثبت ما يشاء. وجاء في رواية ابي بصير ان هذا النوع من العلم منه يكون البداء، إلى غير ذلك من المرويات التي أوردها الكليني وغيره حول البداء ومن هذه المرويات تكونت فكرة البداء عند الامامية، ولكن المشوشين على

الشيعة قد اسرفوا في التشنيع عليهم من غير ان يتفهموا المراد منه، مع العلم بان البداء بالمعنى الذي نذهب إليه لا يتنافى مع اصول الاسلام، ولا يلزمه شئ من المحاذير، وغالى اكثرهم في التشنيع على الشيعة فادعوا بأن فكرة البداء من مخترعات المختار بن عبيدة الثقفي ومنه انتقلت إلى الشيعة واصبحت عقيدة لهم على حد تعبيرهم، وذلك حينما بلغ الصراع اشده بينه وبين مصعب بن الزبير، وارسل جيشا لحرب مصعب بقيادة احد اتباعه (احمد بن شميط) وقال لهم: إذ الوحى قد أخبره بان الظفر سيكون لكم، وشاءت الصدف ان ينهزم اتباعه في جميع المعارك التي دارت بينهم وبين الزبيريين، فقال لهم، لقد وعدني ربي بالنصر، ثم بدا له، وتلى عليهم قوله تعالى: " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب " واضافوا إلى ذلك انه كان احيانا يخبر اصحابه بامور ينسبها إلى الله تعالى بقصد تضليل البسطاء والمغفلين من اتباعه، فإذا ظهر لهم خلافها، قال بدا لربكم، وانطلقوا من هذه الاساطير إلى ان هذه المقالة راجت بين الشيعة، واصبحت جزء من عقائدهم، فأضافوا إلى اقوال الائمة على حد تعبيرهم، وفسروا البداء بأن الله سبحانه يتعلق علمه بشئ، ثم يبدو له تركه لوجود مفسدة فيه كانت خافية عليه اولا، أو لرجحان تركه على فعله، ولازم ذلك تبدل ارادته وتجدد علمه، وذلك لا يكون الا لمن يجهل العواقب وتخفى عليه جهات الصلاح والفساد، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. بهذا التسلسل لتاريخ البداء، وبهذا المعنى الذي لا يتناسب مع عظمة الخالق انطلق الكتاب والمؤلفون وغيرهم للهجوم على الشيعة قديما وحديثا، مع العلم بان الشيعة وبخاصة الأثنا عشرية منهم ينزهون الله سبحانه ويعظمونه اكثر من جميع الفرق، ويرون ان البداء بهذا المعنى

كفر وجحود يستحق قائله الخزي والعذاب الاليم، وقد لعن الامام اصحاب هذه المقالة كما جاء في بعض مرويات الكافي حول هذا الموضوع. فقد روى عن منصور بن حازم انه قال: سألت ابا عبد الله (ع) هل يكون اليوم شئ لم يكن في علم الله بالامس ؟ فقال: لا من قال هذا اخزاه الله، قلت أرأيت ما كان، أرأيت ما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال: بلى قبل ان يخلق الله الخلق. ومهما كان الحال فلفظ البداء يتحمل المعنيين التاليين، الاول الظهور والابانة، ومنه قوله تعالى: " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ". وقوله: " وبدا لهم سيئات ما كسبوا ". الثاني تغير الارادة وتبدل العزيمة، تبعا لتغير العلم وتجدده، وهو بهذا المعنى لا يجوز بالنسبة إليه تعالى، ولا يقول به احد من الامامية كما ذكرنا. والمعنى الاول هو الذي يقصده الشيعة من البداء الذي، نصت عليه بعض المرويات عن الائمة (ع). قال الشيخ المفيد في رسالته التي شرح فيها رسالة الصدوق في الاعتقادات: والاصل في البداء هو الظهور، قال تعالى في سورة الزمر: " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " اي ظهر لهم من افعال الله ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، وقال في السورة المذكورة: " وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم " اي ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم. واضاف إلى ذلك. ان العرب تقول: قد بدا لفلان عمل

حسن، وكلام فصيح، كما يقولون بدا من فلان، فتكون اللام بمعنى من وقائمة مقامها، والمعنى في قول الامامية بدا لله كذا اي ظهر له فيه، وبتقدير ان اللام بمعنى من، يكون المراد من هذه الكلمة، ظهر منه. والمتحصل من ذلك ان البداء الذي لا نقول به هو بمعنى الظهور والابانة، ونسبته إلى الله فيما لو قلنا بدا لله كذا اي ظهر من الله ما كان خافيا على جميع مخلوقاته ولم يكن في حسابهم. وقد اكد هذا المعنى الشيخ الكراجكي في كنز الفوائد حيث قال: ان المراد من البداء ان يظهر للناس خلاف ما توهموه، وينكشف لهم في - ما كانوا يعتقدون من دوام الامر واستمراره، وسمي هذا النوع بالبد اء لمشابهته لمن يأمر بالشئ أو يخبر به ثم ينهى عنه في وقته. وتفسير البداء بهذا المعنى ليس بعيدا عن مفاد بعض الروايات التي جاء فيها انه من علم الله الكنون الذي لم يظهر لاحد، حتى للانبياء والمرسلين، وانه من افضل ما عبد به الله إلى غير ذلك من المرويات التي ربطت بين الايمان به والايمان الاكيد بالله، ذلك بأن هذا التفسير للبداء، مفاده ان ما ظهر للناس هو من علمه المكنون الذي لم يطلع عليه احدا من عباده ولم يكن محتسبا ظهوره أو مظنونا وقوعه، وافتراض البداء من هذا العلم لا بد وان يقترن بالاقرار والاعتراف لله سبحانه بالاحاطة بكل شئ والقدرة المطلقة التي لا تحيط بها الظنون ولا تحدها الاوهام، وإذا بلغ الانسان من الايمان بالله إلى هذه المرتبة يصبح في أعلى درجات الايمان وفي مصاف الاولياء والصديقين الذين يراقبون الله في جميع حالاتهم وتصرفاتهم. ومما يؤكد ارادة هذا المعنى من البداء، ما جاء في اوائل المقالات للمفيد رحمه الله. حيث قال: وانما يوصف من افعاله بالبداء ما لم

يكن محتسبا ظهوره أو مظنونا وقوعه، اماما علم كونه، أو غلب في الظن حصوله فلا يستعمل فيه لفظ البداء. هذا مع العلم بأن نسبة البداء إلى الله والحالة هذه لا تخلو من التجوز كما نص على ذلك الكراجكي في كنز الفوائد. ولو تغاضينا عن كل ذلك. وقلنا ان البداء المنسوب إليه من صفاته تعالى، فلا بد وان يكون المراد منه حين ينسب إليه انه قادر على ان يرفع ويضع ويحمو ويثبت، واثبات القدرة له بهذا النحو لا يعني تجددا في علمه ولا تغييرا في ارادته، ذلك لان علمه وارادته يتعلقان بالاشياء بما هي مقدورة له وتحت تصرفه وسلطانه.

البداء في صحيح البخاري على ان البداء الوارد في مرويات الشيعة وارد بهذا اللفظ في مرويات السنة وفي صحاحهم. فقد روى البخاري، عن ابي عمرة ان ابا هريرة حدثه انه سمع رسول الله (ص) يقول: ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واعمى وإقرع بدا لله ان يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الابرص، فقال: اي شئ احب اليك، فقال لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، ثم قال له: اي المال أحب اليك، فقال: الابل، فأعطي ناقة عشراء، وأتى الاقرع فقال: اي شئ احب اليك، قال شعر حسن، ويذهب عني هذا قد قذرني الناس فمسحه فذهب عنه واعطي شعرا حسنا، ثم قال له: فأي المال أحب اليك، فقال: والبقر، فأعطاه بقرة حاملا، وأتى الاعمى فقال: اي شئ احب اليك، قال: يرد الله الي بصري، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب اليك، قال: الغنم، فاعطاه شاة ولودا، وجاء في الحديث ان الابل والبقر والغنم تكاثرت عند هؤلاء حتى اصبح لكل واحد منهم قطيعا من هذه الاصناف، ثم ان الملك أتى الابرص والاقرع والاعمى كلا على صورته، وطلب من كل واحد منهم ان يعطيه مما عنده، فرده الاقرع والابرص، فأرجعهما الله إلى ما كانا عليه، وأعطاه الاعمى فزاده الله وأبقاه مبصرا (١). فهذه الرواية صريحة في نسبة البداء إلى الله تعالى وربما كانت أظهر في المعنى المنسوب إلى الشيعة من الرواية التي ورد فيها هذا اللفظ بين مروياتهم كما يبدو ذلك من صيغة الرواية التي ورد فيها لفظ البداء.

---

(١) انظر المجلد الثاني من الصحيح البخاري ص ٢٥٩.

هذا بالاضافة إلى بعض المرويات التي تؤدي معنى البداء المنسوب إلى الشيعة وان لم يرد فيها لفظه صريحا، فقد جاء في رواية البخاري التي وصف فيها النبي (ص) رحلته إلى السماء ليلة المعراج، انه مر على موسى (ع) فقال له: بما أمرك ربك ؟ فقال: أمرني بخمسين صلاة كل يوم، فقال له: ان أمتك لا تستطيع ذلك، واني والله لقد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة، فارجع إلى ربك واسأله التخفيف قال (ص): فرجعت إليه فوضع منها عشرا، فاخبرت موسى بذلك فأمرني أن أرجع إليه مرة أ خرى، فرجعت إليه مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة بأمر من موسى وفي كل مرة يخفف منها عشرا حتى استقرت على الخمس صلوات في اليوم الواحد، وجاء في الرواية ان موسى اشار عليه أن يرجع ويطلب منه، تخفيفها فامتنع محمد (ص) حياء من ربه (١). ونحن لا ننسب لاخواننا أهل السنة من خلال هذه المرويات ما لا يتفق مع

اصول الاسلام وفروعه ولا نستغل وجودها بين مروياتهم للتشنيع والتشويه لآثارهم ومعتقداتهم ولو كنا نحمل مثل هذه الروح الشريرة لكان ذلك من أيسر الامور علينا ونرغب إليهم ان ينظروا إلى المقامين بعين واحدة وان يرجعوا إلى كتب علماء الشيعة التي تعبر عن رأيهم في مثل هذه المواضيع، وان لا يستبدوا بتفسير بعض المرويات حسب أهوائهم ونزعاتهم لانا اقدر منهم علي رد الصاع صاعين.

---

(١) ص ٣٣٨ وص ٢١١ ج ٢ وتكررت في المجلد الرابع وغيره. والجمود على ظاهر الرواية يلزمه احد أمرين اما تكليف العباد بما لا يطيقون حيث انه كلفهم بما لا يقدرون عليه كما جاء فيها عن لسان موسى واما ان الله سبحانه حينما فرض الصلاة على المسلمين لم يكن يعلم قدرتهم علي اداء هذا المقدار، كما وان محمدا (ص) لم يكن يعلم ذلك حتى جاء موسى وكشف لله ولرسوله عن واقع حالهم تعالى الله عما يرويه أبو هريرة وكعب الاحبار وحشوية العامة علوا كبيرا.

القدر في صحيح البخاري والكافي فقد روى عن زيد بن وهب عن عبد الله ان رسول الله (ص) قال: ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر باربع برزقه وأجله أشقي أو سعيد، فوالله ان الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وروي عن انس بن مالك ان النبي (ص) قال: وكل الله بالرحم ملكا فيقول: اي ربي نطفة، اي ربي علقة. اي ربي مضغة، فإذا أراد الله ان يقضي خلقا، قال: أي ربي ذكر أم انثى، أشقي أم سعيد، فما الرزق، فما الاجل فيكتب كذلك في بطن أ مه. وروى عن عمران بن حصين ان رجلا قال يا رسول الله: ايعرف أهل الجنة من أهل النار قال نعم، قال: فلم يعمل العاملون ؟ قال: كل يعمل لما خلق له. وروى عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال: احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده اتلومني على أمر

قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي (ص) فحج آدم موسى وكررها ثلاثا. إلى غير ذلك من المرويات التي أوردها البخاري في صحيحه حول القدر المتفقة في مضامينها (١). وجاء في الكافي حول هذا الموضوع عن منصور بن حازم ان أبا عبد الله الصادق (ع) قال: ان الله خلق السعادة والشقاء قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه الله سعيدا لم يبغضه أبدا، وان عمل شرا أبغض عمله ولم يبغضه، وان كان شقيا لم يحبه ابدا، وان عمل صالحا أحب عمله، وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحب الله شيئا لم يبغضه ابدا، وإذا أبغض شيئا لم يحبه ابدا (٢). وروى عن احمد بن محمد بن خالد بسنده إلى على بن حنظلة ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: يسلك بالسعيد طريق الاشقياء حتى يقول الناس: ما اشبهه بهم، بل انه منهم، ثم تتداركه السعادة، وقد يسلك بالشقي طريق السعادة حتى يقول الناس: ما اشبهه بهم بل انه منهم، ثم تتداركه السعادة، وقد يسلك بالشقي طريق السعادة حتى

---

(١) انظر ص ١٤٣ وما بعدها من المجلد الرابع. (٢) والمراد من قوله ان الله خلق السعادة والشقاء قبل ان يخلق خلقه انه تعالى علم ما سيكون من امر الانسان من حيث اختياره لسلوك طريق لسعادة أو الشقاء فقدر عليه ما يختاره وكتبه مع السعداء أو الاشقياء فأحب السعيد وابغض الشقي. ومع ذلك فلو صدر من الشقي عمل مالح أحب منه ذلك العمل. ولو صدر من السعيد عمل قبيح ابغضه وان كان هو في ذاته محبوبا له سبحانه. فهذه الرواية وما ورد بهذا المضمون لا تدل على ان الانسان مسير في اعماله لما قدر عليه ولا يختار من امره شيئا كما يدعي القائلون بهذه المقالة ولعل المرويات التي اوردها البخاري وغيره من محدثي السنة من جملة الدوافع على انتشار هذه المقالة بين محدثي السنة وفقهائهم وجميع اصنافهم مع انها لو صحت عن النبي (ص) لا بد من تأويلها بما ذكرنا.

يقول الناس، ما اشبهه بهم بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاء، ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا فواق ناقة ختم له بالسعادة (١). وروى عن ابي بصير انه قال: كنت بين يدي ابي عبد الله الصادق (ع) جالسا وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا بن رسول الله من اين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله عليهم في علمه بالعذاب على عملهم، فقال: ايها السائل حكم الله عزوجل لا يقوم له احد من خلقه بحقه، فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم، ومنعهم اطاقة القبول فوافقوا ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا حالا تنجيهم من عذابه، لان علمه أولى بحقيقة التصديق (٢). وروى في الكافي في باب الجبر والقدر ما يرفع الالتباس ويفسر المراد من القدر، عن سهل بن زياد واسحاق بن محمد، قالا: كان أمير المؤمنين جالسا في الكوفة بعد منصرفه من صفين، إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه، وقال له: يا امير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام ابقضاء من الله وقدر ؟ فقال (ع) أجل يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد الا بقضاء من الله وقدر، فقال له الشيخ: عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له مه يا شيخ، والله لقد عظم الله لكم الاجر في مسيركم وانتم سائرون، وفي مقامكم وانتم مقيمون، وفي منصرفكم وانتم

(١) هذا الحديث يتفق مع الحديث الذي رواه البخاري عن النبي اتفاقا كليا. (٢) فحكم الله عليهم نشأ من علمه باختيارهم طرق الشقاء. والسعادة وحيث علم منهم ذلك وعلمه لا يمكن ان يخلف حكم عليهم وامدهم بالقوة والقدرة فهم قادرون على الشر والخير وجودا وعدما. إذ لا تصدق القدرة الا إذا تساوت بالنسبة للوجود والعدم وبذلك يصح الثواب والعقاب والمدح والذم.

متصرفون ولم تكونوا في شئ من حالاتكم مكرهين، ولا إليه مضطر ين. فقال له الشيخ، كيف لم نكن في شئ من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا ؟ فقال له اتظن انه كان قضاء حتما وقدرا لازما، انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر من الله، وسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولكان المذنب اولى بالاحسان من المحسن، والمحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها. ان الله كلف تخييرا، ونهى تحذيرا، واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا، ولم يطع مكرها ولم يملك مفوضا، ولم يخلق السموات وما بينهما باطلا، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (١).

(١) ان النزاع في القضاء والقدر ونسبتهما الى الافعال يرجع تاريخه إلى القرن الاول الذي انتشرت فيه الدعوة الاسلامية خارج البلاد العربية واتصل المسلمون العرب بغيرهم من الامم ذات الديانات المختلفة، وقد تشعبت فيهما الآ راء، فقال فريق بان تعلق الارادة بالاشياء يوجب سلب الاختيار، ولازم ذلك ان يكون الانسان مجبورا في افعاله، وقال فريق آخر وهم المفوضة بأن الانسان مختار في افعاله، والارادة الالهية لم تتملق بشئ من افعال الانسان وقد نفى الامام (ع) في جوابه للسائل كلا الامرين فقال: لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب اي لو كان قضاء حتما وقدرا لازما بنحو لا يكون للعبد ارادة واختيار في افعاله يكون العقاب من الله على القبيح ظلما لانه هو الفاعل ولا يستحق الانسان على الخير شيئا لانه مدفوع ألى فعله قهرا وبدون ارادة واختيار وقد دفع شبهة التفويض بقوله (ع): ولم يعص مغلوبا. اي ان الانسان لو كان خالقا لفعله من غير ان يكون لله رأي في ذلك. كانت مخالفته لما كلفه الله به من الافعال غلبة منه على الله سبحانه. كما وان قوله (ع) ولم يطع مكرها تعريض بالمجبرة الذين ذهبوا إلى ان الانسان مسير للقضاء الحتمى والقدر اللازم ولا يملك الاختيار في شئ من حالاته.

وقد اورد في الكافي مجموعة من المرويات عن الائمة (ع) تفسر المراد من القدر والقضاء الذي يجب الايمان بهما وتنص على ان القدر والقضاء لا يسلبان ارادة العبد وقدرته على افعاله، مع العلم بأنه هو الذي أمد الانسان شقيا كان في علم الله، ام سعيدا بالقدرة والقوة على مزاولة اعماله والاتيان بها. فقد جاء في رواية يونس بن عبد الرحمن عن حفص بن قرط عن ابي عبد الله الصادق (ع) ان رسول الله (ص) قال: من زعم ان الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم ان الخير والشر بغير مشيئة الله فقد اخرج الله عن سلطانه، ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الانسان فقد كذب على الله، ومن كذب على الله ادخله الله النار (١). وروى عن علي بن الحكم عن صالح النيلي انه قال: سألت ابا عبد الله (ع) هل للعباد من الاستطاعة شئ فقال: إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم، قلت وما هي ؟ قال الآلة، مثل الزاني إذا زنى كان مستطيعا للزنى حين زنى ولو انه ترك الزنى ولم يزن كان مستطيعا لتركه إذا ترك، ثم قال: ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعا، قلت فعلى ماذا يعذبه ! قال بالحجة البالغة: والآلة التي ركبها فيهم، ان الله لم يجبر احد ! على معصيته، ولا أراد ارادة حتم الكفر من احد، ولكن حين

(١) فقد ابطل بهذه الرواية مزاعم الفريقين المجبرة والمفوضة لان من زعم ان الله يأمر بالسوء والفحشاء يدعى بأن ارادة الله هي التي تسير الانسان بنحو لا يملك من امره شيئا ومن زعم بأن الخير والشر بغير مشيئته تعالى فقد عزل الله من سلطانه فلا بد من الواسطة بين القولين وذلك بأن نقول: مع ان الله قض وقدر فقد اعطى الانسان القدرة على افعاله والقوة عليها فهو يفعل بالقدرة التي وهبها له على الفعل والترك، فإذا فعل أو ترك يصح نسبة الفمل أو الترك إليه من حيث تساوي قدرته بالنسبة اليهما.

كفر كان في ارادة الله ان يكفر، وهم في ارادته وفي علمه ان لا يصيروا إلى شئ من الخير، قلت: أراد منهم ان يكفروا قال ليس هذا اقول ولكني اقول علم انهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه يخم وليست هي ارادة حتم وانما هي ارادة اختيار (١).

(١) والفقرة الاخيرة من هذه الرواية تؤيد ما علقناه على الرواية السابقة كما يبدو ذلك من قوله: علم انهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم، اي انه لما علم بأنهم سيختارون الكفر بالقدرة التي خلقها الله فيهم بنحو يكون الوجود والعدم في مقدورهم. لما علم فيهم ذلك اراده فيهم ارادة اختيار اي ارادة تتعلق به من حيث اختيارهم له وقدرتهم على ايجاده وليست الارادة في المقام الا علمه باختيارهم الكفر والعصيان.

من كتاب العلم في صحيح البخاري لقد اشتمل كتاب العلم من الصحيح للبخاري على مجموعة من الابواب المختلفة، وحشد فيها طائفة من المرويات عن الرسول (ص) نذكر منها نماذج بنصها الحرفي، وتترك للقارئ الحكم على هذه المرويات ومناسباتها، فقد جاء في باب فضل العلم عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة انه قال: بينما النبي (ص) في مجلس يحدث القوم جاءه اعرابي فقاله: متى الساعة يا رسول الله ؟ فمضى النبي في حديثه، فقال بعض القوم: لقد سمع رسول الله وكره قوله. وقال آخرون، انه لم يسمع حتى إذا أنهى حديثه، قال أين أراد السائل عن الساعة ؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: إذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة، قال: كيف اضاعتها قال: إذا اسند الامر إلى غير اهله (١). وفي باب ما جاء في العلم روى عن انس بن مالك انه قال: بينما نحن جلوس مع النبي (ص) في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، وقال لهم: أيكم مصد (ص)، والنبي متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا هذا الرجل الابيض المتكئ، فقال الرجل للنبي (ص) اني سائلك ومشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك، فقال

---

(١) واسناد الامر الى غير اهله انما يكون إذا غلب الجهل على العلم وعمت الفوضى وانتشر الفساد والمنكر بين الناس. واصبح اولياء الامور من دعاة الشر والفساد. فعندها ينبغي للانسان ان يعتصم بدينه ويترقب ساعة الخلاص والفرج. (*)

النبي (ص) سل عما بدا لك، فقال أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم، فقال اللهم نعم، قال انشدك بالله الله أمرك ان نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة، قال اللهم نعم، قال انشدك بالله الله امرك ان تأخذ هذه الصدقة من اغنيائنا وتقسمها على فقرائنا، قال اللهم نعم، قال الرجل: آمنت بما جئت به وانا رسولك لمن ورائي من قومي (١). وفي باب فضل من علم وعلم، روى عن ابي بردة عن ابي موسى ان النبي (ص) قال: مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير، وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أ رسلت به. وفي باب رفع العلم وظهور الجهل روى عن انس بن مالك انه قال: لأحدثنكم حديثا لا يحدثكم به احد بعدي،، سمعت رسول الله (ص) يقول: من اشراط الساعة ان يقل العلم، ويظهر الجهل والزنا، وتكثر

---

(١) لم يكن الذين آمنوا بمحمد على وتيرة واحدة فمنهم المعاند الذي كان يتحكم ويقترح على النبي المعجزات والخوارق التي يعجز عن ايجادها الانسان كانشقاق

القمر وتكليم الثعجر وتسبيح الحصي ونحو ذلك ومعلوم ان هذا النوع من الآيات إذا وجد النبي ضرورة ملحة إليها دعا الله لايجادها ومنهم من آمن به حينما سمع آيات القران التى يعجز البشر عن الاتيان بمثله ومنهم من آمن به لانه يعلم من حاله بأنه لا يعرف الكذب ولا يقول الا الحق كالذي ردد عليه هذه الاسئلة ومنهم من اسلم دجلا أو خوفا وطمعا.

النساء وتقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (١). ومن الممكن ان يكون المراد من قلة العلم وكثرة النساء وغيرهما من الفقرات التي تشتمل عليها، هو انه اخبار سينتهي إليه الانسان وقد انتهى إلى اكثره وهو عدم استعمال العلماء علمهم فيما يعود على البشرية بالخير ويخفف عنها آلام الفقر والبؤس والمرض، وقد استعملوه بدلا عن ذلك للسيطرة على الشعوب واستغلال ثرواتها وخيراتها وضع آلات الدمار والخراب التي تستنزف القسم الاكبر من امكانيات الشعوب وخيرات الارض، كما تضع الدول الكبرى في عصرنا الحاضر التي تنفق آلاف المليارات على وسائل الدمار وعشرات الملايين يموتون جوعا هنا وهناك. فالعلم الذي يعطي هذه النتائج السيئة لا يعد علما مادام مسخرا لشهوات الانسان واهوائه بل هو في واقعه أسوأ من الجهل، واضرار الجهل إذا قيست بأضراره لا تكون شيئا مذكورا، ولو قدر لتلك الدول الكبرى التي تملك آلات الدمار ان تصطدم تتعرض البشرية لكارثة لا يحصي نتائجها الا الله ويصبح لكل خمسين أمرأة رجل واحد، كما وان اكثر المتقمصين لثوب رجل الدين ويتاجزون به يتسببون لتنكر الناس منه وحتى للخروج منه احيانا. وفي باب فضل العلم روى عن ابن عمر انه قال: سمعت النبي (ص) يقول: بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى اني لأرى الري

---

(١) انظر ج ١ من صحيح البخاري ص ٢١ و ٢٣ و ٢٦ ولظاهرا ان هذه الامور ليست من العلامات الحتمية لقيام الساعة وليست من اسبابها وانما هي من المقارنات بمعنى انه عند حدوث الساعة لا بد وان يكون العالم في مثل هذه الحالات من الفوضى وانتشار الفساد والمنكرات وانصراف لناس عن الاديان واهلها.

يخرج من اظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا فما اولته يا رسول الله قال: بالعلم ! وفي باب الحرص على الحديث روى عن ابي هريرة انه قال: قيل يا رسول الله: من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسألني عن هذا الحديث احد قبلك لما رأيت من حرصك على الحديث، اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه ونفسه. لقد روى هذا الحديث أبو هريرة ليثبت ان الرسول قد شهد له بالحرص على رعاية الحديث في مقابل الشبهات التي أثيرت حو له حينما اكثر من الرواية عنه وتعرض للتكذيب والضرب اصيانا واعرض الناس عن حديثه. وفي باب كتابة العلم روى عن عبد الله بن العباس انه قال: لما اشتد برسول الله الوجع قال: آتونى بدواة وكتف اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال عمر بن الخطاب: ان النبي قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط، فقال النبي (ص) قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس وهو يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه (١). واكثر المحدثين رووا عنه انه قال ان النبي ليهجر اي انه يتكلم بدون وعي وتصور من شدة الوجع والالم. وروى في باب حفظ العلم عن ابي هريرة انه قال: ان الناس يقولون اكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت احدا، ثم

(١) انظر ج ١ ص ٢٧ و ٣٠ و ٣٢ من الصحيح للبخاري.

[٢٣٧]

قال: ان اخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق، وان اخواننا الانصار كان يشغلهم العمل في اموالهم، وان ابا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) ليشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون. وروى عنه انه قال قلت لرسول الله: اني اسمع منك حديثا كثيرا انساه، قال ابسط ردائك فبسطته فغرف بيده،، ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيئا بعده وقال: حفظت من رسول الله وعائين، اما احدهما فبثثته، واما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم (١).

(١) وبالطبع ان الوعاء الثاني الذي لم يحدث به أبو هريرة هو الاسرار الالهية التي لا تتحملها عقول البشر، ولم يحط بها علما سوى النبي (ص) وابو هريرة، ولذا لو حدث بها لقطع المسلمون بلعومه لان العقول لا تتحملها في عصر الصحابة الاولين، ولما جاء دور معاوية والامويين وجد مجالا لبثة فحدث منه عن فضل الامويين والشام وسكانها وفضائل عثمان ومعاوية وغيرهما ممن اعلن العداء لعلي (ع) وآله الكرام. انظر ص، ٢٤ و ٣٧.

[٢٣٨]

من كتاب العلم في الكافي روى الكليني في باب فرض العلم ووجوب طلبه عن ابي عبد الله الصادق (ع) ان رسول الله (ص) قال: طلب العلم فريضة على كل مسلم، الا ان الله يحب بغاة العلم. وروى عن الفضل بن عمر انه قال: سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: عليكم بالتفقه في الدين، لا تكونوا اعرابا، فان من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملا. وروى عن جميل بن دراج ان ابان بن تغلب قال: سمعت الامام الصادق يقول: لوددت ان اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا في دينهم. وروى عن ابي حمزة الثمالي ان أبا جعفر الباقر كان يقول: عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين عابدا (١). وروى عن السكوني انه قال: روى الامام الصادق عن آبائه ان رسول الله (ص) قال: لا خير في العيش الا لرجلين عالم مطاع أو مستمع داع.

(١) ومن هذه الرواية يظهر ان العلم مهما كان نوعه إذا افاد الناس في معاشهم أو معادهم يكون محبوبا لله سبحانه. والعالم الذي يتجه بعلمه لخير الانسان إذا كان مؤمنا بالله ورسله افضل من العابد بسبعين مرة لان العابد لا ينفع الا نفسه، والعالم الذي يستعمل علمه في الخير ينفع الملايين من البشر لانه يسهل لهم سبيل الحياة الحرة الكريمة، ويقربهم الى الله سبحانه. (*)

[٢٣٩]

وروى عن حماد بن عيسى عن القداح عن ابي عبد الله الصادق (ع) ان رسول الله (ص) قال: ان فضل العالم على العابد كفضل القمر على النجوم ليلة البدر. وان العلماء ورثة الانبياء، وانهم لم يورثوا غير العلم فمن أخذ منه اخذ بحظ وافر. وروى عن ابي بصير ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: من علم خيرا فله مثل أجر من عمل به، قلت فان

علمه غيره يجري ذلك له ؟ قال: ان علمه الناس كلهم جرى له، قلت فان مات، قال: وان مات. وفي باب صفة العلماء، روى عن معاوية بن وهب ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، ولمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم. وروى عن الحارث بن المغيرة، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: في تفسير قوله تعالى: (انما يخشى الله من عباده العلماء " ان الآية تعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم. وروى عن الحلبي عن ابي عبد الله الصادق (ع) ان امير المؤمنين (ع) كان يقول: الا اخبركم بالفقيه ؟ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ومن لم يؤمنهم من عقاب الله، ولم يرخص لهم في معصية ا لله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، الا لا خير في علم ليس فيه تفهم، الا لا خير في عبادة ليس فيها تدبر، الا لا خبر في عبادة لا فقه فيها، الا لا خير في نسك لا ورع فيه. وروى عن معاوية بن وهب عن ابي عبد الله (ع) ان امير المؤمنين (ع) كان يقو ل: يا طالب العلم ان للعلم ثلاث علامات. العلم

والحلم والصمت، وللمتكلف ثلاث علامات، ينازع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة (١). وروى عن ابي جعفر الباقر: ان علي بن الحسين (ع) كان يقول: يسخي نفسي في سرعة الموت والقتل فينا قول الله عزوجل: " أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها " وهو ذهاب العلماء (٢). وروى عن سفيان بن عيينة بر ان ابا جعفر الباقر (ع) قال:. لمجلس اجلسه إلى من اثق به اوثق في نفسي من عمل سنة. وروى في باب النهي عن القول بغير علم روي عن ابي عبيدة الحذاء ان ابا جعفر الباقر (ع) قال: من افتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه. وروى عن داود بن فرقد ان عبد الله بن شبرمة احد القضاة لابي جعفر المنصور قال: ما ذكرت حديثا سمعته من جعفر بن محمد، الا كاد قلبي ان يتصدع. قال: حدثني ابي عن جدي عن رسول الله (ص) قال ابن شبرمة واقسم بالله ما كذب ابوه على جده ولا جده على رسول الله (ص)، وان رسول الله (ص) قال: من عمل بالمقاييس فقد هلك واهلك، ومن افتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسغ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك واهلك. وفي باب استعمال العلم روى عن امير المؤمنين (ع) انه سمع

---

(١) اي يكون لهم عونا ونصيرا على ظلمهم. (٢) والمقصود من الرواية ان الآية الكريمة تجعل نفسه سخية في حب الموت أو القتل. انظر ص ٢٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٨ من المجلد الاول اصول الكافي.

النبي (ص) يقول: العلماء رجلان: رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا إلى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فأدخله الجنة، وادخل الداعي النار لتركه عمله واتباعه الهوى وطول الامل، واضاف إلى ذلك، ان اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الامل ينسي الآخرة. وروى في باب المستأكل بعلمه، والمباهي به عن حفص بن غياث القاضي عن

ابي عبد الله (ع) انه قال: إذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم، فان كل محب لشئ يحوط ما احب، واضاف إلى ذلك ان الله أوصى إلى داود، لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فان اولئك قطاع طريق وان ادني ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم. وروق النوفلي عن السكوني ان ابا عبد الله الصادق (ع) روى عن رسول الله (ص) انه قال: الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا قال: اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم (١). وروى عن ابي بصير ان ابا جعفر الباقر (ع) قال: ان المقصود بقوله تعالى: " فكبكبوا فيها هم والغاوون " هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره (٢).

---

(١) لقد روى الكينى في هذه الابواب عن ابن عيينة، وابن شبرمة والسكونى والنوفلي وحفص بن غياث. وكلهم من محدثي العامة وفقهائهم. ومن ذلك يتبين افتراء من يدعى ان الشيعة لا يروون عن غيرهم. ولا يقبلون مرويات السنة عن الرسول حتى ولو كان رواتها من المعروفين بالصدق والاستقامة. (٢) انظر ص ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ نفس المصدر.

وقد روى الكليني في كتاب العلم مجموعة من الاحاديث حول العلم واثره في توجيه الانسان توجيها صحيحا يرفع من شأنه ويسهل له العيش الكريم والحياة الحرة الآمنة. ولا يهمنا ان نستقصي جميع ما رواه حول هذه المواضيع، والذي يعنينا عرض بعض الامثلة من الكتابين الكافي والصحيح للبخاري للمقارنة بينهما في مختلف المواضيع، مع العلم بأنهما يطتقيان في كثر من المرويات في الجوهر والغاية ان اختلفا في الاسلوب والاسناد. وفي باب البدع والرأي والمقاييس روى عن يونس بن عبد الرحمن ان ابا الحسن موسى بن جعفر (ع) قال: يا يونس لا تكونن مبتدعا، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر. وروى عن يونس عن قتيبة ان رجلا سأل ابا عبد الله (ع) عن مسألة فأجابه عليها فقال الرجل: أرأيت ان كان كذا وكذا ما يكون القول فيها قال له الامام (ع) مه ما اجبتك عن شئ فهو عكن رسول الله (ص) لسنا من أرأيت في شئ (١). وجاء في باب اختلاف الحديث عن سليم بن قيس الهلالي ان أمير المؤمنين عليا (ع) قال في جواب من سأله عن الاحاديث المختلفة حول تفسير القران واحاديث الرسول. ان الناس كانوا يكذبون على رسول الله (ص) في حياته، فقام خطيبا في اصحابه، وكان مما قال: ايها الناس لقد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار

---

(١) هذه الرواية تنص على انهم (ع) لا يقولون شيئا عن عن طريق الظن والاجتهاد وكل ما يقولونه في امور الدين فهو مما ورثوه عن جدهم الرسول (ص) وروى في الكافي بهذا المضمون اكثر من رواية لتأكيد هذا المعنى.

واضاف إلى ذلك علي (ع): ان الناس قد كذبوا عليه بعد وفاته، وقد اتاكم الحديث من اربعة لا خامس لهم. رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله متعمدا فلو علم منه الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (ص) ورآه وسمع منه، فأخذوا

عنه وهم لا يعرفون حاله. وقد اخبر الله سبحانه عن المنافقين بقوله واذاا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم، وبقي هؤلاء بعده فتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس. ورجل سمع من رسول الله (ص) شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه لم يتعمد كذبا، فهو في يده يقول به ويعمل فيه ويرويه فيقول انا سمعته من رسول الله (ص) ولو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه. ورجل ثالث سمع من رسول الله (ص) شيئا امر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شئ، ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون بحاله لرفضوه. ورجل رابع لم يكذب على رسول الله (ص) مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله (ص) حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع، وعلم الناسخ من المنسوخ، فان امر النبي مثل امر القرآن ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان، مثل القرآن، وقد قال الله في كتابه: ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فيشتبه الحال على من لم يعرف وما يدري ما عنى الله به ورسوله، وليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله عن الشئ فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى انهم كانوا يحبون ان يجئ الاعرابي والطاري فيسأل الرسول حتى

يسمعوا، وكنت ادخل على رسول الله كل يو م دخلة، وكل ليلة دخلة فيخليني فيها ادور معه حيث دار، وقد علم اصحاب رسول الله انه لم يفعل ذلك مع احد من الناس غيري، فكنت ان سألته اجابني، وان سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت عليه آية الا اقرأنيها واملاها على فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها وعامها وخاصها، ودعا الله ان يعطيني فهما وحفظا فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا. وروى عن ابن عائشة البصري ان امير المؤمنين (ع) قال: ايها الناس اعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجهال عليه، الناس ابناء ما يحسنون، وقد ركل امرء ما يحسن، فتكلموا في العلم تبن اقداركم. وروى في باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب، عن السكوني ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال ان رسول الله كان يقول: ان على كل حق حقيقة، وعلى كل جواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه. وروى عن ابن ابي يعفور، ان الامام الصادق (ع) قال: إذا ورد عليكم حديث ووجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله، والا فالذي جاءكم به اولى به، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف ومردود على من جاء به، إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد ان آرائهم في اصول الدين وفروعه لا تتخطى كتاب الله وسنة رسول الله (ص)، وان ما عندهم من العلم قد ورثوه عن جدهم الاعظم (ص) لا يبتني على الاجتهاد والحدس، ولا على القياس والاستحسان، وقد صح عن الامام الصادق (ع) انه قال: حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي، حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله، لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى.

من كتاب الايمان في صحيح الخارى لقد تحدث البخاري في صحيحه، والكليني في الكافي عن الايمان بعنوان كتاب الايمان، وعرض كل

منهما تحت هذا العنوان، المرويات التي لديه في مختلف الابواب حسب المناسبات وسنقدم من الكتابين نماذج من تلك المرويات بنصها الحرفي مع التعليق على بعضها إذا دعت الحاجة لذلك. فقد جاء في الصحيح للبخاري عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال: بني الاسلام على خمس، شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، واقام الصلاة وايتاء الزكوة والحج وصوم شهر رمضان. وروي عن ابن عمر ان الرسول قال: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه. وفي باب اطعام الطعام، روى عن ابي موسى الاشعري ان رجلا سأل رسول الله (ص) اي الاسلام خير ؟ قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (١).

---

(١) ان صح الحديث لا بد وان يكون السؤال للنبى (ص) في ظروف الحاجة الملحة والفقر البالغ. فيكون الاطعام في هذه الحالات من افضل ما يقدمه الانسان لاخيه. وقراءته السلام على من عرف ومن لم يعرف كوسيلة إلى التقرب الى الناس والتحبب إليهم ولو بهذا النوع من التودد الذي يعبر عن صفاء القلوب وبرائتها من الغل الحقد في الغالب.

وروى عن انس بن مالك، ان النبي (ص) قال: لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه. وروى عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله (ص) قال: بينما انا نائم، رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا: فما اولت ذلك يا رسول الله قال الدين (١). وروى في كتاب الايمان عن ابن عباس، ان النبي (ص) قال: أ ريت في النار فإذا اكثر اهلها النساء قيل ايكفرن بالله يا رسول الله ؟ قال يكفرن العشير، ويكفرن الاحسان، لو احسنت إلى احداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط (٢). وروى عن عبادة بن الصامت، ان رسول الله (ص) خرج من بيته ليخبر الناس بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فرفعت، وعسى ان يكون خيرا لكم التمسوها في السبع والتسع والخمس. وجاء في فتح الباري في تفسير الحديث انه تخاصم رجلان ومعهما الشيطان، فنسيها النبي (ص). وروى في الباب الذي خصصه لليلة القدر مجموعة من المرويات

---

(١) لقد اكثر البخاري في صحيحه من المرويات بهذا المضمون. وهى كالصريحة في أن الناس كلهم لم يبلغ منهم أحد ما بلغه أبو حفص في الدين فقد ملئ من قرنه إلى قدمه وزيادة والناس لم يأخذوا منه الا القليل اي بنسبة ما يستر ربع اجسادهم ولعله يكنى بذلك عن معاصيهم. (٢) لقد روى البخاري عن النبي (ص) في المرأة اكثر من عشرة احاديث وقد وصفها في دينها وعقلها بمثل ما وصفها به امير المؤمنين علي (ع) مما يؤكد ان رأي علي فيها مستمد من رأي النبي (ص).

عن النبي (ص) واكثرها تنص على انها في العشر الاواخر من رمضان، وجاء في بعضها: اني أريت ليلة القدر، ثم أنسيتها أو نسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان في الوتر (١). ولا تختلف مرويات البخاري بمجموعها من حيث تحديد زمانها عن المرويات الشيعية واكثرها تنس على انها في العشر الاواخر من رمضان اما المختصات بتلك الليلة بالاضافة إلى الذي اشارت إليه السورة التي

تعرضت لها، فالروايات عن النبي (ص) والائمة (ع) قد اشتملت على الكثير من اثارها وخصائصها وحثت على العمل والتقرب إلى الله فيها. وروى في باب صلة الرحم عن قيس بن حازم عن عمرو بن العاص انه سمع النبي (ص) يقول: ان آل اي ليسوا لي بأولياء، انما وليى الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحما ابلها ببلالها (٢)، والمقصود آل ابي طالب كما فهم منها جميع المحدثين، وقد ترك البخاري ذكر طالب لان محمد بن جعفر احد الرواة لها ترك بياضا محل طالب كما نص على ذلك البخاري في صحيحه. ومن الغريب ان مؤلف فتح الباري بعد إذ اكد ان الحديث الذي رواه ابن العاص عن رسول الله (ص) هو ان آل ابي طالب: بعد ان اكد ذلك قال ما محصله: ان الحديث لا يعني عليا وجعفرا (ع). ومن غير البعيد ان يكون المعني به أبو طالب وحده، واضاف إلى ذلك ان جماعة رجحوا، بان الذي يعنيه النبي (ص) بقوله وصالح المؤمنين

---

(١) نظر ص ٢٤٥ وما بعدها. وإذا جاز عليه ان ينسى ليلة القدر بعد ان رآها ووعاها فمن الجائز عليه ان ينسى غيرها من الاحكام قبل تبليغها. وهذا لا يتلائم مع مقام النبوة واهدافها. (٢) اي اصلها بصلتها.

هم أبو بكر وعمر وعثمان (١) مع العلم بان كلمة آل فلان لا تشمل فلانا نفسه بل تختص بآله الذين ينتسبون إليه، فالرواية اذن لا تشمل ابا طالب بل تختص بآ له وآله في عصر الرسول (ص) هم اولاده الثلاثة علي وجعفر وعقيل وابنته ام هاني، ولو استثنينا جعفرا وعقيلا وعليا لم يبق لهذا الحديث من مورد، ولم يتعرض احد لسنده الا من ناحية الراوي له عن ابن العاص، وهو قيس بن ابي حازم فقد احتحمل جماعة بأن الحديث من موضوعاته لانه كان ناصبيا منحرفا عن علي (ع)، كما نص على ذلك في فتح الباري. ومما لا شك فيه ان هذا الحديث من موضوعات ابن النابغة ارضاء لسيده معاوية بن هند، ويستحيل على رسول الله (ص) ان يتنكر لجهاد ابي طالب وآله ومكانتهم من الاسلام واخلاصهم لدعوته منذ انبثاق فجرها، وهل يجوز على من علم الناس الوفاء ودعا إليه ان يتنكر للطالبيين، وهم الذين حضنوه صغيرا وجاهدوا بين يديه كبيرا جهادا لم يعرف التاريخ له نظيرا، ولولاهم لقضي على الاسلام وهو في مهده. وإذا لم يكن أبو طالب واولاده اولياء لرسول الله فمن هم الاولياء المحبون لرسول الله وليس ببعيد على الذين وضعوا هذا الحديث ان يكونوا بصدد ايهام الناس بأن أولياءه هم، ابن النابغة، وابن الزرقا، وابن هند وامثالهم ممن غمرهم الاسلام بخيراته وتنكروا لقيمه ومبادئه وكانوا حربا على اولياء الله ورسوله، ان الذين دونوا هذا الحديث بين المرويات عن الرسول في مجاميعهم يعلمون بان ابن النابغة يقصد عليا من بين ال ابي طالب ليرضي سيده معاوية، وكان عليهم ان لا يناقضوا انفسهم ويدونوا في نفس تلك المجاميع الروايات التي تؤكد ان عليا (ع) وجعفرا

---

(١) انظر ص ٢٥ من المجلد الثالث عشر من فتح الباري. (*)

كانا من اقرب المقربين إلى الرسول (ص) ومن تلك المرويات حديث الراية في غزوة خيبر التي قال فيها النبي (ص). لاعطين الراية غدا

رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كما جاء في المجلد الثالث وغيره من مجلدات البخاري، هذا بالاضافة إلى ما جاء عنه (ص) مما في فضل جعفر بن ابي طالب وتقديره لاخلاصه وبطولاته كما نص على ذلك البخاري وغيره (١). وروى في باب لبس القميص عن نافع عن عبد الله، انه لما توفي عبد الله بن ابي، جاء ابنه إلى رسول الله (ص)، فقال يا رسول الله اعطني قميصك ألفه فيه وصل عليه واستغفر له، فأعطاه رسول الله قميصه وقال له إذا فرغت فآذنا، فلما فرغ اذنه، فجاء ليصلي عليه فجذبه عمر بن الخطاب وقال له: اليس قد نهاك ربك ان تصلي على المنافقين، وقال لك: استغفر لهم أو لا تستغفر لم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فنزلت بهذه المناسبة الآية: " ولا تصل على أحد منهم مات أبدا "، فعند ذلك ترك النبي (ص) الصلات عليهم (٢).

---

(١) انظر المجلد الثالث من الصحيح. (٢) انظر ص ٢٥ من المجلد الرابع. ان الذين وضعوا هذه الرواية حسبوا ان هذا الاسلوب الجاف الارعن فضيلة لعمر بن الخطاب. والواقع ان الحديث لو صح يكون من سيئات عمر بن الخطاب ومن الشواهد على عدم انقياده للرسول واقتدائه به وفي الوقت ذاته يدل الحديث على تجاهل النبي (ص) للقرآن أو غفلته عن احكامه لانه لم يتنبه لرأي القرآن فيهم الا بعد ان نبهه الخليفة وقرأ عليه الآية وفي تلك اللحظة جاء الوحى مؤيدا لعمر في موقفه من المنافقين على حد زعمهم. وبالتالي ان الذين وضعوا هذه الرويات ليسوا باسوأ حالا من الذين دونوها في صحاحهم للاجيال على مر الدهور واختاروها من ستماية الف حديث. هذا بالاضافة إلى ان راوي الحديث عبد الله بن صالح بن محمد المصري متهم بالكذب كما جاء في التهذيب والميزان وغيرهما.

وروى في باب ما يجوز من الهجران عن عائشة انها قالت ان رسول الله (ص) قال لها: اني لاعرف غضبك من رضاك، قالت: وكيف ذاك يا رسول الله: قال: انك إذا كنت راضية قلت بلى ورب محمد: وإذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم، قالت: أجل لست أهجر الا اسمك. وفي باب التبسم والضحك روى عن محمد بن سعد عن ابيه ان عمر ابن الخطاب استأذن على رسول الله (ص) وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عا لية اصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فأذن له النبي (ص) فدخل والنبي يضحك فقال: اضحك الله سنك يا رسول الله بابي انت وامي، فقال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب، فقال أنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم أقبل عليهن وقال: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله (ص) فقلن انك أفك وأغلظ من رسول الله، فقال رسول الله: ايه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك (١). وروى في باب الانبساط إلى الناس عن هشام بن عروة ان عائشة قالت: كنت العب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي حواجب يلعبن معي فكان رسول الله إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن معي. وفي باب من دعا صاحبه ونقص من اسمه حرفا روى عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن ان عائشة زوجة النبي (ص) قالت: قال لي رسول الله (ص)

---

(١) انظر ص ٦٤ من المجلد الرابع ومقتضى الحديث ان الشيطان يهاب عمر بن الخطاب اكثر من رسول الله لان الرسول على حد زعم الراوي وصف ابا حفص بهذه الصفة لان النساء هبنه وخفن سطوته حين ان الحديث ينص على انهن لم يهبن الرسول ولم يتسترن منه كما فعلن مع عمر بن الخطاب.

يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام قلت وعليه السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته واضافت إلى ذلك انه يرى ما لا ترى. وفي باب كنية المشرك روى عن عبد الله بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب انه قال لرسول الله: هل نفعت ابا طالب بشئ فانه كان يحوطك ويغضب لك قال نعم: هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار (١). وإذا كان آل ابي طالب ليسوا للنبي باولياء كما يزعم ابن العاص فليس بغريب إذا كان سيدهم وزعيمهم أبو طالب في ضحضاح من نار أو في الدرك الاسفل من النار كما تنص على ذلك تلك المرويات التي صنعها معاوية بن هند وعملاؤه ليبرز من خلالها فضل ابيه المتضع بالاسلام، على ابي طالب المؤمن برسالة ابن اخيه ايمانا صادقا قويا منذ بعثه الله رسولا لعباده حتى النفس الاخير من حياته. ولولا انه والد الامام علي بن ابي طالب لكان عند جمهور السنة من اصدق المسلمين ايمانا واخلصهم عملا وفي اعلى درجات النعيم. وما ادري كيف سوغ هؤلاء لانفسهم ان يلصقوا الكفر بابي طالب بعد تلك المواقف الخالدة التي وقفها في سبيل الدعوة المباركة بماله وجاهه وجميع امكانياته، ولم يكفهم قوله من جملة ابيات كما جاء في تاريخ ابن كثير ص ٨٧. ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في اول الكتب وقوله في الكتاب المذكور ص ٥٧: وأيده رب العباد بنصره وأظهر دينا حقه غير زائل لقد علموا أن ابننا لامكذب لدينا ولا يعنى بقول الا باطل وقوله في ص ٤٢ من التاريخ المذكور:

---

(١) ص ٦٩ نفس المصدر.

وعرضت دينا فد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا إلى غير ذلك من أقواله ومواقفه التي لا يرتاب فيها الا كل أفاك أثيم. وقوله في ص ٤٢ من التاريخ المذكور وعرضت دينا قد عرفت بانه من خير اديان البرية دينا، إلى غير ذلك من اقواله ومواقفه التي لا يرتاب فيها الا كل آفاك اثيم. وروى في باب نكث العود في الماء والطين عن ابي موسى الاشعري، انه كان مع النبي (ص) في حائط من حيطان المدينة وفي يده عود يضرب به بين الماء والطين فجاء رجل يستفتح، فقال النبي (ص) افتح وبشره بالجنة فذهبت فإذا هو أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، فقال النبي (ص): افتح له وبشره بالجنة، فإذا هو عمر بن الخطاب، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر وكان متكئا فجلس وقال: افتح وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان (١). وفي باب الحجاب روي عن عائشة انها قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله (ص) احجب نساءك فلم يستجب لطلبه، وكان ازواج النبي يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصع فخرجت سودة بنت زمعه، وكانت امرأة طويلة فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال عرفتك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب، فانزل الله عند ذلك آية الحجاب، تنفيذا لرغبة عمر بن الخطاب في ذلك (٢).

---

(١) انظر ص ٨٣ / ج / ٤ (٢) والذين وضعوا هذا الحديث ارادوا ان يثيروا الشكوك حول التشريع واسبابه وان يخلقوا فضيلة لعمر ولو على حساب الطعن في جوهر الاسلام لان الله كما يزعم الراوي قد احترم رأي عمر وشرع بناء لرغبته وتلك فضيلة لا يعادلها شئ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وكل من رجع الى كتب التفسر واسباب النزول

يخرج وهو على يقين بان تشريع الحجاب كغيره من التشريعات ألتي كان الله سبحانه يراعى فيها مصلحة العباد لا رغبة محمد بن عبد الله (ص) ولا غيره من الناس.

---

[٢٥٣]

وروى في باب المناجاة عن عامر بن مسروق ان عائشة قالت: كنا ازواج النبي عنده جميعا لم تغادر منا واحدة، فاقبلت فاطمة (ع) تمشي لا والله ما تخفي مشيتها عن مشية رسول الله (ص)، فلما رآها رحب بها وقال: مرحبا بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه وسارها فبكت بكاء شديدا، فلما رأى حزنها سارها الثانية إذا هي تضحك، فقلت لها انا من بين نسائه خصك رسول الله بالسر من بيننا ثم انت تبكين، فلما قام رسول الله (ص) سألتها عما سارك، قالت ما كنت لافشي لرسول الله سرا، فلما توفي قلت لها عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما اخبرتني قالت اما الآن فنعم، اما حين سارني اولا فانه اخبرني ان جبرائيل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وانه عارضه به العام مرتين ولا ارى الاجل الا قد اقترب فاتقي الله واصبري فاني نعم السلف لك، فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعى سارني الثانية وقال لي يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الامة (١). وروى في باب الصلاة على النبي (ص) عن عبد الرحمن بن ابي ليلى انه قال: لقيب كعب بن عجرة، فقال: خرج علينا النبي (ص) فقلنا يا رسول الله كيف نصلي عليك، قال قو لوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد. وجاء في رواية ثانية رواها البخاري عن ابي سعيد الخدري، و عبد الله بن خباب ان ابا سعيد قال: يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم وروى

---

(١) انظر ص ٨٤ و ٨٨ و ٩٦، ج ٤.

---

[٢٥٤]

غير هاتين الروايتين بهذا المضمون (١). وروى في باب تكرير الدعاء عن هشام بن عروة عن عائشة ان رسول الله (ص) طب، اي سحر حتى ليخيل إليه انه صنع الشئ وما صنعه، وانه دعا ربه، ثم قال: اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه، قالت عائشة: فما ذاك يا رسول الله قال: جائني رجلان فجلس احدهما عند رأسي والاخر عند رجلي، فقال احدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب، قال من طبه ؟ قال لبيد بن الاعصم، قال فيما قال: في مشط ومشاطه، وجف طلعة، قال فأين هو: قال: في ذروان، وذروان في بني زريق، قالت فأتاها رسول الله (ص) ثم رجع إلى عائشة، فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، وكان نخلها رؤوس الشياطين، قالت فأتى رسول الله (ص) واخبرها عن البئر، فقلت يا رسول الله فهلا اخرجته، قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس شرا وقد روى البخاري حديث سحر النبي في موضع آخر من صحيحة بهذا المضمون (٢).

---

(١) ومع ان الروايات في صحيح البخاري وغيره تنص على ان الصلاة عليه لا تتم الا بذكر آله، حيث ان السائل سأله عن كيفية الصلاة عليه، وكان جوابه قولوا اللهم صل

على محمد وال محمد، ومع ذلك فاهل السنة يقتصرون عليه وحده ويخالفون النصوص المروية في صحاحهم بدون مدرك بل وحتى البخاري نفسه الراوي لتلك المرويات إذا ذكره يص عليه وحده ويتجاهل آله الذين لا تتم الصلاة عليه بدونهم. انظر ص ١٠٦ و ١٠٧ ج / ٤. (٢) والمراد من المشط الذى سحر به النبي (ص) على حد زعم الراوي هو العظم العريض الوجود في الكتف، وقيل غيره وجف الطلعة هو القشر الملاحق للطلع الذي يلقح فيه النخل وقيل غير لذك وبئر ذروان يقع خارج المدينة وقد ارسل النبي (ص) عليا وعمارا فنزلا البئر واستخرجا آلة السحر التي سحر بها. و قيل كما في فتح الباري: ان الذي نزل رجل آخر وقد وجد فيه تمثالا من شمع لرسول الله وفيه ابر مغروزة وإذا وتر فيه احد عشر عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين وكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما. انظر فتح الباري ج ١٢ ص ٣٤ وما بعدها وانظر في ص ١١٢ ج ٤.

---

[٢٥٥]

وقد تكرر هذا الحديث في الصحيح بهذا المضمون ورواه في المجلد الثاني ص ٢٠٤ عن هشام بن عروة عن ابيه عن السيدة عائشة وجاء فيه، ان النبي (ص) سحر حتى كان يخيل إليه انه صنع شيئا وما صنعه، والاحاديث المروية حول هذا الموضوع كلها تنص على ان النبي قد اثر به السحر إلى حد اصبح يخيل إليه انه قد صنع الشئ وما صنعه، ولازم ذلك ان يكون قد فقد رشده، ومن الجائز عليه في تلك الحالة ان يتخيل انه قد صلى ولم يصل، وان يتخيل شيئا يتنافى مع نبوته، بل مع انسانيته، فيفعله، وبالرغم من اني قد اخذت على نفسي ان لا اهاجم احدا في هذا الكتاب، ولكني اراني مضطرا للهجوم في هذا المورد وارى لزاما علي ان اقول: ان الذين رووا هذا الحديث ودونوه هم المسحورون لانهم لا يفكرون بما يكتبون، ويروون ولا يتثبتون، وكيف يصح على نبي لا ينطق عن الهوى كما وصفه ربه، ان يكون فريسة للمشعوذين، فيفقد شعوره ويغيب عن رشده، ومع ذلك يصفه القرآن بانه لا ينطق الا بما يوحى إليه، ويفرض على الناس اجمعين ان يقتدوا باقواله وافعاله، والمسحور قد يقول غير الحق ويفعل ما لا جوز فعله على سائر الناس وقد يخرج عن شعوره وادراكه. وكما روى البخاري حديث السحر، روى احاديث كثيرة تنص على ان النبي كان ينسى في صلاته فيزيد فيها احيانا وينقص حينا آخر. فروى عن علقمة عن عبد الله ان رسول الله (ص) صلى الظهر خمسا فقيل له: أزيد في الصلاة يا رسول الله فقال وما ذاك ؟ قيل له: صليت خمسا فرجع وسجد سجدتين واكتفى بصلاته (١).

---

(١) مع العلم بان زيادة الركعة مبطلة للصلاة سواء كانت من عمد أو سهو وقد كذب الجصاص في المجلد الثاني من احكام القران حديث سحر النبي (ص) ونزهه عن هذه الاباطيل التي لا تتفق مع الغاية التي ارسل الله الرسل من الجلها ولا اظن احدا من اعلام السنة يعرف مقام النبوة ويقر امثال هذه المرويات.

---

[٢٥٦]

وروى عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) صلى صلاة العصر ركعتين ثم سلم وقام إلى خشبة في المسجد ووضع يده عليها، وفي المسجد أبو بكر وعمر، فهابا ان يكلماه وخرج الناس وقالوا قصرت الصلاة، فسأله رجل منهم يدعى ذو اليدين، فقال: انسيت ام قصرت الصلاة يا رسول الله، فقال النبي (ص) لم أنس ولم تقصر، قال: بلى لقد نسيت، فرجع النبي وصلى بهم ركعتين وسلم ثم سجد سجدتين وروى غير هاتين الروايتين عن سهو النبي ونسيانه في باب السهو في الصلاة (١). وفي احاديث قيام الساعة روى عن ابي هريرة، ان رسول الله (ص) قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في ايمانها خيرا، ولتقومن

الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فمه فلا يطعمها. وروى في باب كيفية الحشر عن عبد الله بن عباس، ان رسول الله (ص) وقف خطيبا في الناس. فقال: ا انكم محشورون حفاة عراة كما بدأنا اول خلق نعيده، وان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم،

---

(١) انظر ص ٢١٢ و ٢١٣ من الصحيح، ونسبة السهو والنسيان إلى النبي (ص) من المنكرات عند الامامية ولم يرد في الكافي ما يشير إلى ذلك ومال الى جواز السهو عليه محمد بن بابويه المعروف بالصدوق احد محدثي الامامية ولكنه تعرض لاعنف الهجمات من الامامية في جميع العصور وإذا جاز عليه الهو والنسيان في صلاته جاز في غيرها حتى في حال تبليغ الاحكام والوحى وغيرهما وإذا كان بهذه الحالة فهل يحصل للناس الجزم والوثوق بما يأتي به بعد ان كان معرضا للسهو وللنسيان ولان يدخل عليه السحر وينفعل به كغيره من سائر الناس.

وانه سيجاء برجال من امني فيؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال، فاقول يا رب اصحابي ! فيقول: انك لا تدري ما احدثوا بعدك، فاقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فيقال انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم القهقرى وقد روى عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلؤن عن الحوض، فاقول يا رب اصحابي، فيقول: انك لا علم لك بما احدثوا بعدك، انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى. وروى بهذا المضمون اكثر من عشر روايات، وجاء في بعضها انه لا يخلص منهم الا مثل همل النعم (١). وبلا شك ان المراد من اصحابه في هذه الروايات على كثرتها هم الصحابة الذين عاصروه واستمعوا لاحاديثه واقواله واشتركوا في غزواته هؤلاء بلا شك هم المعنيون بهذه الاحاديث، والذي يلفت النظر ويدعو إلى التسائل، هو وصفهم بالارتداد والتغيير والتبديل، مع انهم حاربوا المرتدين وكانوا يحرصون على نشر الاسلام وتطبيق اصوله وفروعه، ومن البعيد ان يصفهم الله والرسول بهذه الصفات لمجرد مخالفتهم لبعض الاحكام وارتكابهم لبعض المعاصي، لان المعصية لا تسوغ وصفهم بالارتداد ولا بالخروج من الدين ولا توجب هلاكهم فلا بد وان يكون السبب في ذلك ابعد من المخالفات والمعاصي التي لا يسلم فيها الا من عصمه الله، وإذا رجعنا إلى الاحداث التي تلت وفاة الرسول والتطورات التي حدثت من بعده لا نجد سببا معقولا سوى الموقف السلبي الذي وقفوه من الخليفة الشرعي ذلك الموقف الذي انتج تلالى المضاعفات والتناقضات الخطيرة وهيأ للامويين ان يحكموا باسم الدين والاسلام ويمارسوا

---

(١) انظر ص ١٢٠ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٤١ و ١٤٣ وص ١٥٨.

جميع انواع الفساد والمنكرات واحياء جميع مظاهر الجاهلية، بعدما حاربها النبي وكاد ان يجتث جذورها، ولم يكتفوا بكل ذلك وحاولوا بواسطة انصارهم وعمالهم المنتشرين هنا وهناك ان يضعوا الخليفة فوق مستوى الرسول كما اشرنا إلى ذلك في الفصل الثالث من فصول هذا الكتاب. وروى البخاري عن جنادة بن ابي امية انه قال: دخلنا على عبادة ابن الصامت وهو مريض فقلنا له اصلحك الله ! حدثنا بحديث ينفعنا الله به سمعته من رسول الله (ص) فقال: دعانا

النبي فبايعناه فكان فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وان لا تنازعوا الامر اهله الا إذ تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برها ن (١). وروى في باب إذا حرم الانسان طعامه، ان عبيدالله بن عمر كان يقول: سمعت عائشة تزعم ان النبي (ص) كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواصيت انا وحفصه، ان ايتنا دخل عليها النبي (ص) فلتقل اني اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له، قال: لا بل شربت عسلا عند زينب ولن اعود

---

(١) ص ٢١٢ المصدر السابق وتشر هذه الرواية إلى ان النبي (ص) كان يحثهم ويؤكد عليهم ان يستسلموا للحاكمين ممن يتولون الامور من بمده حتى ولو ظلموا وافسدوا ومارسوا المنكرات والمحرمات ولا يعارضوهم في شئ من ذلك مع العلم بان الثورة على الظلم والطغيان والاستبداد من ابرز المبادئ التى جاء بها الاسلام واكد النبي (ص) في عشرات المناسبات مواصلة الكفاح ضد الظلم والطغيان والتمرد على احكام الله وسننه مهما كانت النتا ئج فلا بد وان تكون هذه الرواية وامثالها من صنع الذين دونوا الحديث في قصور الخلفاء ليصرفوا الناس عن واقع اولئك الحكام الملوث بكل انواع الجرائم والمنكرات وظلم العباد.

فنزلت الآية: " يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لد تبتغي مرضات ازواجك ". وفي باب الرؤيا روى عن ابن عمر انه سمع النبي (ص) يقول: بينا انا نائم اتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى اني لارى الري يخرج من اظفاري، ثم اعطيت فضلي لعمر بن الخطاب، قالوا فما اولته يا رسول الله قال: العلم. وروى عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال: بينما انا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم اخذها أبو بكر فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن. وروى عن ابي هريرة ايضا ان النبي (ص) قال: بينما انا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت لمن هذا القصر قالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته ووليت مدبرا، وقد تكرر هذا النوع من المرويات في صحيح البخاري عن طريق ابي هريرة، وفي بعضها انه رأى قصرا من ذهب لعمر بن الخطاب في الجنة، وقد امتنع النبي من دخوله تهيبا من غيرته. وروى في فضائل عثمان ان امرأة رأت عينا جارية لعثمان، فسألت النبي (ص) عنها فقال: هي علمه (١). وروى عن ابى جاء عن ابن عباس ان النبي (ص) قال: من كره من اميره شيئا فليصبر، فان من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية،

---

(١) ص ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٦.

وقد تكرر هذا المضمون بين مرويات البخاري، فروى عن عطاء عن ابي رجاء العطاردي ان عبد الله بن عباس سمع النبي (ص) يقول: من رأى من اميره شيئا يكرهه فليبصر عليه، فان من فارق الجماعة شبرا ومات، مات ميتة جاهلية (١). وروى في باب هلاك امتي على ايدي اغيلمة، من عمر بن يحيي عن سعيد عن جده انه قال: كنت جالسا مع ابي هريره في مسجد النبي (ص) بالمدينة ومعنا مروان بن الحكم، فقال أبو هريرة: سمعت الصادق الصدوق يقول: هلكت امتي على يدي غلمة من قريش، فقال مروان: لعنة الله عليهم

غلمة، فقال أبو هريرة: لو شئت ان اقول بني فلان وبني فلان لفعلت، واضاف إلى ذلك الراوي كنت اخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا في الشام، فإذا راهم غلمانا احداثا قال لنا: عسى هؤلاء ان يكونوا منهم، قلنا انت اعلم. وروى ايضا عن الزهري عن اسامة بن زيد انه قال: اشرف النبي (ص) على اطم من آطام المدينة فقال: هل ترون ما ارى، قالوا

---

(١) انظر ص ٢٢٢ / ج ٤ هذا النوع من المرويات منصنع الامويين واتباعهم الذين كانوا يحاذرون من يقضة المسلمين ومراقبة تصرفاتهم واعلان الثورة على تلك الانظمة الفاسدة التي احدثوها منذ ان تيسر لهم الستيلاء على الحكم بالسلاح والمال والخداع والمراوغة، ولو صحت هذه المرويات عن الرسول (ص) فلابد وان يكون المقصود منها الخروج عن طاعة الامام الذي يحكم بالحق والعدل لا غيره ممن غير وبدل واراق الدماء وانتهك الحرمات ليتآمر على المسلمين ويتحكم في رقابهم حسب شهواته واهوائه.

لا قال فاني لارى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر (١). وروى عن حذيفة اليمان، ان الناس كانوا يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان يدركنى، فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاء فا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم، وفيه دخن: قلت وما دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر (٢) قلت: في بعد ذلك الخير من شر، قال نعم. دعاة على ابواب جهنم من اجابهبم إليها قذفوه فيها، قلت صفهم لنا: قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا، قلت فما تأمرني ان ادركني ذلك، قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم، قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام، قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت. وروى عن نافع انه قال: لما خلع اهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر ولده وحشمه وقال: اني سمعت رسول الله (ص) يقول: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، واني لا اطم غدرا اعظم من ان يبايع رجل على بيع الله ورسوله. ثم ينصب له القتال واني والله لا اعلم احدا منكم خلعه وبايع غيره الا كانت الفيصل بيني وبينه. وروى عنه ايضا انه لما انتهت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان في له ببيعته وبيعة ولده وذويه واكد له وفاءه بها عليا (ع) تمنع عن بيعته هو وولده ووقف منها موقف المحتاط لدينه على حد زعمه، وهو مع ذلك يحتضن نبأ استخلاف عبد الملك ويستبق الناس

---

(١) انظر ص ٢٢٢ نفس المصدر هذه الرواية والتي قبلها تشير الى الامويين وابو هريرة يعرفهم باسمائهم وانهم بنو سفيان وبنو مروان ولكنه وفاء منه لاسياده الامويين لم يشأ ان يصرح بهم في حديثه مع مروان وهم اول من مشى في خط عريض يتنافى مع الانظمة الاسلامية وسيرة الرسول (ص) وخلفائه الطيبين. (٢) يريد بذلك انهم اخذوا بشئ من الحق وشئ من الباطل.

للاقرار له بالطاعة ويعده العمل باخلاص ونصيحه، ويتوعد اهله واصحابه ان هم خلعوا يزيد بن معاوية وبايعوا غيره. وروى في باب اشراط الساعة، ان النبي (ص) قال: يوشك الفرات ان يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره لا يؤخذ منه شيئا، وفي رواية اخرى، انه يحسر عن جبل من ذهب. وروى ايضا ان رسول الله (ص) قال: لا

تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وحتى يكثر المال ويتطاول الناس في البنيان وحتى تطلع الشمس من مغربها (١). وروى في باب خير الامرأة عن الشعبي انه قال: قاعدت ابن عمر قريبا من سنتين فلم اسمعه يحدث عن النبي (ص) غير هذا قال: كان ناس من اصحاب رسول الله فيهم سعد، فذهبوا يأكلون من لحم فنادتهم امرأة من بعض ازواج النبي (ص) انه لحم ضب فأمسكوا فقال رسول الله (ص): كلوا فا نه حلال لا بأس به ولكنه ليس من طعامي وقد تكرر

---

(١) ص ٢٣١ لقد اخبر النبي (ص) عن هذه الحوادث قبل وقوعها بمئات السنين ووقع الكثير مما اخبر به، فلقد انحسر الفرات عن كنوز من الذهب وانهر من البترول والذهب الاسود، وكثر الدجالون الكذابون الذين يتظاهرون بالدين ويزعمون انهم يحملون رسالة الله لعباده وهم يحملون رسالة اسيادهم اعداء الاسلام ولا يريدون ان يتكلم غيرهم باسم الدين كما يزعم بعض الادعياء. وتقارب الزمان بسبب الوسائل الحديثة التي ربطت العالم بعضه ببعض، وتطاول الناس بالبنيان حتى اصبحت البناية الواحدة تتسع للآلاف من البشر.

هذا الحديث في كتاب الاطعمة والاشربة من الصحيح (١). وروى عن جابر بن سمرة انه قال: سمعت النبي يقول يكون بعدي اثنا عشر اميرا وقال كلمة لم اسمعها فقال ابي انه قال: كلهم من قريش. ومن المعلوم ان النبي (ص) لم يقصد بالخلفاء الاثني عشر امراء الامويين لأنهم اكثر من ذلك ولا العباسيين ايضا لان حكام الامويين من بعده اربعة عشر حاكما وإذا اضفنا إليهم من يسمونهم بالراشدين بلغوا ثمانية عشر خليفة، والعباسيين اكثر من عشرين حاكما، فلا ينطبق هذا العدد الا على الائمة الاثني عشر (ع) من ذريته وجاء في بعض المرويات الشيعية وبعض المرويات السنية عن النبي ما يؤكد انهم هم المعنيون من هذا العدد لا غيرهم. وقد اكثر الحافظ ابن كثير في ص ١٥٣ من المجلد الاول من تاريخه البداية والنهاية من اللف والدوران في تأول الحديث بما يتفق مع عقيدته ليسد الطرين على الرافضة على حد تعبيره بعد ان رأى ان الحديث لا ينطبق على الاثني عشر من ذرية الرسول وانطلق من الحديث المذكور إلى اسطورة السرداب في سامرا وانكار الامام الثاني عشر، فقال بأن ما يعتقده الشيعة هوس في الرؤوس وهذيان في النفوس لا حقيقة له ولا في ولا اثر ولم يستطع ان يكتم حقده ونصبه على أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهر نفوسهم مما تحمله نفس الحافظ ابن كثير وامثاله من الحقد والكذب. فقال: ان ما يسمونهم بالائمة كانوا عاديين كغيرهم من الرعايا وليس فيهم الا عليا لانه من الراشدين والحسن حيث سلم الامر لمعاوية

---

(١) والضب حيوان اشبه بالحرذون في تفصيله قبيح الشكل والمنظر يكثر وجوده في البوادي ويتخذ جحرا له في الرمال يقتات على حشرات البر، وكان الطعام المفضل لعرب الصحراء وهو من الحرمات عند الشيعة لانه من نوع الحشرات.

على حد تعبيره، ويبدو من كلامه ان الحسن انما كان مرضيا عنده حيث سلم الامر لمعاوية لا لفضائله التي لا تحصى ولا لان الرسول

اشاد بفضله. ولم يشأ ان يمر بالحديث كمؤرخ يعرض الحوادث ولا يحقق فيها كغيره من المؤرخين القدامى، لم يشأ ان يمر به بدون ان يعبث في تأويله، فقال ان المراد بالاثني عشر الذين اخبر الله بهم اسماعيل النبي حينما بشره بمحمد (ص) واخبر عنهم النبي الكريم كما جاء في رواية البخاري فقال ان المراد بهم الراشدون الاربعة وعمر بن عبد العزيز والباقون من خلفاء بني العباس من غير ان يعين احدا منهم باسمه ووصفه وقد أورد هذا الحديث بالاضافة إلى البخاري كل من مسلم في صحيحه واي داود في جامعه واحمد بن حنبل في مسنده واخرجه الطبراني واضاف إليه لا تضرهم عداوة من عاداهم كما رواه اكثر المحدثين في مجاميعهم وصحاحهم بصيغ قد يختلف بعضها عن البعض الاخر مع الاتفاق على العدد الذي ذكرناه وفي بعضها ما يشير إلى انهم من ذريته بنحو لا ينطبق الا على الائمة الاثني عشر (ع). وفي باب ما يكره من التنازع روى عن عروة عن خالته عائشة انها قالت: ان رسول الله (ص) قال في مرضه: مروا ابا بكر يصلي بالناس قالت عائشة قلت: ان ابا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع من البكاء فمر عمر يصلي، فقال: مروا ابا بكر فليصل بالناس، قالت عائشة قلت لحفصة: قولي ان ابا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء تمر عمر ليصلي بهم، ففعلت حفصة، فقال رسول الله: انكن لأنتن صواحب يوسف مروا ابا بكر، قالت حفصة: ما كنت لاصيب منك خيرا، وتكرر هذا الحديث بهذا النص، وبما هو قريب منه في المجلدات الاربعة من الصحيح للبخاري (١).

---

(١) انظر ص ٢٦١ / ج ٤.

وفي باب دعاء امته إلى التوحيد، روى البخاري عن عمرة بن عبد الرحمن، ان عائشة قالت: ان النبي بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لاصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله احد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي (ص) فقال سلوه لاي شئ كان يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان أقرأ بها، فقال النبي (ص) اخبروه ان الله يحبه (١). وفي باب قول الله انما قولنا لشئ: روى عن معاوية بن ابي سفيان انه سمع النبي (ص) يقول: لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى ياتي أمر الله وهم على ذلك، واضاف إلى ذلك ان مالك بن يخامر سمع معاذا يقول وهم بالشام فقال معاوية: هذا مالك يزعم انه سمع معاذا يقول، وهم بالشام (٢). وفي باب الصلاة على الفراش روى عن ابي سلمه بن عبد الرحمن، ان عائشة قالت: كنت انام بين يدي رسول الله (ص) ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتها والبيوت يومئذ ليس فيها مصباح، و هذه الرواية من المكررات في البخاري، فقد رواها عن السيدة عائشة بمناسبة ذكره للرواية التي تنص على ان مرور الكلب والحمار بين يدي المصلي يقطع الصلاة (٣).

---

(١) الرجل الذي اخبرت عنه السيدة عائشة هو علي بن ابى طالب (ع) وعائشة تعرف ذلك جيدا، ولكنها لما سمعت النبي يقول: ان الله يحبه منعها حقدها عليه ان تصرح باسمه. (٢) لقد خص النبي الشام بهذه الفضيلة لانها عاصمة معاوية الحريص على احكام الله وشريعته واهلها كانوا من اتباعه المناصرين له، وفيها ولده يزيد، وهشام بن عبد الملك، والوليد صاحب " حبابه " وغيرهم من هذه الشجرة المباركة. (٣) انظر ص. ٨ ج ١. (*)

[٢٦٦]

وفي باب مباشرة الحائض روى عن عائشة انها قالت: كنت اغتسل انا والنبي من اناء واحد وكلانا جنب، وكان يأمرني وانا حائض فأتزر فيباشرني وانا حائض، وروى عنها انها قالت: كا نت احدانا إذا حاضت فأراد رسول الله ان يباشرها امرها ان تأتزر في فور حيضتها، ثم يباشرها، واضافت إلى ذلك وايكم يملك اربه. وروى هذا المضمون عن ميمونة ايضا (١). وروى عن انس ان عمر بن الخطاب قال: وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى، فنزلت، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت له يا رسول الله: لو أمرت نسائك ان يحتجبن، فانه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، وقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية (٢).

---

(١) نفس المصدر ص ٦٤، وكمة المباشرة تعني ان النبي ص كان يستعملهن في حال الحيض كما يستعمل الرجل المرأة ما عدا الوطئ كما نص على ذلك ابن حجر في المجلد الاول من فتح الباري بقصد بيان الحكم الشرعي على حد تعبيره، وهذه الرواية من المكذوبات على الرسول (ص) وهو ارفع شأنا من ان تغلبه شهوته وتضطره إلى مباشرتهن في حال الحيض مع العلم بانه لو احتاج إلى النساء يمكنه استعمال غير الحائض من نسائه الكثرات، وبالامكان ان يبين الحكم الشرعي بغير هذا الاسلوب الذي يتنافى مع مكانته. ويضعه في المستوى الذي يترفع عنه الكثير من الناس. (٢) انظر ص ٨٣ / ج / ١ ويبدو من هذه الرواية ان الآية الاخيرة هي من كلام عمر بن الخطاب بمادتها وهيئتها، وان الله انزلها كما نطق بها ابو حفص رحمه الله. بدون تغيير أو تحريف، وفي ذلك ما يؤكد ان الرواية المذكورة وضعت لاثارة الشبه حول القرآن وان بعضه من صنع الصحابة كما يرى الحاقدون من اعداء الاسلام وليس بغريب على الامويين وانصارهم ان يوفروا الاجواء للتشكيك برسالة محمد (ص) لانهم لم يؤمنوا بها طرفة عين ابدا كما يدل على ذلك تاريخهم الطويل.

---

[٢٦٧]

وروى عن عكرمة، ان عبد الله بن عباس قال: خرج رسول الله (ص) في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر فحمد ربه وأثنى عليه، ثم قال: انه ليس من الناس احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر بن ابي قحافة، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا، ولكن خلة الاسلام افضل. سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة ابي بكر (١). وفي باب صلاة المريض روى عن عائشة انها قالت: لما مرض رسول الله مرضه الذي مات فيه، قال: مروا ابا بكر يصلي بالناس، فقيل له ان ابا بكر رجل اسيف إذا قام مقامك لم يستطع الصلاة، فأعادها عليهم ثلاثا فخرج أبو بكر وبعد ان شرح في الصلاة وجد النبي (ص) في نفسه خفة فخرج يتهادى بين رجلين كأني انظر إلى رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر ان يتاخر، فأومأ إليه النبي ان مكانك وجلس إلى جانبه، وقال الاعمش: ان ابا بكر كان يصلي بصلاة النبي والناس يأتمون بأبي بكر (٢). وفي باب الحراب والورق يوم العيد، روى عن عروة عن خالته عائشة انها قالت دخل علي رسول الله (ص) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بغاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني،

---

(١) ١٩٩ نفس المصدر. (٢) ص نفس المصدر ص ١٢٢ وهل يتفق هذا الالحاح الاكيد من الرسول على ان يتولى الصلاة مكانه أبو بكر كما تدل على ذلك المرويات الكثيرة عن السيدة عائشة التى رواها البخاري عنها باشكال مختلفة متباينة، هل يتفق هذا الالحاح على ابى بكر للصلاة بالناس مع خروج النبي متوكئا على علي والصباس وهو في حالة المرض الشديد كما تنص على ذلك هذه الرواية بمجرد ان دخل الرجل في

الصلاة، الا ان يكون خروجه وهو بهذه الحالة ليختم حياته مؤتما بأبى بكر ويقبل على الله قرير العين بهذه الصلاة التي وفق لها في آخر لحظة من حياته.

---

[٢٦٨]

وقال مزمارة الشيطان عند النبي (ص)، فأقبل عليه رسول الله وقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد، يلعب فيه السودان بالورق والحراب، فقال النبي (ص) تشتهي تنظرين فقلت نعم، فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني ارفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم. وروى ايضا عن هشام عن ابيه عروة ان عائشة قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان تغنيان مما تقاولت الانصار يوم بغاث، فقال أبو بكر مزامير الشيطان في بيت رسول الله (ص)، فقال رسول الله (ص): يا ابا بكر ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (١). وفي باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله الا الله، روى عن ابن شهاب ان سعيد بن المسيب اخبره، انه لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ص) فوجد عنده ابا جهل، وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة، فقال له رسول الله: يا عم قل لا إله الا الله اشهد لك بها عند الله، فقال ابو جهل وعبد الله: يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله يعرضها عليه، وهما يعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به انه على ملة ابراهيم وابى ان يقول: لا إله الا الله، فقال رسول الله: اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك، فانزل الله تعالى فيه:

---

(١) ص ١٥٩ من المصدر السابق، وكان من المفروض على البخاري كمحدث قد اختار جامعه من آلاف الاحاديث المروية عن النبي (ص) ان يتجنب تدوين هذا النوع من المرويات الذى يصور النبي العظيم وكأنه آلة بيد امرأة يحاول ارضاءها ولو بحضور مجالس الغناء والرقص، والوقوف إلى جانبها على الشرفات لترى المغنيات الراقصات يلعبن في مواسم الاعياد، ان الرسول لاعظم من ان ينحط إلى هذه المستويات التي ترفع عنها أبو بكر وعمر، كما نصت على ذلك تلك المرويات.

---

[٢٦٩]

" ما كان للنبي والذين امنوا معه ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا ذوي قربى " (١). - لقد اسند الزهري هذه الرواية إلى سعيد بن المسيب وهي من جملة موضوعاته التي كان يتقرب بها للامويين لانه كان من اتباعهم وقضاتهم، وغير بعيد عليه ان يضع لهم هذا الحديث، بعد ان نسب إلى الرسول انه قال: لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد المدينة والمسجد الاقصى، وان الصخرة التي وضع رسول الله قدمه عليها تقوم مقام الكعبة (٢). ويهمهم اكثر من اي شئ ترويج المرويات التي تضع ابا طالب في صفوف المشركين وتمنح ابا سفيان زعيم الاسرة الاموية صفات الصديقين المؤمنين مع العلم بان الذين وصفوا ابا طالب بالمشرك لم يستطيعوا ان يتنكروا لجهوده التي بذلها في سبيل الرسول ودعوته، والذين وصفوا ابا سفيان بالاسلام لم يفلحوا في كتم مكائده ودسائسه التي بذلها لتقويض دعائم الاسلام حتى بعد اسلامه المزعوم. وفي باب بدء الوحي روى عن عائشة انها قالت: أول ما بدأ به رسول الله من الوير الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الغلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٥. (٢) انظر تاريخ اليعقوبي ص ٨ ج ٢، لقد وضع الزهري هذا الحديث استجابة لطلب عبد الملك حينما منع الناس من الحج إلى مكة في عهد ابن الزبير، وبعد ان اذاع حديث الزهري بين الناس بنى الناس على الصخرة قبة وأمر الناس ان يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة في موسم الحج.

يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال اقرأ فقال ما انا بقارئ، قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال اقرأ، قلت ما انا بقارئ، فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني، فقال: اقرأ قلت ما انا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني وكررها ثلاثا حتى ذهب عنه الروع فأخبر زوجته خديجة بالخبر، وقال لها: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله ابدا. انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسي المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر، ثم انطلقت به إلى عمها ورقة بن نوفل بن عبد العزى، وكان قد تنصر، وكت الانجيل بالعبرانية وبلغت به الشيخوخة حدها الاقصى، وبعد ان قص عليه النبي (ص) ما اصابه، اجابه ان هذا الذي ترى هو الناموس الذي انزل على موسى ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله: أو مخرجي هم ؟ قال نعم: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الاعو دي، وان يدركني يرمك أنصرك نصرا مؤزرا (١). - وروى في باب من لا احب الدفن في الارض المقدسة عن ابي هريرة انه قال: ارسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صك ملك الموت وجهه،

(١) انظر ج ا، ص ٦ و ٧ وقد نص هذا الحديث بصراحة ان النبي (ص) مع تلك العلامات التي أظهرها الله له، ومع انه رأى الملك واوحى إليه هذه الآيات من القرآن الكريم، كان شاكا في امره، وخائفا من مصيره، ولم يطمئن على نفسه الا بعد ان بشره ورقة بن نوفل بالنبوة التي انتهت إليه، ومن ناحية السند فان راوي هذا الحديث يحيى بن بكير وهو ليس من الموثوق بهم عند المؤلفين في الرجال، كما نص على ذلك الذهبي في الميزان، وابن حجر في تهذيب التهذيب.

ففقأ عينه فرجع إلى ربه، فقال له ارسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه، وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال موسى: اي رب ثم ماذا، قال ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر، قال رسول الله: فلو كنت ثم لأريتك قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر (١). وروى في باب استعمال البقر للحراثة عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال: بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه وقالت له: اني لم اخلق لهذا بل خلقت للحراثة، قال النبي: آمنت به انا وابو بكر وعمر، واخذ الذئب شاة فتبعها الراعى، فقال الذئب: من لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري، فقال النبي: آمنت انا وابو بكر وعمر، قال أبو سلمة راوي الحديث عن ابي هريرة، وما هما يومئذ في القوم، اي حينما حدث الرسول بهذا الحديث لم يكونا معه، (٢). وفي باب مسح الغبار روى عن عكرمة ان ابن عباس قال له ولعلي ابن عبد الله آتيا ابا سعيد فاسمعا من حديثه، فأتياه وهو وأخوه في

(١) ص ٢٣٢،، وان المتتبع في مرويات ابى هريرة يجده فنانا في مروياته التى ينسبها إلى الرسول (ص)، وكثر منها لا يجد الباحث مفرا من التشكيك به، وان دلت هذه الرواية على شئ، فانها تدل على ان موسى قد بلغ به الحمق إلى حد افقده وعيه فبطش بملك الموت ولطمه لطمة افقدته عينه، واضطر ان يراجع ربه شاكيا من هذا النبي الذي يرفض تنفيذ اوامره ويبطش برسله. (٢) ص ٤٥ من ج ٢، واكثر روايات ابى هريرة في صحيح البخاري من النوع الذي ليم. له شبه في السنة ولا في الكتاب، ولا يؤيده العقل، ولعل هذا النوع من المرويات من الوعاء الذي لم يحدث به في عصر الصحابة ولو حدثهم بهذه الاحاديث في ذلك العصر لقطعوا بلعومه على حد تعبيره.

حائد لهما يسقيانه، فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس، فقال كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين، فمر به رسول الله (ص) ومسح عن رأسه الغبار، وقال ويح عمار: تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار (١). وروى في باب طلب الولد للجهاد عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتي بفارس، افعم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله: لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون (٢). ان سليمان بن داود كان من انبياء الله الصالحين، وقد وهبه الله ملكا ليس لأحد مثله، فسخر له الجن والانس، وعلمه منطق الطير وجميع الحيوانات، وليس على الله بمحال ان يعطيه قوة عشرات الرجال ويمدد له في ليلته، ليستطيع ان يقوم بعلمة الجنس مع مائة امرأة في ليلة واحدة، ليس ذلك بمحال عقلا ولكن مقام النبوة اسمى وأعلى من أن ينحدر بصاحبه إلى هذا المستوى الذي لا يليق حتى بالحيوانات وهل بلغ بهذا النبي الكريم الغرور إلى حد انه اصبح يرى نفسه مستطيعا لان يحقق هذه الاعجوبة بغير مشيئة الله سبحانه، فينشئ جيشا مؤلفا من مائة فارس في ليلة واحدة، مع العلم بأن هذا الزمان لا يتسع للاتصال بمائة امرأة، ومهما كان الحال فالله يغفر لمحمد بن اسماعيل البخاري، لو انه ترك هذا الحديث مع الستماية إلى التي اختار منها صحيحه، لكان من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه.

---

(١) ومن المعلوم ان الذين كانوا يدعونه إلى النار هم الذين حاربوه في البصرة وقتلوه في صفين لانه دعاهم إلى الجنة والرجوع عن ضلالهم وعلى رأسهم معاوية وابن العاص وزمرتهما، الذين روى عنهم البخاري في صحيحه عشرات الروايات. (٢) ص ١٢٩ و ١٤١، ج ٢.

وروى في باب قتال اليهود عن عبد الله بن عمر ان رسول الله (ص) قال: تقاتلون اليهود حتى يختبئ احدهم وراء الحجر. فيقول الحجر يا عبد الله: هذا يهودي ورائي فاقتله. وروى عن ابي هريرة ان النبي قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، وحتى يقون الحجر وراءه اليهودي، يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله. ولا بد ان يجئ هذا اليوم الذي وعد به ارلسول (ص) الذي لا ينطق عن الهوى وقد ظهرت تباشيره بعدوانهم الاخير الذي هيأه لهم المستعمر الغادر. ومكنهم من تشريد شعب بأسره. وروى في باب لواء النبي (ص) عن سلمة بن الاكوع ان عليا (ع) كان قد تخلف عن النبي (ص) في غزوة خيبر لرمد اصاب عينه فقال: انا اتخلف عن رسول الله، ثم خرج ولحق به. فلما كان مساء الليلة التي فتحت في صباحها خيبر قال رسول الله (ص): لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ورواها في المجلد الثالث بزيادة ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدكون ليلتهم

ايهم بعطاها، فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله، وكلهم يرجوها، فأعطاها رسول الله (ص) لعلي (ع) ورواها عن طريق سهل بن سعد، مع الزيادة التالية. ان عليا كان ارمد العين. فبصق النبي (ص) في عينه فبرأ من ساعته، ثم اخذ الراية وتم الفتح على يده (١). وروى عن ابي سعيد الخدري ان النبي (ص) قال: كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا، ثم خرج فأتى راهبا، فسأله هل

---

(١) انظر ص ١٥٧ و ١٦١ و ١٦٦ ج ٢.

من توبة ؟ قال لا: فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا. فادركه الموت فمال بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فأوحى الله إلى هذه ان تقربي، وأوحى إلى هذه ان تباعدي، وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه اقرب بشبر فغفر له (١). وروى عن ابي هريرة ان رسون الله (ص) قال: ان موسى كان رجلا حييا يتستر كي لا يرى من جلده شئ استحياء منه. فآذاه من آذاه من بني اسرائيل، فقالوا ما اسنتتر هذا الا من عيب بجلده، اما برص، واما ادره، واما افة، وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا فيه، فخلا يوما وحده ووضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ اقبل إلى ثيابه ليأخذها، وان الحجر عدا بثوبه، فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، ثم انتهى إلى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن مما خلق الله وابرأه مما يقولون، وقام إلى الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، والله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا أو اربعا أو خمسا، كما جاء في الرواية، واضاف إلى ذلك ان الآية: " يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها " نزلت بهذه المناسبة (٢). وروى في باب صفة ابليس عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال: إذا مر بين يدي احدكم شئ وهو يصلي فليمنعه، فان ابى فليقاتله، فانما هو شيطان. وروى ايضا عن ابي هريرة ان الرسول قال: إذا نودي بالصلاة ادبر

---

(١) ص ٢٦١ ولا شك في ان هذه الرواية وامثالها من صنع المرتزقة الذين كانوا يتقربون بالحكام السفاكين بمثل هذه المرويات التى تصور لهم ان التوبة تدفع عنهم مسؤولية جرائمهم مهما كان نوعها. (٢) ص ٢٤٧.

الشيطان وله ضراط، وفي رواية تهانية عنه ان النبي قال: إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فانه رأى شيطانا وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة (١). وروى عن ابي موسى ان النبي (ص) قال: كمل من الرجال كثير. ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، وهذا الحديث من المكررات في صحيح البخاري. وروى عن علي (ع) انه سمع النبي (ص) يقول: خير نسائها مريم ابنة عمران: وخير نسائها خديجة بنت خويلد (٢). وروى في باب من انتسب إلى آبائه في الجاهلية والاسلام عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال: يا بني عبد مناف اشتروا انفسكم من الله يا بني عبد المطلب اشتروا انفسكم من الله، يا ام الزبير بن العوام

عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت محمد اشتريا انفسكما اشتريا انفسكما من الله، فاني لا املك لكم من الله شيئا، سلاني من مالي شيئا. هذه الرواية تضفق مع روح الاسلام ومع القرآن الكريم، فالقرابة والصحبة لا يغنيان من الله شيئا إذا لم يعمل الانسان بما امر الله ولم ينته عنها نهى عنه الله، وقد اكدت هذا المعنى طائفة من المرويات عن الائمة (ع) دونها الكليني في مختلف المناسبات.

---

(١) ص ٢٢٢ و ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٨، ج ٢. (٢) ص ٢٤٨ و ٢٥٣، لقد روى البخاري الحديث المتعلق بتفضيل النساء في مختلف المناسبات. وكان النبي (ص) ارضاء لعائشة ذكرها في معرض حديثه عن آسية وعن مريم. ولم يفضلها على احد من النساء الا بمقدار ما للثريد من فضل على بقية المآكل، ولو كانت افضل من غيرها لما عدل عن اسلوبه الاول.

وفي باب فضائل ابي بكر، روى عن عمر بن العاص ان النبي (ص) بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتى رسول الله (ص) وسأله اي الناس احب اليك، فقال من النساء عائشة، ومن الرجال ابوها، قال ابن العاص: ثم من ؟ قال: عمر بن الخطاب وعد رجالا. وروى عن ابن عباس، ان النبي (ص) قال: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر، ولكنه اخي وصاحبي. وروى عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه، ان امرأة اتت النبي (ص) فأمرها ان ترجع إليه قالت ارأيت ان جئت ولم اجدك، كأنها تعني الموت كما جاء في الرواية، قال: فأتى ابا بكر. وروى عن ابي هريرة ايضا ان رسون الله (ص) قال: ان للجنة ابوابا فمن كان من اهل الصلاة دخل من باب الصلاة، ومن كان من اهل الصيام دخل من بابه، ومن كان من المتصدقين دخل من باب الصدقات، ومن كان من المجاهدين دخل من باب الجهاد، اما أبو بكر فانه يدعى لدخول الجنة من جميع ابوابها، وان آية التيمم كان الفضل الاول في نزولها لابي بكر، وبهذه المناسبة، قال له: اسيد بن الحضير، ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر، إلى غير ذلك من المرويات التي اوردها البخاري في فضله (١). وفي باب فضائل عمر روى عن محمد بن المكندر عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي (ص) رأيتني ادخل الجنة فإذا انا بارميصاء امرأة ابي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا فقال هذا بلال، ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت لمن هذا فقال لعمر، فاردت ان ادخله لانظر إليه

---

(١) انظر ص ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩٨ و ٢٩٠.

فذكرت غيرتك، فقال عمر: بابي انت وامي يا رسول الله اعليك انصار. وروى عن انس بن مالك. ان النبي صعد على جل احد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه النبي برجله، وقال له: اثبت احد، فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان. وروى عن ابي هريرة ان النبي (ص) قال: لقد كان فيمن كان قبلكم قوم يكلمون وليسوا بانبياء، فان يكن من امتي منهم احد فعمر بن الخطاب (١). وروى في باب فضائل عثمان عن ابي موسى الاشعري، ان النبي (ص) دخل حائطا وامره ان يكون على باب الا حائط فدخل أبو بكر وعمر وعثمان فاذن لهم وبشرهم بالجنة، وقال عبد الله بن عمر: كنا في زمن رسول الله، لا نعدل بابي بكر احدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك اصحاب رسول الله

لا نفاضل بينهم. وروى ان رجلا من اهل مصر حج البيت فرأى قوما جلوسا، فقال من هؤلاء ؟ قالوا هؤلاء من قريش، قال فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا عبد الله ابن عمر قال يا ابن عمر: اني سائلك عن شئ فحدثني، هل تعلم ان عثمان فر يوم احد ؟ قال: نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بدر ؟ ولم يشهدها قال نعم قال: هل تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان ؟ قال: نعم قال: الله اكبر قال: ابن عمر تعال ابين لك، اما فراره يوء احد، فاشهد ان الله عفا عنه وغفر له، واما تغيبه عن بدر، فانه كان تحته بنت رسول الله (ص) وكانت مريضة، فقال له رسول الله: ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه، واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان

---

(١) نفس المصدر. ج ٢، ص ٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٥.

إلى مكة، فقال رسول الله بيده اليمنى: هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال، هذه لعثمان (١). وجاء في باب النكاح من صحيح البخاري، ان النبي (ص) قال: البنت الباكر، تنكح خنى تستأذن، والثيب حتى تستامر واضاف إلى ذلك البخاري. ان البكر إذ لم تستأذن ولم تتزوج من احد وادعى رجل بانه تزوجها زورا، واقام شاهدي زور عند القاضي فحكم له تصبح زوجة شرعية له ويصح وطؤها، ومضى يقول: إذا احتال انسان بشاهدي زور على تزويج امرأة فاثبت القاضي نكاحها والزوج يعلم بانه لم يتزوجها ولم يتصرف عليها، فانه يسعه هذا النكاح ويحل له وطؤها والمقام معها ولو علم ببطلان ذلك (٢). وروى في باب الفتن ان النبي (ص) قام إلى جنب المنبر وقال: الفتنة ههنا الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان، ورواها عن نافع عن ابن عمر، ان النبي (ص) وقف وهو مستقبل المشرق، وقال ان الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان. وروى عن جويرية عن نافع عن عبد الله انه قال: قام النبي (ص)

---

(١) انظر ص ٢٩٦ و ٢٩٧، ج ٢، لقد اقتصد البخاري في سرد فضائل عثمان ولم يتحمس له كما تحمس لغيره، مع العلم بأنه قد ظهر له من الفضائل في عهد معاوية والامويين ما لا يحص عددا عن طريق ابي هريرة وابن العاص والمغيرة بن شعبة وامثالهم من الابدال، فكيف تجاهلها شيخنا الجليل محمد بن اسماعيل رحمه الله مع انهم من الموثوقين عنده، وقد روى عنهم في صحيحه في مختلف المواضيع. (٢) انظر ص ٢٠٥، ج ٤، والحكم بصحة النكاح في مثل ذلك مبني على ان الواقع تابع لحكم المجتهد وليس وراء حكمه شئ اخر وهو من أسوأ انواع التصويب الذي يقول به اهل السنة ومن ابعد الاحكام عن منطق الكتاب وسنة الرسول.

خطيبا فاشار نحو مسكن عائشة وقال: هنا الفتنة وكررها ثلاثا من حيث يطلع قرن الشيطان كما جاء في ص ١٨٩ من المجلد الثاني. وروى ايضا عن ابن عمر ان النبي (ص) قال: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا وفي نجدنا، فقال في شامنا ويمننا، قالوا في نجدنا يا رسول الله، قال هناك الفتن وبها يطلع قرن الشيطان (١). وفى باب مناقب قرابة الرسول (ص) روى عن النبي (ص) انه قال: ابنتي فاطمة سيدة نساء اهل الجنة، وانه قال: فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني (٢). وروى عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة ان فاطمة (ع) ارسلت إلى ابي بكر تسأله ميراثها من

ابيها مما افاء الله عليه في المدينة وفدك وما بتي من خمس خيبر، فقال لها: ان رسول الله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، انما يأكل آل محمد من هذا المال واني والله لا اغير شيئا من صدقة رسول الله (ص)، فابى أبو بكر ان يدفع إليها شيئا فوجدت فاطمة على ابي بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي

---

(١) ص ٢٢٧ نفس المصدر، ولعل النبي (ص) يشير بقوله الفتنة ههنا وهو بجانب المنبر إلى اقرب البيوت إليه لان ههنا يشار بها للقريب كما تؤكد ذلك الرواية الثانية، ويدل على ذلك ايضا انه ذكر نجدا ولم يستعمل هنا أو ههنا بل استعمل كلمة هناك التى لا يشار بها الا للبعيد، وقد صدق (ص) فيما وصف به نجدا فان تاريخها ملئ بالفتن والمجازر ومشحون بالبدع والمنكرات في الماضي والحاضر، وجاء في فتح الباري ج ١٦ ان الفتن والبدع نشأت من تلك الجهة، ولا تزال مصدرا للفتن والبدع وركيزة من ركائز الاستعمار لضرب البلاد العربية التي تنشد الحياة الحرة الكريمة والتخلص من المستعمرين واذنابهم الصهاينة اعداء البشر والانسانية. (٢) انظر ص ٢٠١ ج ٢ وما بعدها.

شتة اشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي (ع) ليلا ولم يؤذن بها أبو بكر (١). وروى في باب غزوة تبوك عن مصعب بن سعد عن ابيه، ان رسول الله (ص) خرج إلى غزوة تبوك واستخلف عليا على المدينة فقال علي (ع) تخلفني في الصبيان والنساء قال: الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه ليس نبي بعدي. وروى عن ابي بكرة انه قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله (ص) ايام الجمل بعد ما كدت ان الحق باصحاب الجمل واقاتل معهم، قال لما بلغ رسول الله ان اهل فارس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى، قال: لا افلح قوم ولوا امرهم امرأة. وروى عن عبيد بن حنين انه قال: سمعت ابن عباس يقول: اردت ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله (ص)، فما اتممت كلامي حتى قال: هما عائشة وحفصة. وروى تحت عنوان المدثر ان يحيى سأل ابا سلمه اي القرآن نزل اولا، فقال يا ايها المدثر، فقلت انبئت انه اقرأ باسم ربك الذي خلق، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله، اي القرآن انزل اولا: فقال: يا ايها المدثر، فقلت انبئت انه اقرأ باسم ربك، فقال لا اخبرك الا بما قال رسول الله قال (ص): جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت

---

(١) ص ٥٥ ج ٣، وإذا نسبنا هذه الرواية إلى الرواية التي قبلها ينتج منهما ان أبا بكر قد اغضب رسول الله (ص) لان فاطمة ماتت وهي غضبى عليه كما تنص هذه الرواية ولم يحضر جنازتها بوصية منها ومن اغضب رسول الله فقد اغضب الله سبحانه كما تؤكد ذلك النصوص الكثيرة من اغضب الله كان معرضا لنقمته وعذابه.

فاسنبطنت الوادي، فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشمالي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والارض، فاتيت خديجة وقلت دثروني: وصبوا علي ماء باردا. فانزل علي يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر (١). وروى في باب التمتع عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الاكوع انهما قالا: كنا في جيش، فاتانا رسول الله (ص) وقال: انه قد اذن لكم ان تستمتعوا في النساء، فاستمتعوا، واضاف إلى ذلك، ان سلمة بن الاكوع حدث عن ابيه ان رسول الله (ص) قال: ايما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليالي، فان احبا ان يتزايدا. ويتتاركا، فما ادري اشئ كان لنا خاصة، ام للناس

عامة. وروى عن عمران بن حصين انه قال: انزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات، فقال رجل برأيه ما شاء الله (٢). وروى بعض المرويات عن ابن عباس وغيره ان النبي شرعها في ظروف خاصة ونهى عنها بعد ذلك.

---

(١) ص ٢٠٧ و ٢٠٩، ج ٣، وهذا الحديث يناقض الحديث السابق الذي ينص على ان اول سورة نزل بها الوحي، اقرأ باسم ربك الذى خلق، كما ذكرنا سابقا من رواية البخاري عن بداية نزول الوحي وكل من الروايتين تناقض الاخرى. (٢) والرجل الذي قال فيها برأيه ما شاء هو عمر بن الخطاب حيث نهى عنها وتوعد بالعقاب على فعلها، وقد اخذ الشيعة برأي رسول الله (ص) الذي شرعها لانه لا ينطق عن الهوى، وتركوا رأي الخليفة رحمه الله الذي قال فيها برأيه واجتهاده ما شاء ان يقول.

وفي باب نزول عيسى بن مريم (ع) روى عن النبي (ص) خبر نزوله إلى الارض ليساهم في نشر العدل واحقاق الحق ومحاربة المبطلين. وجاء في رواية ابي هريرة حول هذا الموضوع، ان رسول الله (ص) قال: كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم (١). وهذه الرواية ليست بعيدة عما يرويه الشيعة من ان السيد المسيح ينزل من السماء عند خروج الامام الثاني عشر فيصلي خلفه، ويشترك معه في مقاومة المبطين لاحقاق الحق، ذلك لان الشيعة وحدهم يدعون وجود الامام محمد بن الحسن العسكري (ع) وظهوره في آخر الزمان، وان المسيح ينزل من السماء لنصرته على الدجال وغيره من فرق الضلال.

---

(١) انظر ص ٢٢٦، ج ٢.

الدجال لقد تكرر الحديث عن الدجال الاعور في اكثر مجلدات البخاري، ورواه عن جماعة من الصحابة في مختلف ابواب الصحيح، وجاء في بعض المرويات. انه ما بعث الله نبيا الا واخبره عن الدجال، وانه اعور العين اليمنى، وتضيف اكثر المرويات إلى ذلك، ان ربكم ليس باعور، ورواه غير البخاري من السنة والشيعة، ولكن المرويات الشيعية لم تتعرض للفقرة الاخيرة منها، وجاء في بعضها انه يتظاهر بالدين ويلبس ثياب القديسين لتضليل الناس واغرائهم، فيتبعه اكثر الناس، وهو من الاحاديث المشهورة عند السنة والشيعة. ومحل السؤال على تقدير صحتها، هو ان هذه المرويات على كثرتها هل تعني دجالا معينا يظهر على الناس في زمن لا يعلمه الا الله، أو انها تعي كل منافق يتستر بالدين، ويظهر بمظهر المتدينين لينفذ من ذلك إلى اغراضه واهدافه. كما نشاهد هذا النوع من الدجالين المتسترين بثياب القديسين في زماننا وفي كل زمان، وقد شاهدنا وقرأنا عمن استطاع إذ يستغل المناسبات الدينية وغيرها ليلفت الانظار إليه ويحشد حوله الجماهير باسم الدين، وهو من الد خصوم الدين وانكد اعدائه، واضر عليه من الابالسة والشياطين. وبلا شك ان هؤلاء اضر على الدين من المتجاهرين في مقاومته وعدائه، لان اساليبهم قد تضى على الكثير من المغفلين وعوام الناس

---

[٢٨٤]

فيستطيعون باساليبهم الخاصة ان ينفذوا إلى اغراضهم وخدمة اسيادهم كما يريدون كما ابتليت الطائفة الشيعية في يومنا هذا باناس من هذا النوع لا عهد لنا بامثالهم، وعلى ذلك يكون قول النبي (ص) لانه اعور العين اليمنى كناية عن تعاميه من الحق وانحرافه عنه، وقد عبر القرآن عن اهل الحق باصحاب اليمين، وعن اهل الباطل باصحاب الشمال كما جاء في الآية ٤٠ من سورة الواقعة والآية ٩٠، هذا المعنى ليس ببعيد كل البعد عن ظاهر احاديث الدجال، وان كان المعنى الاول الصق بظواهرها واقرب إلى سياقها.

---

[٢٨٥]

من الكافي لقد اوردنا هذه النماذج من مرويات الصحيح للبخاري من غير ان تتعرض لاسانيدها واحوال رواتها، بالرغم من توفر الطعون في كثير منها حسب الاصول المقررة عند السنة لمعرفة احوال الرواة، مع العلم بان تلك الاصول لا يطبق منها شئ على رجال البخاري ومروياته في الغالب، لان كل من روى عنه فقد جاز القنطرة على حد تعبير المقدسي. واكتفينا ببعض التعليقات والملاحظات على بعض تلك المرويات نظرا لبعدها عن منطق الاسلام القويم، الذي يتحدى الاوهام والخرافات. ويحكم العقل والكتاب والسنة المطهرة في كل ما ينسب إليه من اقوال وآراء وتشريعات. ونتمنى ان لا تضيق صدور اخواننا السنة من تلك الملاحظات، فانا لم نقصد بها الا احقاق الحق وتنزيه السنة الكريمة من تلك المرويات التي تسئ إليها وتطمس من انوارها ومعالمها. على انا سنقف من مرويات الكافي نفس الموقف الذي وقفناه من مرويات البخاري عندما نجد ما يوجب الوقوف وابداء الملاحظات اللازمة. وسنتعرض لبعض النماذج من مرويات الكافي حول الاصول والاخلاق والمعرفة ونحو ذلك بالاضافة إلى ما ذكرناه سابقا من كتاب التوحيد والعلم والقدر.

---

[٢٨٦]

فقد روى في كتاب العقل والجهل من المجلد الاول عن النوفلي ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: قال رسول الله: إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله، فانما يجازى الانسان بعقله. وروى عن هشام بن الحكم، ان ابا الحسن موسى (ع) قال له: يا هشام ان الله اكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: (وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم، ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون " واضاف إلى ذلك ان العقل مع العلم، قال تعالى: (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون). ومن هذه لآيات والمرو يات يتبين ان الاسلام قد اعتمد على العقل والعلم في اصوله وفروعه واعتبر الايمان الحاصل بالوراثة والتقليد ناقصا إذا لم يتأكد بالدليل والبرهان. وقد ندد بالذين لا يعقلون بقوله: " وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله، قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ". وقال: " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداءصم بكم عمي فهم لا يعقلون ". وجاه في الحديث عن هشام، ان الامام (ع) قال له: يا هشام ان لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل

والانبياء والائمة (ع)، واما الباطنة فالعقون، يا هشام كان امير المؤمنين (ع) يقول: ما عبد الله بشئ افضل من العقل، وما تم عقل امرء حتى تكون فيه خصال شتى، الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير مأمولان، فضل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل احب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع احب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيرا منه، وانه شرهم في نفسه، في حديث طويل عرض فيه الامام (ع) الحالات التي تكشف عن عظمة العقل وخصائصه، وما ينتج عنه من الفوائد التي تسمو بالانسان وترفع من شأنه، وتساهم في بناء المجتمع السليم الذي تسوده العدالة ويوفر السعادة والرفاهية لجميع بني الانسان (١). وروى في باب الاضطرار إلى الحجة عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله الصادق (ع) ان رجلا سأله، من اين اثبت الانبياء والرسل ؟ قال (ع): انا لما اثبتنا إذ لنا صانما متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز ان يشاهده خلقه، ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمعبرون عنه جل وعز، وهم الانبياء صفوته من خلقه غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما اتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته (٢).

---

(١) انظر ص ١٢ إلى ص ٢٢، ج ١، من الكافي. (٢) نفس المصدر، ص ١٦٨.

وفى باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث روى عن الحسن بن العباس انه كتب إلى الامام الرضا (ع) يسأله عن الفرق بين الرسول والنبي والامام (ع) فكتب في جوابه، ان الرسول هو الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه، وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم (ع)، والنبي ربما سمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع كلامه، والامام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص (١). وررى عن تعلبة بن ميمون ان زرارة قال سألت ابا جعفر (ع) عن قول الله سبحانه، وكان رسولا نبيا ؟ قال (ع): ان النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يسمع ويرى في المنام ويعاين الملك، قلت والامام ما منئلته: قال يسمع الصوت ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية، وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث والآية الموجودة في القرآن الكريم، الم ترد فيها كلمة محدث والالتزام بصحة الرواية يلزمه القول بنقص القرآن، والامامية سوى من

---

(١) ص ١٧٦، ومقتضى هذه الرواية ان الامام يشارك الرسول والنبى في سماع الكلام ولكنه لا يرى جبرائيل كما يراه النبي والرسول، وقد وصف المجلسي في مرآة العقول هذه الرواية بالجهالة، وعلى تقدير صحة الرواية فسماع الائمة للكلام ليس عن طريق الوحى. ونص الشيخ المفيد في اوائل المقالات: على ان العقل لا يحيل ذلك، ولكن الاجماع قد تم على ان من زعم ان احدا بعد نبينا (ص) يوحى إليه فقد اخطأ وكفر

لحصول العلم بذلك من دين النبي، فيكون المراد من السماع الذي يصح بالنسبة إليهم، ان الله سبحانه قد يلقي في اذهانهم امورا تتعلق بما سيكون فيخبرون عنها، أو تبقى مخزونة عندهم وجاء في البخاري عن ابي سلمة وابى هريرة، ان النبي قال: لقد كان فيمن كان قبلكم قوم يكلمون وليسوا انبياء، فان يكن من امتى منهم احد فذاك عمر بن الخطاب.

شذ منهم لا يلتزمون بذلك، ومن الجائز ان يكون الحاق الامام لكلمة ولا محدث بالآية من حيث مرادفتها لهما ولاحدهما، لا من حيث انها من القرآن. هذا بالاضافة إلى ان الراوي لها احمد بن محمد، والظاهر انه ابن خالد البرقي، وهو وان كان ثقة في نفسه كما يرى ذلك بعض المؤلفين في الرجال، الا انه يروي عن الضعفاء، ويعتمد المراسيل، وقد اخرجه من قم محمد بن احمد بن عيسى، ونسب إليه الغلو في الائمة (ع) واكثر المؤلفين في الرجال متفقون على تضعيف مروياته (١). والذي يدعو إلى الشك في هذه الرواية اكثر من اي شئ آخر هو اضافة هذه الزيادة إلى الآية، اما اعطاء الامام صفة المحدث الذي يسمع ولا يرى، فقد ورد نظيره في صحيح البخاري عن الامم السابقة وان عمر ابن الخطاب من هذه الامة اهل لان يكون محدثا كما تؤكد ذلك رواية ابي سلمة وابي هريرة عن النبي (ص) (٢). وإذا جاز ذلك على عمر بن الخطاب وغيره ممن كانوا يجالسون النبي، (ص) ونالوا بذلد شرف الصحبة، فيجوز ذلك على الائمة (ع) ابناء الرسول الذين ورثوا علمه وصفاته، بل وحتى على صلحاء المؤمنين الذين عملوا بأمره، واتبعوا سيرته وسنته بقلوب عامرة بالايمان مطمئنة بما اعده الله للعاملين المتقين وللعصاة والمتجبرين. وروى في باب ممرفة الامام (ع) عن محمد بن الفضيل عن ابي حمزة، ان ابا جعفر الباقر (ع) قال: انما يعبد الله من يعرف الله، فاما من لا يعرفه، فانما يعبده هكذا ضلالا (٣).

---

(١) انظر اتقان المقال للشيخ محمد طه ص ١٦. (٢) انظر ٢٩٥، ج ٢، من الصحيح للبخاري. (٣) أي كعبادة جماهير الناس الذين يسا قون في اكثر اعمالهم وعباداتهم تقليدا للآباء والامهات.

قلت جعلت فداك فما معرفة الله، قال: تصديق الله ورسوله وموالاة على (ع) والائتمام به وبائمة الهدى (ع) والبراءة إلى الله من عدوهم، هكذا يعرف الله عزوجل. ان، موالاة علي وابنائه الائمة الهداة التي تعنيها هذه الرواية لا يراد منها الا الرجوع إليهم والسير على طريقهم، والتمسك بسيرتهم التي تعكس وجه الاسلام الصحيح وتجسد روح القرآن ومبادئ النبي الكريم ذلك لان عليا لم ينحرف لحظة واحدة منذ صباه عن نهج محمد وسيرته، ولم يقال به النبي (ص) كما يزعم حاسدوه حينما قال له في خيبر، لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وحينما قال له: لا يبغضك الا منافق، ولا يحبك الا مؤمن، وانت مع الحق تدور معه كيفما دار، وحينما قال فيه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره إلى غير ذلك من المدائح التي كانت تحز الما في قلوب حاسديه حنقا وغيضا، ولما جاء دور ابنائه اعادوه حيا وجسدوه في اعمالهم وسيرتهم، وجميع المراحل التي مروا بها، لم ينحرفوا لحظة واحدة عن مخططه ومبادئه، فموالالهم ومتابعتهم متابعه للاسلام وللرسول وقرآن، واعداؤهم اعداء لله ولرسوله ولكتابه. وروى عن ابي حمزة ان ابا جعفر الباقر (ع) قال لجماعة من المسلمين يخرج احدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا، واتتم بطرق السماء اجهل منكم بطرق

الارض فاطلبوا لانفسكم دليلا (١). وروى عن محمد بن زيد الطبراني انه قال: كنت قائما على رأس

---

(١) ص ١٨٢، والمقصود من ذلك ان الخلق لا بد لهم من دليل على الله ورسوله، والائمة هم الادلاء على الله كما نصت على ذلك طائفة من المرويات في هذا الباب.

الامام الرضا (ع) بخراسان وعنده عدة من بني هاشم وفيهم اسحاق بن موسى بن عيسى العباسي، فقال اسحاق: بلغني انك تقول: ان الناس عبيد لنا، فقال (ع) لا وقرابتي من رسول الله ما قلت هذا قط، ولا سمعته من آبائي، ولا بلغني عن احد من آبائي قاله. ولكني اقول: ان الناس عبيد لنا في الطاعة موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب (١). وروى في باب الائمة نور الله في الارض عن صفوان بن يحيى والحسن بن محبوب عن ابي خالد الكابلي، انه قال: سألت ابا جعفر الباقر (ع) عن قول الله: (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا) فقال يا ابا خالد النور والله نور الائمة (ع) من آل محمد إلى يوم القيامة وهم والله نور الله في السموات والارض، والله يا ابا خالد لنور الامام في قلوب المؤمنين انور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا ابا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا، فإذا كان سلما لنا سلمه الله من شديد الحساب، وآمنه

---

(١) ص ١٨٧ نفس المصدر، والذي اراده الامام (ع) ان على الناس ان يرجعوا إليهم في امور الدين، ويعملوا بما يأمرون به وينهون عنه، لانهم اعرف بالله واحكامه وبالقران ومحتوياته من سائر الناس، فعليهم ان يقولوا وعلى الناس ان يسمعوا ويطيعوا، لانهم ينطقون بلسان جدهم، ويحسدثون بأحاديثه، وبذلك يمكن تفسير ما جاء في الكافي حول هذا الموضوع، مثل قولهم من عرفنا كان مؤمنا، ومن أنكرنا كان كافرا أو ضالا أي ان من اتبع اوامرهم وانتهى عما نهوا عنه، كان مؤمنا لان اوامرهم لا تعدو اوامر الله ورسوله ومن انكرهم وتجاهلهم، فقد انكر كتاب الله، لانهما لن يفترقا حتى يردا على رسول الله.

من فزع يوم القيامة (١). وقد روى الكليني حول هذا الموضوع بعض الروايات التي لا يمكن الاطمئنان إليها والتغاضي عنها سندا ومتنا، فمن ذلك ما رواه عن صالح ابن سهل الهمداني ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال في تفسير قوله تعالى: (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري) قال: ان المشكوة هي فاطمة (ع)، والمصباح هو الحسن بن علي (ع) (والمصباح في زجاجة) الحسين بن علي (الزجاجة كأنها كوكب دري، فاطمة كوكب درى بين نساء اهل الدنيا، والشجرة المباركة هي ابراهيم، (زيتونة لا شرقية ولا غربية) اي لا يهودية ولا نصرانية، (يكاد زيتها يضئ) اي يكاد العلم يتفجر منها، " ولو لم تمسسه نار نور على نور " اي امام بعد امام، " يهدي الله لنوره من يشاء " اي إلى الائمة (ع) " وكظلمات في بحر لجي " الخليفة الاول والثاني، " يغشاه موج " الخليفة الثالث، " ظلمات بعضها فوق بعض " معاوية بن ابي سفيان وبني امية، " ومن لم يجعل الله له نورا " اي اماما من ولد فاطمة (ع) " فما له من نور " اي ما له امام يوم القيامة.

(١) ص ١٩٤، لقد عد المجلسي في شرح اصول الكافي هذه الرواية من الروايات الضعيفة، لان في سندها ابا خالد الكابلي، ولو تغاضينا عن هذه الناحية، فالمراد من النور الوارد فيها هو المعرفة التي ترشد الى الخير والحق وتدلهم على الله سبحانه، وقد وصف الائمة بأنهم نور السموات في الارض من حيث ان متابعتهم والاقتداء بهم من افضل الطرق الموصلة لمعرفة الله وامتثال اوامره واقربها وهم ينورون قلوب المؤمنين بارشاداتهم ونصائحهم وتعاليمهم، فمن اتبعهم فقد اهتدى الى الطريق الموصل إلى الله، ومن حاد عنهم فقد اظلم قلبه وضل سواء السبيل.

قد يضطر البا حث إلى التأويل أو التفسير احيانا لتوضيح المراد من الرواية على شرط ان لا يكون التأويل بعيدا وان لا يخرج عن حدود المنطق والعقل، كما هو الحال في الروايات السابقة وامثالها، اما هذه الرواية ونظائرها فلا تقبل التأويل ولا يجوز للباحث المجرد ان يتجاهل عيوبها، ذلك لان التفسير الذي نسبه الراوي إلى الامام الصادق (ع) بعيد كل البعد عن ظاهر الآية الكريمة، ولا يزيده الاسلوب القرآني، هذا بالاضافة إلى ان الامام الصادق ارفع شأنا واجل قدرا وابعد تفكيرا من ان يهاجم الخلفاء الثلاثة بهذا الاسلوب البعيد عن منطقه ومنطق آبائه الكرام، وينتحل لنفسه ولجدته فاطمة وللائمة (ع) العظمة عن طريق هذه التأويلات التي لا يؤيدها النقل، ولا يقرها العقل. على ان هذه الرواية قد رواها سهل بن زياد عن محمد بن الحسن ابن شمون. ورواها ابن شمون عن عبد الله بن عبد الرحمن الاصم، ورواها عبد الله هذا عن عبد الله بن القاسم، ورواها عبد الله بن القاسم عن صالح ابن سهل الهمداني، وهؤلاء كلهم من المتهمين بالكذب ودس الاحاديث بين روايات اهل البيت (ع) كما نص على ذلك المؤلفون في الرجال. فقد جاء في اتقان المقال. ان محمد بن الحسن بن شمون بصري من الغلاة، وقال عنه النجاشي انه كان واقفيا، ثم غلا في التشيع، وهو ضعيف جدا وفاسد المذهب على حد تعبير النجاشي. وقال عنه التفريشي في كتابه نقد الرجال: انه كان من الغلاة ضعيف متهافت لا يلتفت إليه ولا إلى مصنفاته، وسائر ما ينسب إليه (١).

(١) انظر ص ٣٤٢ من الاتقان للشيخ محمد طه وغيره من كتب الرجال.

وجاء في الاتقان ان عبد الله بن عبد الرحمن الاصم من الغلاة ضعيف لا يلتفت إليه، وقال فيه التفريشي في نقد الرجال: ان كتابه الزيارات يدل على خبث عظيم، ومذهبه متهافت، وكان من كذابة اهل البصرة. ونس على ان عبد الله بن البطل الحارثي كذاب غال ضعيف متروك الحديث معدول عن ذكره، واكد ذلك العلامة في كتابه الخلاصة. واضاف إلى ذلك في اتقان المقال. ان عبد الله بن القاسم الحضرمي المعروف بالبطل كذاب من الغلاة، يروي عن الغلاة لا خير فيه ولا يعتد بمروياته. وجاء في كتب الرجال عن صالح بن سهل الهمداني الذي روى عن ابي عبد الله مباشرة، جاء عنه انه قال: كنت اقول في الصادق بالربوبية، فدخلت عليه فلما نظر الي قال يا صالح:. انا والله عبيد مخلوقون لنا رب نعبده وان لم نعبده عذبنا. وقال التفريشي في نقد الرجال، ان صالح بن سهل من المذمومين والغلاة الكذابين وضاع للحديث لا خير فيه ولا في سائر مروياته (١). ويجد الباحث في مرويات الكافي التي من هذا النوع مجالا واسعا لرفضها وعدم الاعتداد بها، لا من حيث اشتمالها على ما يخالف ظاهر

الكتاب فحسب بل من حيث ان رواة هذا النوع من الاحاديث لم يثبتوا في وجه الطعون والانحرافات الي وجهها إليهم الذين احصوا تاريخ الرجال واحوالهم، كما تبين ذلك من الامثلة السابقة وهذا لا يعني ان كل ما يرويه احد من هؤلاء المتهمين والمشبوهين يتعين طرصه، لجوازان يروي

---

(١) انظر الاتقان للشيخ محمد طه ص ٣٠٦ و ٣١٦ ورجال المرزا محمد وغيره من كتب الرجال.

بعض الضعفاء والمذمومين عن اصل معتبر عند الطبقة الاولى من الرواة: أو ياخذ الرواية ممن يصح الاعتماد عليه والركون إليه، أو تكون الرواية مدعومة بالقرائن والشواهد، ونحو ذلك مما يوجب الوثوق بصدورها وان لم يكن الراوي لها من حيث ذاته موثوقا ومعتمدا عند المؤلفين في احوال الرواة. ومن امثلة ذلك ما جاء عن احمد بن هلال، فقد قال عنه العلامة في الخلاصة ان الشيخ ابا علي بن همام قال، انه ملعون على لسان الحجة محمد بن الحسن (ع). وجاء في الفهرست للشيخ الطوسي، انه كان غاليا متهما في دينه. وجاء في الكشي: انه متصنع فاجر، وقيل عنه ايضا انه كان متشيعا ورجع عن التشيع إلى النصب. واكثر المؤلفون في الرجال من الطعن عليه، ومع ذلك، فقد اعتمد جماعة على مروياته فيما يرويه عن ابن محبوب من كتاب المشيخة، وعن محمد ابن ابي عمير من نوادره، من حيث ان الكتابين المذكورين من الكتب المعروفة عند اكثر محدثي الشيعة، أو لانه روى عنهما في حال استقامته وقبل خروجه عن التشيع الصحيح (١). ومن الامثلة ايضا ما رواه الكليني بعنوان ان الائمة اركان الارض عن احمد بن مهران، ش محمد بن علي، ومحمد بن يحيى، واحمد بن محمد عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: ما جاء به علي (ع) آخذ به، وما نهى عنه اتنهى عنه، جرى له الفضل مثلما جرى لمحمد (ص)، ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله

---

(١) انظر اتقان المقال ص ٢٥٨ و ٢٥٩.

عزوجل، المتعقب عليه في شئ من احكامه كالمتعقب على الله ورسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله كان امير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى الا منه، وسبيله الذي من سلك غيره هلك، واضاف إلى ذلك. انه كان يقول: انا قسيم الله بين الجنة والنار، وانا الفاروق الاكبر، وانا صاحب العصا والميسم (١) ولقد اقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما اقروا به لمحمد (ص) إلى غير ذلك من الصفات التي اشتملت عليها هذه الرواية ومع انه يمكن تفسيرها تفسيرا مقبولا يتفق مع مقام علي (ع) ومكانته، وينسجم مع بعض الروايات الصحيحة التي جعلته فوق مستوى الناس اجمعين ما عدا النبيين والمرسلين، مع ذلك فالرواة لها، من المتهمين بالانحراف عن مخطط التشيع الصحيح. فاحمد بن مهران الراوي الاول لها، قد وصفه العلامة الحلي في خلاصته بالضعف، واكد ذلك غيره من المؤلفين في احوال الرواة. ومحمد بن علي الراوي الثاني لها،

فسواء كان ابن ابراهيم ابا جعفر القرشي، أو كان ابن ابراهيم الهمداني، أو ابن بلال ابا طاهر، أو

---

(١) المتعقب هو المترض عليه أو المتردد في شئ منها، لانه لا يحكم الا بحكم الله ورسوله، فمن رد حكمه فقد رفض حكم الله، ومن طعن عليه فقن طمن علي رسوله: وهو باب الله من حيث انه الدليل وألمرشد ألى الله سبحانه، وقد جعله ا - لله قسيما بين الجنة والنار بمعنى ان حبه ومتابعته في اقواله وافعاله يوجب لاتباعه ومحبيه الجنة والذي لا يتابعه ولا يتولاه وينتقصه خارج عن حدود ما امر الله، ومن كان كذلك كان مصيره إلى النار، وقد قال له الرسول: يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق، فكونه القسيم للجنة والنار من حيث ان اهل الجنة يعرفون بحبهم له، واهل النار يعرفون ببغضهم له، والعصا التي وردت في الرواية كناية عن قوته وصلابته في الحق، والميسم، هو حبه وبغضه اللذان يعرف بهما اهل الجنة من اهل النار فعلامة اهل الجنة حبه، وعلامة اهل النار بغضه.

مححمد بن علي الشلمغافي المعروف بابن اي العزافري، هؤلاء كلهم من المذمومين المتهمين بالكذب والمعروفين بانحرافهم عن التشيع الصحيح، ومحمد بن سنان احد رواتها المعروف بابي جعفر الزاهري، لقد اطالوا الحديث عنه ووصفوه بالكذب. وقال عنه الفضل بن شاذان: انه من الكذابين المشهورين، وبالتالي فان اكثرهم قد اتفقوا على تكذيبه وعدم جواز الاعتماد على مروياته. اما المفضل بن عمر الراوي للحديث عن الامام الصادق (ع) فقد روى عنه وعن ولده الامام موسى بن جعفر (ع) وهو من المتهمين بالغلو والكذب واعتناق فكرة الخطابية. وجاء عن حماد بن عثمان. انه قال: سمعت ابا عبد الله الصادق (ع) يقول للمفضل بن عمر: يا كافر يا مشرك مالك ولابني اسماعيل، وكان من المتصلين به هو وجماعة من الخطابية، ولعلهم كانوا يحاولون اغراءه ببعض المقالات الفاسدة. وقال عبد الله بن مسكان: ان حجر بن زائدة وعامر بن جداعة دخلا على أبي عبد الله الصادق (ع) فقالا له: جعلنا الله فداك، ان المفضل بن عمر يقول: انكم تقدرون ارزاق العباد، فقال: واللة ما يقدر ارزاقنا الا الله، ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري وابلغت إلى الفكرة في ذلك حتى احرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه، قالا افنلعنه ونبرأ منه: قال: نعم إلى غير ذلك مما نسب إليه من المقالات التي لا يقرها الاسلام فضلا عن التشيع (١). على ان هذا النوع من التفسير المعروف عند محدثي الشيعة بتفسير

---

(١) انظر ص ٢٥٨ و ٢٥٤ و ٣٤٦ و ٣٤٧ من الاتقان.

الباطن موجود بين احاديث السنة عن الرسول (ص) في مجاميع الحديث وغيرها، ومن الامثلة على ذلك ما جاء عن انس انه قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله (ص) فرح فرحا شديدا حتى بان لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس بعد ذلك عن تفسيرها، فقال: اما قول الله والتين فبلاد الشام، والزيتون بلاد فلسطين، وطور سينين طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى، وهذا البلد الامين، مكة المكرمة، ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم، محمد (ص)، ثم رددناه اسفل سافلين عباد اللات والعزى، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أبو بكر وعمر، فلهم اجر غير ممنون، عثمان بن عفان، فما يكذبك بعد بالدين، علي بن ابي طالب، اليس الله باحكم الحاكمين،

بعثك فيهم وجمعكم على التقوى يا محمد (١). ويجد المتتبع الكثير من امثال هذه التفاسير في مجاميع الحديث السنية واحوال الرواة. ومجمل القول ان هذه المرويات وامثالها لو نظرنا إليها من ناحية اسانيدها يتعين طرحها الا إذا تأيدت من حيث مضامينها ببعض الشواهد والمرويات الصحيحة كما ذكرنا. وروى في باب من اصطفاه الله على عباده، عن حماد بن عيسى عن عبد المؤمن عن سالم انه قال: سألت ابا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل: " ثم اورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله " فقال السابق بالخيرات هو

---

(١) انظر الغدير، ج ٥، ص ٣٢٠، عن الخطيب في تاريخه، والذهبي في الميزان.

الامام، والمقتصد العارف للامام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام. وفي باب ان الائمة امامان، امام يدعو إلى الله، وامام يدعو إلى النار، روى عن الحسن بن محبوب عن عبد الله بن غالب عن جابر ان ابا جعفر الباقر (ع) قال: لما نزلت " يوم ندعو كل اناس بامامهم " قال المسلمون يا رسول الله: الست امام الناس اجمعين فقال: انا رسول الله إلى الناس اجمعين، ولكن سيكون من بعدي ائمة على الناس من اهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون، ويظلمهم ائمة الكفر والضلال واشباههم، فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، الا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وانا منه برئ. وروى عن محمد بن يحيى بن طلحة عن ابي عبد الله (ع) انه قال: ان الائمة في كتاب الله عزوجل امامان، قال تعالى: " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " لا بأمر الناس، يقدمون امر الله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم، ثم اشار إلى الفريق الثاني بقوله: " وجعلناهم أئمة يهدون إلى النار " يقدمون امرهم قبل امر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون باهوائهم خلاف ما في كتاب الله (١). وقد حدد الامام الصادق (ع) وظيفة الامام كما جاء في رواية الحسين ابن ابي العلاء بقوله: انما الوقوف علينا في الحلال والحرام، فاما النبوة فلا (٢).

---

(١) ص ١١٤ و ٢١٦، ج ١. (٢) هذا التحديد في مقابل من ينسب إليهم النبوة أو خصائصها، ومغتضى الرواية انهم قد ورثوا من رسول الله العلم، فعلى الناس ان يرجعوا إليهم فيما يعود إلى امور دينهم، اما النبوة وخصائصها فهي للانبياء وحدهم.

وروى حول الصحيفة والجفر والجماعة ومصحف فاطمة (ع) عن احمد بن عمر الحلبي، عن ابي بصير انه قال: دخلت على ابي عبد الله الصادق (ع) فقال: يا ابا محمد لقد علم رسول الله عليا (ع) الف باب من العلم يفتح له من كل باب الف باب، قلت هذا والله العلم، فنكث ساعة الارض ثم قال: انه لعلم وما هو بذاك، يا ابا محمد ان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة، فقلت جعلت فداك: وما الجامعة، قال صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله (ص) واملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج إليه حتى ارش الخدش، ثم ضرب بيده الي وقال تأذنني يا ابا محمد وغمزني بيده وقال حتى ارش هذا، ثم سكت ساعة وقال: ان عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر، قال قلت: وما الجفر، قال وعاء من ادم

فيه علم النبين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل، ثم سكت ساعة وقال: ان عندنا مصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة، قلت وما مصحف فاطمة ؟ قال: مصحف فيه قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. وروى عن علي بن الحكم عن الحسين بن ابي العلاء انه قال: سمعت ابا عبد الله الصادق (ع) يقول: ان عندي الجفر الابيض قلت: فأي شئ فيه قال: زبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما ازعم ان فيه قرآنا، وفيه ما يحتاج الناس الينا ولا نحتاج إلى احد حتى ان فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وارش الخدش، وعندي الجفر الاحمر، قلت واي شئ فيه قال: السلاح، وذلك انما يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل، فقال له عبد الله بن يعفور، اصلحك الله ايعرف ذلك بنو الحسن، فقال: اي والله كما يعرفون الليل انه ليل والنهار انه نهار، ولكن يحملهم الحسد وطلب

الدنيا على الجود والانكار، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيرا لهم (١). ومن هذه المرويات وغيرها مما جاء في مجاميع كتب الحديث حول الجامعة ومصحف فاطمة والجفر والصحيفة تبين ان هذه المسميات بهذه الاسماء هي عبارة عن مجاميع في الحلال والحرام والاحكام وبعض الحوادث الكونية ونحو ذلك من العلوم التي ورثها اهل البيت عن جدهم الرسول (ص)، هذه المجاميع بخط علي (ع) واملاء رسول الله كما نصت على ذلك مروية ابي بصير، وقد اخبر علي (ع) عن بعض الحوادث قبل وقوعا بعشرات السنين، ووقعت كما اخبر عنها. اما الجفر الابيض والاحمر فاحدهما وعاء من جلد فيه التوراة والانجيل وزبور داود وصحف ابراهيم كما نزلت من عند الله، والثاني وهو الاحمر وعاء فيه سلاح رسول الله، كما نصت على ذلك رواية الحسين ابن ابي العلاء. واما مصحف فاطمة، فقد جمعت فيه اكثر الاحكام واصول ما يحتاج إليه الناس كما وصلت إليها من ابيها وابن عمها امير المؤمنين (ع)، وليس هو من القرآن كما يدعيه فريق من الناس. ويدل على ذلك قول الامام الصادق (ع)، كما جاء في رواية لحسين بن ابى العلاء، ما ازعم ان فيه قرآنا، وفيه ما يحتاج إليه الناس ولا نحتاج إلى احد، حتى ان فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة، وارش الخدش. وقوله في رواية ابي بصير: والله ان مصحف فاطمة مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

---

(١) انظر ص ٢٣٩ و ٢٤٢، ج ١.

قوله (ع) في رواية فضيل بن سكرة: كنت انظر في كتاب فاطمة، ليس من يملك الارض الا وهو مكتوب فيه باسمه واسم ابيه، وما وجدت لولد الحسن فيه شيئا. ومع ان الروايات التي تعرضت للصحيفة والجامعة والجفر ومصحف فاطمة (ع) قد نصت على انها كتب تشتمل على الاحكام والحوادث واخبار الامم والملوك في مستقبل الزمان وحاضره، وان الجفر، هو وعاء فيه كتب الانبياء السابقين وآثارهم وسلاح رسول الله (ص) مع ان الروايات التي تعرضت لمحتويات تلك الكتب، فقد وجد بعض المحدثين والمؤلفين من السنة منفذا للتشويش والطعن على الشيعة، فقالوا: بان مصحف فاطمة (ع) هو قرآن غير القرآن الذى بين ايدى الناس، وان

الجفر والجامعة كتابان لعلي (ع) ذكر فيهما الوادث الكونية إلى انقراض العالم، وبناهما على حروف ورموز، واتتقلا منه إلى اولاده فاخبروا عن الغيب اعتمادا عليهما، واستطاعوا غراء فئة من الناس آمنت بانهم يعلمون ما لا يعلمه احد من خلق الله. وممن وضع هذين الكتابين في هذا المستوى، ونسب إلى الائمة الاطهار انهم كانوا يخبرون عن بعض الحوادث معتمدين على ما فيهما من الرموز والحروف، الايجي قي المواقف والجرجاني في شرحه، وابن الصباغ المالكى في الفصول المهمة وغيرهم. وجاء الشيخ أبو زهرة في كتابه الامام الصادق فنسج على منوال غيره، وادعى بان الائمة يستخرجون علم الغيب من هذين الكتابين، مع ان النصوص التي تعرضت لهذه الكتب صريحة في ان محتوياتها لا تتعدى الحلال والحرام وبعض الحوادث الكونية التي وقع بعضها بعد زمانهم بعشرات السنين، ولا بد وان يتكشف المستقبل عن الباقي قبل ان يرث الله الارض ومن عليها.

اما المرويات التي تعرضت لمصحف فاطمة فقد نصت على انه كتاب فيه الحلال والحرام، ومع ذلك فقد الصقوا بالشيعة قرآنا غير القرآن المتداول بين الناس، واحتجوا لذلك بمصحف فاطمة، مع العلم بان مروياتهم تنص على ان لعائشة مصحفا يزيد عن القرآن المنزل، ومع ذلك فقد تجاهلوها وتعلقوا بمصحف فاطمة تاركين المرويات التي تعرضت لمحتوياته. فقد جاء في الاتقان المجلد الثاني ان حميدة بنت ابي يونس قالت قرأ ابي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: " ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، وعلى الذين يصلون الصفوف الاولى " هذا بالاضافة إلى بعض المرويات التي سنتعرض لها في حديثنا عن مرويات الكافي حول هذا الموضوع (١) فالرواية صريحة بان القرآن المنسوب لعائشة يزيد عن القرآن المتداول، والرواية التي تعرضت لمصحف فاطمة تنص على انه ليس من نوع القرآن. وروى عن سدير انه قال: قلت لابي عبد الله الصادق (ع): ان قوما يزعمون انكم آلهة يتلون بذلك قرآنا، وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله فقال: يا سدير سمعي وبصري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله واياهم يوم القيامة الا وهو ساخط عليهم، قال قلت: وعندنا قوم يزعمون انكم رسل يقرءوذ علينا بذلك قرآنا: " يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ". قال: يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من

---

(١) ان هذه الزيادة في مصحف السيدة عائشة تشير إلى المنزلة العالية التى كان يتمتع بها المصلون في الصف الاول مع النبي (ص) ولا شك بان اباها كان في طليعتهم.

هؤلاء براء ما هؤلاء على ديي ودين آبائي، قال قلت: فما انتم، قال نحن خزان علم الله ونحن تراجمة امر الله، نحن قوم معصومون امر الله تعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة من دون السماء وفوق الارض. وروى عن ابن اذينة عن يزيد بن معاوية انه سأل ابا جعفر وولده الامام الصادق (ع) فقال لهما: ما منزلتكما ومن تشبهون ممن مضى ؟ قالا: صاحب موسى وذا القرنين، كانا عالمين،

ولم يكونا نبيين (١). وروى عن عمر بن خالد، ان ابا جعفر الباقر (ع) قال يا معشر الشيعة: كونوا النمرقة الوسطى، يرجع اليكم الغالي، ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الانصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي، وما التالي ؟، قال: الغلاة قوم يقولون فينا ما لم نقله: في انفسنا، فليس اولئك منا ولسنا منهم، والتالي هو من يريد الخير ويسعى في طلبه ليعمل به طمعا في مرضاة الله ورجاء في ثوابه (٢). واضاف الراوي إلى ذلك. ان الامام (ع) اقبل علينا وقال، والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة،

---

(١) انظر ص ٢٦٩، ج ١، بهاتين الروايتين وغيرهما من عشرات الروايات دفع لامام (ع) ادعاء المغالين الذين وضعوهم فوق مستوى المخلو قات والبسوهم ثوب الائمة أو المرسلين، جهلا وضلالا، واكد الامام في مختلف المناسبات بانهم عبيد لله لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا، ولا يدفعون عنها موتا ولا حياة، ولم يبلغوا ما بلغوه الا بطاعتهم لله سبحانه. (٢) والذي يعنيه الامام (ع) بقوله كونوا النمرقة الوسطى، اي نمطا بارزا ومثلا في الاستقامة والسر على المخطط الاسلامي ليرجع اليكم الخارج عن مخطط التشيع، ويلحق بكم التالى، اي ليكون المستقيم في اعماله تبعا لكم.

ولا تتقرب إلى الله الا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعا لله تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا. وروى أبو الصباح الكناني انه قال لابي عبد الله (ع) ما نلقى من الناس فيكم، فقال له أبو عبد الله (ع) وما الذي تلقى من الناس فينا ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام، فيقول جعفري خبيث فقال الامام (ع) يعيركم الناس بي، فقال له أبو الصباح نعم يا ابن رسول الله، فقال: ما اقل من يتبع جعفرا منكم، انما اصحابي من اشتد ورعه، وعمل لخالقه ورجا ثوابه هؤلاء اصحابي (١). ومن خلال دعواته وابتهالاته إلى الله سبحانه عندما يناجي ربه، أو تعترضه الحوادث وتهزه النكبات، من خلال تلك الدعوات يبدو الامام على عظمته ويقينه واتساع علمه " وكأنه من اضعف خلق الله يخاطب ربه خطاب عبد ذليل قد انقطع امله من كل شئ لا يستطيع ان يدفع عن نفسه ضرا ولا يجلب لها خيرا ". فقد روى في الكافي، ان الامام الصادق (ع) كان يقول في دعائه، اللهم آمن خوفي وعافني فيما بقي من عمري، وثبت حجتي، واغفر خطاياي، واعصمني في ديني، وسهل مطلبي، ووسع علي في رزقي فاني ضعيف، وهب لي يا الهى لحظة من محظاتك لكشف بها عني جميع ما به ابتليتنى، فقد ضعفت قوتي وقلت حيلتي، وانقطع من خلقك رجائي، ولم يبق الا رجاؤك وتوكلي عليك، وقدرتك علي يا ربي ان ترحمني كقدرتك علي ان تعذبي وتبتليني، الهى لم أخل من نعمك منذ خلقتني وانت ربي ومفزعى وملجئي، والحافظ لي والذاب عني، فليكن يا سيدي ومولاي فيما قضيت وقدرت وحتمت تعجيل خلاصي مما انا فيه

---

(١) انظر ص ٧٠ و ٧٣، ج ٢ من اصول الكافي.

جميعه، فاني لا اجد لدفع ذلك كله احدا غيرك، ولا اعتمد فيه الا عليك (١). هذه الدعوات والابتهالات التي تنبض بالايمان المطلق والعبودية الخالصة، والحاجة إليه في صغير الامور وكبيرها، بالاضافة إلى بعض المرويات التي حدد فيها الامام (ع) موقفه من الغلاة

والمرجفين والدساسين، كل هذه وغيرها من مواقفهم (ع) لسد الطريق على كل من يحاول ان يجعل للامام خصائص الخالق وميزة الانبياء المرسلين، وتحتم علينا تأويل بعض المرويات التي تنسب له علم الغيب والقدرة على كل شئ ونحو ذلك مما يعجز عنه الانسان بالغا ما بلغ. لا بد من تأويل تلك المرويات حيث يكون التأويل ممكنا، أو طرحها لا سيما وان اكثر رواتها لم تتوفر فيهم الشروط المطلوبة في الراوي كما ذكرنا. وقد روى الكليني في باب ان الائمة يعلمون متى يموتون ولا يموتون الا باختيارهم، عن سلمة بن الخطاب عن سليمان بن سماعة وعبد الله بن محمد عن عبد الله بن القاسم البطل عن ابي بصير، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: اي امام لا يعلم ما يصيبه، والى ما يصير إليه، فليس ذلك بحجة لله على خلقه. ومع ان هذه الرواية ليس فيها ما يدعو إلى الاستغراب والاستهجان لان علم الامام الذي يتسع لهذه الحالات مستمد من النبي (ص) ومن العلم الذي ورثوه عنه ومع ذلك فان رواتها من المتهمين بالانحراف كما نص على ذلك المؤلفون في احوال الرجال، وقد ذكرنا لمحة عنهم في الفصل الذي تعرضنا فيه لبعض رجال الكافي (٢).

---

(١) نفس المصدر، ص ٥٥٨. (٢) انظر ص ٢٥٨، ج ١، من الكافي، ورجال المرزا محمد، ص ١٩٢ و ٣١٦.

وفي باب جهات علم الائمة (ع) روى عن علي بن ابراهيم عمن حدثه عن المفضل بن عمر انه قال قلت: لأبي الحسن موسى بن جعفر، جاءنا عن ابي عبد الله (ع) انه قال: ان علمنا غابر ومزبور ونكث في القلوب ونقر في الأسماع، فقال (ع) اما الغابر فما تقدم من علمنا، واما المزبور فما يأتينا واما النكث في القلوب فالهام، واما النقر في الأسماع فامر الملك (١). والامر في هذه الرواية سهل من حيث مضمونها، فان الالهام بمعنى الادراك الصحيح لواقع الاشياء، يحصل من صفاء النفس وحدة الذهن، ويحصل بالهداية من الله سبحانه إلى الواقع، والنقر في الاسماع مرجعه إلى ان الله سبحانه يرشد الامام (ع) إلى احكام الحوادث وبعض ما يجري في مستقبل الزمان، والايحاء بهذا المعنى ليس من مختصات الانبياء فقد ورد في القرآن في مختلف المناسبات ومن ذلك قوله سبحانه: " واوحى ربك إلى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون " وهل معنى ذلك ان الامين جبرائيل كان ينزل على النحل ليوحي إليها بذلك، لا اظن ان احدا يلتزم بهذا الامر. اما من حيث سندها فهي من قسم الضعيف، لانها جاءت عن طريق المفضل بن عمر، المعروف بالغلو والكذب، وقد وصفه الامام الصادق بالكفر والشرك، ونهى عن الاخذ بمروياته. وروى في باب التفويض إلى رسول الله والى الائمة في امر الدين، عن احمد ابن ابي زاهر بسنده إلى ابي اسحاق النحوي انه قال: دخلت على ابي عبد الله (ع) فسمعته يقول: ان الله عزوجل ادب نبيه على محبته فقال: وانك لعلى خلق عظيم، ثم فوض إليه فقال عزوجل:

---

(١) ص ٢٦٤ ج ١.

" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " وقال: " ومن يطع الرسول فقد اطاع الله " وان نبي الله فوض إلى علي (ع) والائمة فسلمتم وجحد الناس فوالله لنحبكم ان تقولوا إذا قلنا وان تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزوجل، وما جعل الله لاحد خيرا في خلاف امرنا. وقد اورد عشر روايات تحت عنوان التفويض إلى رسول الله والى الائمة، وكلها تلتقي تقريبا مع هذه الرواية من حيث المضمون. والذي تعنيه هذه المرويات، ان النبي (ص) كان المسؤول عن تبليغ الاحكام وبيان الحلال والحرام وبعد وفاته اصبح المسؤول عن ذلك الامام (ع) الذي اختاره النبي بامر من الله سبحانه، بعد ان زوده بكل ما تحتاج إليه الامة من امور دينها، فيكون المراد من التفويض، هو القيام بمهمات النبي من غير فرق بينهما من هذه الناحية، الا ان النبي (ص) يخبر عن الله بواسطة الوحي، والامام يخبر عن النبي والكتاب المنزل عليه. وليس في هذه المرويات وغيرها ما يشير إلى ان الله قد فوض إلى النبي كل شئ حتى امور الخلق والتدبير والنبي قد فوضها إلى الامام كما ينسب جماعة إلى الشيعة. ومن الجائز ان يكون المصدر في الصاق هذه الانحرافات بالشيعة بعض الفرق التي انحرفت عن التشيع الصحيح كالسبعية والخطابية وغيرهما، ولكن وجود فرق من هذا النوع تنتمي إلى التشيع لا يبرر تلالى الهمجات الصاعقة على الشيعة الامامية لمجرد ان بعض الذين كانوا مندسين في صفوفهم خرجوا عن مخطط التشيع، أو الحدوا في آرائهم ومعتقداتهم وقالوا في النبي والائمة ما يتنافى مع اصول الاسلام ومبادئه.

وجاء في بعض النصوص الصحيحة عن الائمة، ان من زعم ان الله فوض الينا امر الخلق والرزق والاحياء فقد اشرك بالله وضل سواء السبيل. وجاء في باب ذكر الارواح التي في الائمة (ع) عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر انه سأل ابا عبد الله الصادق (ع) من علم الائمة بما في اقطار الارض وهو في بيته مرخى عليه ستره فقال: يا مفضل ان الله تبارك وتعالى جعل في النبي خمسة ارواح، روح الحياة فيه دب ودرج وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه اكل وشرب واتى النساء من الحلال، وروح الايمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض الله النبي (ص) انتقل روح القدس فصار إلى الامام (ع) وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والاربعة ارواح تنام وتغفل وتزهو وتلعب، وروح القدس كان يرى به. وروى ثلاث روايات تحت هذا العنوان بهذا المضمون (١). وروى في باب ان الامام (ع) يأخذ علم الامام الذي كان قبله في

(١) انظر ص ٢٧١ و ٢٧٢، والمراد من الارواح هي القوى الكامنة في النبي (ص) وفي كل انسان ما عدا روح ر القدس، وبواسطة تلك القوى يتحرك ويجاهد ويأكل ويشرب ويحكم بالعدل، أما روح القدس فهي التي استحق بها النبوة بما لها من الخواص والآثار، وانتقالها الى الامام لا يعني انتقال النبوة إليه كما يوهمه ظاهر الرواية على ان هذه الرواية رواها محمد بن سنان عن المفضل، وهما ضعيفان لا يعتد بمروياتهما والثانية رواها منخل بن جميل عن جابر الجعفي، وهما متهمان عند اكثر المؤلفين في احوال الرجال، والثالثة رواها ابراهيم بن عمر اليماني عن جابر، وجاء في الخلاصة ان جل من يروي عن جابر ضعيف هذا بالاضافة الى ان جابرا نفسه، كان هدفا لهجوم عنيف من اكثر المؤلفين في الرجال فليس لروايته تلك الحصانة التي لرواية غيره من الموثوقين.

آخر دقيقة من حياته، روى عن جماعة منهم علي بن اسباط، والحكم بن مسكين، ان بعض الاصحاب اخبره بانه قال لابي عبد الله (ع) متى يعرف الاخير ما عند الاول ؟ قال: في آخر دقيقة تبقى من روحه. وبهذا النص رواها عن علي بن اسباط، والحكم بن مسكين عن عبيد بن زراره، ورواها ايضا عن جماعة عن على بن اسباط. والظاهر ان المقصود بالمعرفة التي تنتقل إلى الثاني في اخر دقيقة من حياته، هي الامامة، وليس في متنها ما يدعو إلى التردد والتشكيك ربخاصة بعد هذا التفسير. اما من ناحية سندها، فاحد رواتها علي بن اسباط، وهو فطحي المذهب متعصب لعقيدته، وقد الف علي بن مهزيار رسالة في الرد عليه فلم يتراجع عن مذهبه، ولعله لذلك رجح جماعة من المؤلفين في احوال الرجال ضعف مروياته. وورد في سند الرواية الثالثة، محمد بن الحسين بن سعيد الصباغ، وكان منحرف العقيدة ضعيف جدا على حد تعبير النجاشي (١). واكثر الروايات التي اوردها الكليني رحمه الله في هذه الابواب من كتاب الحجة لو عرضناها على الاصول والقواعد المقررة في علم الدراية لا تتوفر فيها الشروط المطلوبة، ولازم ذلك دخول هذا النوع من المرويات في قسم الضعيف حسب التصنيف الذي احدثه العلامة الحلي واستاذه، وذكرنا سابقا ان ضعف الرواية من ناحية سندها لا يوجب طرحها، لجواز كونها محاطة ببعض القرائن التي تؤكد صدورها عن الامام (ع) أو لوجودها في الكتب المعتبرة عند الطبقة الاولى من الرواة أو لان مضمونها

---

(١) انظر ص ٢٧٥ من الكافي ج ١، وص ٣٢٤ من اتقان المقال.

متواتر ولو بالمعنى، أو لموافقتها لظاهر الكتاب والسنة، أو لغير ذلك من - القرائن التي توجب الاطمئنان بصدورها، ولاجل ذلك فقد اعتبر المتقدمون هذا النوع من المرويات من الصحيح الذي يصح الاعتماد عليه والركون إليه ولو كان الراوي له من المنحرفين في عقيدته وعمله. وروى في باب النص على الائمة (ع) واحدا بعد واحد عن محمد ابن عيسى بسنده إلى ابي بصير انه قال: سألت ابا عبد الله الصادق (ع) عن قوله تعالى: " اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ". فقال: نزلت في علي والحسن والحسين (ع) فقلت له: ان الناس يقولون: فما له لم يسم عليا واهل بيته في كتاب الله عزوجل، فقال: قولوا لهم، ان رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله للناس ثلاثا ولا اربعا حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم في كل اربعين درهما درهم واحد، ونزل الحج ولم يقل لهم طوفوا سبعا. فكان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، فبين الرسول المراد منها، وقال في علي (ع): من كنت مولاه فعلي مولاه. وقال: اوصيكم بكتاب الله واهل بيتي، فاني سألت الله عزوجل ان لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض فاعطاني ذلك. وقال لا تعلموهم فانهم اعلم منكم، لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة، فلو سكت رسول الله ولم يبين من هم اهل بيته لادعاها. آل فلان وآل فلان، لكن الله انزله في كتابه تصديقا لنبيه، فقال: " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا " فكان علي والحسن والحسين وفاطمة، فادخلهم رسول الله تحت الكساء في بيت ام سلمة، ثم قال: اللهم ان لكل نبي اهلا وثقلا، وهؤلاء اهلي اهل بيتي وثقلي.

فقالت ام سلمه ألست من اهلك يا رسول الله فقال انك إلى خير ولكن هؤلاء اهلي وثقلي، فلما قبض رسول الله، كان علي (ع) اولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله، فلما مضى علي كان الحسن اولى بها من بقية اولاد علي، ولما مضى الحسن كان الحسين اولى بها وهكذا. وروى الكليني بهذا المضمون اكثر من سبع روايات، وفيها يؤكد الامام (ع) ان المراد باولي الامر في الآية من سورة النساء الأئمة من اهل البيت (ع) (١). وروى في باب ان الجن يأتونهم لياخذوا عنهم معالم دينهم، عن جماعة منهم سعد الاسكاف انه قال: اتيت ابا جعفر (ع) اريد الاذن عليه فإذا رحال ابل مصفوفة على الباب، والاحداج قد ارتفعت ثم خرج قوم معتمون بالعمائم يشبهون الزط، فدخلت على اي جعفر (ع) فقلت له جعلت فداك: أبطأ اذنك علي اليوم، ورأيت قوما خرجوا علي معتمين بالعمائم فانكرتهم، فقال أو تدري من اولئك يا سعد ؟ قلت لا: قال اولئك اخوانكم من الجن يأتون فيسألون عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم وروى سبع روايات بهذا المضمون، وقد وصف المجلسي في مرآة العقول هذه الروايات كلها بالضعف، ولم يستثن منها الا الرواية الرابعة التي رواها سدير الصيرفي عن ابي جعفر الباقر (ع) وجاء فيها ان الائمة يسخرون الجن لقضاء حوائجهم إذا اقتضى الامر السرعة في انجازها، وعدها من نوع الحسن بين اصناف الحديث (٢).

---

(١) ص ٢٨٧ الى ص ٢٦٢. (٢) ص ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٨، ومعلوم ان النوع الحسن من الروايات في مقابل الصحيح، ويأتي في المرتبة الثالثة حسب التصنيف الرباعي للحديث، واعتبارها من هذا النوع لا يعنى انها من الروايات المقبولة، ذلك لان الحديث إذا لم يتفق مع كتاب الله وسنة نبيه يتعين طرحه ولو بلغ أعلى مراتب الصحة من حيث سنده.

وروى في باب ان مستقى العلم في بيت آل محمد، عن يحيى بن عبد الله عن ابي الحسن انه قال: سمعت جعفر بن محمد (ع) يقول وعنده ناس من اهل الكوفة، عجبا للناس، انهم أخذوا علمهم كله عن رسول الله فعملوا به واهتدوا، ويرون ان اهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن اهل بيته وذريته في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، فيرون انهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا ان اهذا لمحال. وفي باب ان حديثهم صعب مستصعب، روى عن عمار بن مروان عن جابر ان ابا جعفر (ع) قال: ان رسول الله (ص) قال: ان حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به الا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان فما ورد عليكم من حديث آل محمد (ع) فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم فانكرتموه فردوه إلى الله ورسوله والى العالم من آل محمد، وانما الهالك ان يحدث احدكم بشئ منه لا يتحمله، فيقول: والله ما كان هذا (١). وروى في باب الولاية عن علي بن حمزة عن اي بصير، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: ان الآية " ومن يطع الله ورسوله لما نزلت على النحو التالي: ومن يطع الله ورسوله في ولاية. علي وولاية الائمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما.

---

(١) انما كان حديثهم صعب مستصعب، لانهم قد يخبرون احيانا عن امور ستحدث في مستقبل الزمان كما وصل إليهم من رسول الله (ص)، والاخبار عما سيحدث قبل حدوثه لا يؤمن به الا من بلغ أعلى درجات الايمان وعرفهم على واقعهم، ولذا فان الامام (ع) قد نهاهم عن تكذيب ما تنفر منه قلوبهم وطبائعهم وامرهم برد هذا النوع

إلى مصدره، ويحتمل ان يكون صعبا مستصعبا من حيث ان الذين كانوا يحملون احاديثهم ويحدثون بها كانوا يتعرضون لانواع الظلم من الحكام واعداء اهل البيت (ع).

وهذه الرواية ضعيفة السند، كما نص على ذلك المجلسي في مرآة العقول قد رواها على بن اسباط عن على بن ابي حمزة، وعلي بن اسباط كان فطحيا، وابن ابي حمزة كان واقفا، ومتهما بالكذب ووضع الاحاديث. وجاء عن علي بن الحسن بن فضال انه كتب تفسير القرآن، وانه لا يستحل ان يروي عنه حديثا واحدا. ونسب له المؤلفون في احوال الرجال، انه استولى على الاموال التي كانت في حيازته للامام موسى بن جعفر (ع) وانكرها بعد وفاته (١). وعلى تقدير صحة الرواية فلا بد وان يكون المراد من قوله (ع) هكذا نزلت انها نزلت بهذا المعنى لا بهذه الالفاظ، وان المعنى المراد منها هو ولاية على والائمة من بعده ومع الاعراض عن ذلك فليس ببعيد ان تكون هذه الزيادة في الآية من موضوعات علي بن حمزة، أو انه قد اخذها من الكتب التي الفت في تفسير الباطن، ككتابي علي بن حسان، وعبد الرحمن بن كثير وغيرهما من الغلاة والاسماعيلية السبعية. وقد اورد في الكافي نحوا من اثنين وتسعين رواية تتضمن تفسير اكثر من مئة آية بعلى والأئمة من ولده (ع) واكثرها بعيدة عن مداليل الالفاظ واسلوب القرآن. ومن امثلة هذا النوع من المرويات، ما رواه عن على بن محمد عن احمد بن محمد بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: " لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد، ووالد وما ولد " انه قال: الوالد وما ولد، علي وما ولد من الأئمة (ع).

(١) انظر رجال الشيخ محمد طه، ص ٣٢٢ و ٣٢٣.

ومنه ما رواه عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال في تفسير قوله تعالى: " هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب وأ خر متشابهات " ان الآيات المحكمات، علي والأئمة من ولده والمتشابهات فلان، وفلان وفلان. والذين في قلوبهم زيغ، هم اصحابهم واهل ولايتهم. وروى عن محمد بن جمهور، عن صفوان وابن مسكان، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال في تفسير قوله تعالى: ا وان جنحوا للسلم فاجنح لها " ان المراد من السلم الدخول في ولاية الائمة (ع). وروى عن محمد بن سليمان عن عبد الله بن سنان ان ابا عبد الله الصادق قال: ان الآية، ولقد عهدنا إلى آدم كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والأئمة من ذريتهم فنسي، واضاف الامام على حد قول الراوي، ان الآية هكذا والله نزلت على محمد (ص) (١). وروى عن محمد بن جمهور عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر انه قال: سألت ابا عبد الله (ع) عن قوله تعالى:، ائت بقرآن غير هذا أو بدله " قال قولوا: أو بدل عليا، والرواة الثلاثة لهذه الرواية لا يعتد بمروياتهم كما ذكرنا سابقا، وقد وصف المجلسي هذه المرويات كلها بالضعف، ومما لا شك فيه ان اكثرها من صنع الغلاة والمنحرفين عن عقيدة التشيع.

(١) وهذه الرواية تنص بصراحة انه سقط من الآية اكثر من نصفها والامر في ذلك سهل بمد ان كان احد رواتها محمد بن سليمان وجاء في كتب الرجال عنه انه ضعيف لا يعول عليه في شئ كما نص على ذلك في اتقان المقال والمرزا محمد في رجاله.

ومما يؤيد ذلك ان المتتبع في اسانيدها لا يجد رواية يخلو سندها عن احد الغلاة أو المتهمين بالانحراف والكذب، وعلي وابناؤه الائمة الهداة الذين اختارهم الله ائمة لعباده يدعون إلى الحق وبه يعملون في غنى عن هذه التأويلات التي لا تساعد عليها ظواهر تلك الآيات ولا تؤيدها نصوص القرآن الكريم. ان اكثر هذه المرويات لا تنسجم مع سيرة اهل البيت (ع) الذين قالوا: انا إذا حدثنا لا نحدث الا بما وافق كتاب الله، وان ما خالف كتاب الله فليس منا، وهل ينسجم قولهم هذا: مع تفسير قوله تعالى، الذي نسبه الغلاة إليهم، ائت بقرآن غير هذا أو بدله، اي بدل عليا (ع) كما جاء في رواية محمد بن جمهور عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر، ومع تفسير قوله تعالى: " ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين " اي لم نك من اتباع الائمة (ع) الذين قال الله فيهم: " والسابقون السابقون، اولئك المقربون ". ان ابا عبد الله الصادق الصدوق اجل شأنا وارفع قدرا من ان يتصرف في كتاب الله بما يذهب بهاءه وروعته ويطمس من اضوائه النيرة الساطعة التي هزمت فصحاء العرب وبلغاءهم وارتدوا على اعقابهم خاسرين مدحورين. " قل لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بآية من مثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ". وروى عن علي بن اسباط وعلي بن ابي حمزة عن ابي بصير ان ابا عبد الله الصادق (ع) قرأ فستعلمون يا معشر المكذبين حيث انبأتكم رسالة ربي في ولاية علي والائمة من بعده من هو في ضلال مبين. وانه قال: ان الآية " ان تلووا وتعرضوا اصلها ان تلووا الامر وتعرضوا

عما امرتم به فان الله كان بما تعملون خبيرا، فلنذيقن الذين كفروا بتركهم ولاية امير المؤمنين عذابا شديدا في الدنيا، ولنجنزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (١). وروى عن محمد بن ارومة عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال في تفسير قوله تعالى: " وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد " ان الذين هدوا إلى الطيب من القول والى صراط الحميد، هم الذين هدوا إلى امير المؤمنين (ع)، وان المراد من قوله تعالى: " حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم " انه حبب اليكم امير المؤمنين، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان، الاول والثاني والثالث (٢) إلى غير ذلك من المرويات التي دونها في المجلد الاول من الكافي في هذا الباب من كتاب الحجة. وبعد التتبع والدراسة الواعية يطمئن الباحث إلى ان اكثر تلك الاحاديث لا ينسجم مع واقع اهل البيت (ع) بالاضافة إلى انها غير جامعة لشروط الاعتماد على الرواية، لان رواة هذا النوع اكثرهم من الغلاة المعروفين بالكذب والانحراف كما اثبتنا ذلك في الفصل الذي عرضنا فيه تلك النماذج من رجال الجامعين.

---

(١) وقد ذكرنا لمحة عن تاريخ العليين علي بن اسباط، وعلي بن أبي حمزة لذا فان هذه الرواية وامثالها لا يقرها علماء الشيعة، ولا تعبرعن رأيهم في مختلف العصور. (٢) ان ابطال هذه الرواية، محمد بن ارومة، وعلي بن حسان، وعبد الرحمن بن كثير ثلاثهم من الغلاة المشهورين، وهذا النوع من التفسير من كتابي تفسير الباطن لعلي بن حسان ومحمد بن ارومة، انظر ص ٤١٣ و ٤١٤ وما بعدهما، ج ١.

[٣١٨]

الايمان والاسلام في الكافي ان عظمة اهل البيت (ع) تتجلى في جميع المراحل التي مروا بها، وفي جميع مروياتهم واعمالهم وكتاب الكافي بمجموعه يعكس عظمتهم، ويقدم للباحث عشرات الادلة على سعة علمهم وحرصهم على توجيه الانسان إلى ما فيه صلاحه في دينه ودنياه، ذلك لأن علمهم مستمد من علم الرسول ومن كتاب الله الكريم، لا من الانجتهادات والاقيسة والظنون والاستحسان التي تخطئ وتصيب. فقد روى في الكافي عن عمر بن حريث ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال له: اتق الله وكف لسانك الا من خير، ولا تقل اني حديت نفسي، بل الله هداك، فاد شكر ما انعم الله عزوجل به عليك، ولا تكن ممن إذا اقبل طعن في عينه، وإذا ادبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس على كاهلك فانك اوشك ان حملت الناس على كاهلك ان يصدعوا شعب كاهلك (١). وروى في باب ان الايمان يشارك الاسلام، والاسلام لا يشارك

(١) اي لا تكن من الاشرار الذين يتعرضون للذم والطعن في حضورهم وغيابهم ولا تحملهم على كاهلك بالمداهنة والمداراة لهم، فانك ان فعلت ذلك يطمعوا فيك ويحملوك على خلاف الحق، وعلى ما لا يحل لك فان هذه الكلمات من الجوامع التى تحمل في طياتها ابلغ العظات واصدقها واقر بها من منطق القرآن وروح الاسلام وسماحته.

[٣١٩]

الايمان، عن جميل بن صالح عن سماعة انه قال: قلت لجعفر بن محمد الصادق (ع) اخبرني عن الايمان والاسلام، اهما مختلفان ؟ فقال: ان الايمان يشارك الاسلام، والاسلام لا يشارك الايمان. فقلت صفهما لي: فقال: الاسلام شهادة ان لا إله الا الله والتصديق برسول الله (ص) به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام، وما ظهر من العمل به. وروى عن عبد الرحيم اقصير انه قال: كتبت مع عبد الملك بن اعين إلى ابي عبد الله اسأله عن الايمان ما هو ؟ فكتب لي مع عبد الملك، سألت رحمك الله عن الايمان، فالايمان هو اقرار في اللسان وعقد في القلب وعمل بالاركان، واضاف إلى ذلك. قد يكون العبد مسلما قبل ان يكون مؤمنا، ولا يكون مؤمنا حتى يكون مسلما فالاسلام قبل الايمان ويشارك الايمان، فإذا أتى العبد كبيرة من المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عنها كان خارجا من الايمان ساقطا عنه اسم الايمان وثابتا عليه اسم الاسلام، فان تاب واستغفر عاد إلى الايمان، ولا يخرجه إلى الكفر الا الجحود والاستحلال ان يقول للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال، ويدين بذلك فعندها يكون خارجا من الاسلام والايمان (١). وروى عن محمد بن حماد الخزاز عن عبد العزيز القراطيسي انه قال: قال لي أبو عبد الله الضادق (ع) يا عبد العزيز، ان الايمان عشر درجات

(١) وهاتان الروايتان تؤيدان الرأي القائل ان الايمان اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان، وفي مقابل ذلك الرأي المشهور بين الامامية، وهو ان الايمان هو الاقرار باصول الاسلام وامامة الاثني عشر والمعاصي لا تخرج الانسان عن صفة الايمان (انظر كتابنا الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة، الفصل الذي تعرضنا فيه للفرق بين الاسلام والايمان).

بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شئ حتى ينتهي إلى العاشرة، ولا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فان من كسر مؤمنا فعليه جبره (١). وقد اورد مجموعة من الروايات حول درجات الايمان وتفاوته بمختلف الاساليب، والذي يعنيه هذا النص وغيره، ان الانسان لا يجوز ان ينظر إلى غيره من زاويته، لان الناس يتفاوتون في تفكيرهم وعقولهم وجميع مواهبهم، والنتيجة الحتمية لهذا التفاوت ان تكون بينهم الفوارق والمسافات الواسعة في ايما نهم واخلاقهم ومواهبهم، فالانسان الذى يملك مرتبة من الفضل والايمان، ليس لمن فوقه ان ينظر إليه من زاويته ويجرده عن ايمانه لان ذلك يؤدي إلى التنكر للفضيلة، وجحودها من الاساس، ولانه إذا جرد من هو دونه جرده من هو فوقه ومراتب العلم والدين والاخلاق لا تحدها الحدود، والكمال المطلق لله وحده، وحتى ان الانبياء انفسهم يشعرون بانهم لم يصلوا إلى منتهى حدود المعرفة ويتفاوتون في فضلهم ومعرفتهم، ولذا فان الامام (ع) يقول: لا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شئ، ويضيف إلى ذلك لا تسقط من هو دونك فيسقط لى من هو فوقك، وإذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة لا تنظر إليه من زاويتك، بل يجب ان تقدر له فضله، وترفع من شأنه، وتحاول

---

(١) وهده الرواية صريحة في ان الايمان يزيد وينقص، ولا يحصل دفعة واحدة، بل تدريجا، ولازم ذلك ان الايمان هو الاقرار والعمل، ولا بد للقائلين بأنه تصديق واعتقاد، ان يلتزموا بأنه لا يزيد ولا ينقص، إذ لا يصح وصفه بالزيادة والنقصان الا إذا كان نتيجة لفعل الانسان واعماله والفروض ان العمل الخارجي ليس من مقوماته كما يدعى اكثر الامامية، كما وان المعاصي لا تسلب العبد صفة الايمان إذا كان مصدقا ومعتقدا بالله ورسوله، وبما جاء به.

ان ترفعه إلى مرتبتك برفق واخلاص، ولا تحمله ما لا يطيق فيخرج من حيث اردت اصلاحه. ولم يكتف الإمام (ع) بهذه المناهج والقواعد التي تتكون منها الفضيلة والخلق الرفيع في نفس الانسان، بل ضرب امثلة على ذلك، كما جاء في رواية يعقوب بن الضحاك، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال لاصحابه وهو يحدثم عن الفضيلة ومراتبها وكيف ينبغي لكل واحد ان ينظر الى الآخر ويتعاون معه ليرفع مستواه، قال لهم: ان رجلا كان له جار نصراني فدعاه إلى الاسلام وزينه له فاجابه إليه، وجاء في اليوم الثاني عند السحر فقرع عليه بابه، ثم قال له: توضأ والبس ثوبيك لنخرج إلى الصلاة: فتوضأ وخرج معه فصليا ما شاء الله، ثم صليا الفجر ومكثا حتى اصبحا، فقام النصراني يريد منزله، فقال له الرجل اين تذهب ؟ ان النهار قصير، والذي بيننا وبين الظهر قليل، فجلس معه إلى ان صلى الظهر، ثم قال له لم يبق إلى العصر الا القليل، واحتبسه إلى إذ صلى العصر، ولما اراد ان ينصرف إلى منزله قال له: ان هذا آخر النهار، واحتبسه حتى صلى المغرب، ثم قال له: لقد بقيت صلاة واحدة فسكت الرجل وانتظر إلى إذ صلى العشاء، وتفرقا، فلما كان وقت السحر طرق عليه الباب، وقال له: قم فتوضأ واخرج لنصلي، فقال النصرافي: اذهب واطلب لهذا الدين من هو افرغ مني فانا انسان مسكين ولي عيال فلا اطيق ان اتحمل دينكم، قال أبو عبد الله الصادق (ع) ادخله في شئ واخرجه منه (١). وروى في باب الطاعة والتقوى، عن عمر بن شمر عن جابر

الجعفي ان ابا جعفر الباقر (ع) قال: يا جابر ايكتفي من ينتحل التشيع ان يقول:

---

(١) والذي عناه الامام بذلك، ان المسلم أرأد أن يفرض عليه ايمانه. فلم يتحمل فخرج من الاسلام ولم يعد إليه، ولو انه تركه وحاول تقوية ايمانه بالطرق المألوفة تدريجا، لكان باستطاعته ان يرفعه إلى حيث يريد.

يحبنا اهل البيت، فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخشع وصدق الامانة وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة، والغا رمين والايتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الالسن عن الناس الا من خير، وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء. قال جابر: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احدا بهذه الصفة، فقال يا جابر: لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل ان يقول: احب عليا واتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالا، فلو قال: اني احب رسول الله (ص) ورسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه اياه شيئا، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد إلى الله عزوجل، واكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرب إلى الله الا بالطاعة وما معنا براءة من النار، ولا على الله لاحد من حجة، من كان مطيعا فهو لنا ولي، ومن كان عاصيا فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع. وروى عن محمد بن حمزة العلوي عن عبيدالله بن على ان ابا الحسن الأول (ع) قال: كثيرا ما كنت أسمع أي يقول: ليس من شيعتنا من لا تنحدث المخدرات بورعه، وليس من اوليائنا من هو في قرية فيها اثنا عشر الف رجل وفيهم من خلق الله من هو اورع منه (١).

---

(١) انظر ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٨ وقد تكرر مضمون هاتين الروايتين في الكافي حسب المناسبات وذكرنا بعضها في المواضيع السابقة، وهذه الروايات تضع الحد الفاصل بين التشيع الصحيح والمزيف وتنفى عنه غلو المنحرفين، وأباطيل المرجفين، ودسائس الحاقدين الذين الصقوا به الاتهامات والبدع والخرافات، وارادوا له ان يموت في مهده، فلم يحقق لله لهم امنية ولم يمدهم بالقدرة على ذلك، ورد الله الذين كفروا بكيدهم لم ينالوا شيئا. وبرز التشيع قويا يقتحم =

وروى في باب الحب في الله عن عمرو بن حورك ان النبي (ص) قال: اوثق عرى الايمان الحب في الله، والبغض في الله، وتولي اولياء الله، والتبري من اعداء الله. وقال الامام أبو جعفر الباقر (ع): إذا اردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر إلى قلبك، فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض اهل معصية الله ففيك خير والله يحبك، وان كان يبغض اهل طاعة الله، ويحب اهل معصية الله فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من احب. وروى عن الامام الصادق (ع) انه قال: ثلاثة اقرب الخلق إلى الله عزوجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى ان يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه. وروى عن عثمان بن جبلة ان ابا جعفر الباقر (ع) كان يقول ان رسول الله (ص) قال: ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله، رجل

اعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدم رجلا ولم يؤخر رجلا حتى يعلم ان ذلك لله رضا، ورجل لم يعب اخاه المسلم في عيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فانه لا ينفي عنها عيبا الا بداله عيب، وكفى بالمرء شغلا بنفسه عن عيوب النا س (١).
وروى في باب البر بالوالدين عن زكريا بن ابراهيم انه قال: كنت

= الصعاب ويطوي الاجيال ويثق بمبادئه النيرة الساطعة للانسان طريق الفوز برضوان الله والسعادة الدائمة ويقدم عشرات الادلة على ان دعاة الحق ورسل الخير والمحبة احياء في نفوس المؤمنين والناس اجمعين إلى قيام الساعة.

---

(١) ص ١٤٤ و ١٤٧، ج ٢.

نصرانيا فاسلمت وحججت، فدخلت على الامام الصادق (ع) وقلت له: اني كنت نصرانيا واسلمت، فقال واي شئ رأيت في الاسلام ؟ قلت قول الله عزوجل: " ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء " فقال: لقد هداك الله، ثم قال: سل عما شئت، قلت ان ابي وامى على النصرانية وامي مكفوفة البصر فاكون معهم وآكل من آنيتهم، فقال: يأكلون لحم الخنزير، فقلت لا ولا يمسونه، فقال لا بأس، انظر امك فبرها، وإذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك، وكن انت الذي تتولى امرها وتقوم بشأنها، ولا تخبرن احدا انك اتيتني حتى تأتيني بمنى ان شاء الله. قال فاتيته بمنى والناس حوله كأنه سلم صبيان، هذا يسأله وهذا يسأله، فلما قدمت الكوفة كنت اطعمها بيدي واخدمها بنفسي واتولى جميع شؤونها كما امرني الامام جعفر بن محمد (ع) فقالت: يا بني ما كنت تصنع بي هذا وانت على ديني، فقلت لقد امرني بهذا رجل من ولد نبينا يدعى جعفر بن محمد، فقالت والله ان هذه وصايا الانبياه، اعرض علي دينك يا بني، فعرضته عليها، فاسلمت، وادت ما عليها من فروض الاسلام، ثم توفيت (١).

---

(١) لقد اشتمل سند هذه الرواية على أحمد بن محمد البرقى، وعلى ابن الحكم ومعاوية بن وهب وهولاء الثلاثة من الممدوحين في كتب الرجال، اما الراوي الاخير لها الذي رواها عن الامام (ع) فلم اجد من تعرض له بمدح، أو ذم، ويظهر منها ان النهي عن مباشرة أهل الكتاب من حيث انهم يباشرون النجاسات كالخنزير ونحوه، لذا فان الامام (ع) قد رخصه بمبالشرة ابويه، بعد ان تبين له انهما لا يأكلان الخنزير، ولا يباشرانه، ومن الممكن ان تكون هذه الطائفة من المرويات المفصلة مفسرة لبقية المرويات التي تعرضت لطهارتهم ونجاستهم بقول مطلق، بان يراد من الاخبار الناهية عن مباشرتهم من حيث انهم لا يتجنبون النجاسات والاخبار التي رخصت بمباشرتهم من حيث ذاتهم.

وروى في الكافي مئات الاصاديث عن النبي والائمة (ع) حول التعاون والتسامح والتآ خي وحقوق الاخوان وصلة الارحام والثورة على الظلم ونبذ الاحقاد. وغير ذلك من المرويات التي تدعوإلى تهذيب النفس وتطهيرها من الدنايا والامراض وبخاصة التي تسئ إلى الغير ويلتقي الكافي مع الصحيح للبخاري في اكثر هذه المواضيع من

حيث الجوهر والمؤدى ولا يضرنا الاختلاف لمني السند والاسلوب ما دامت تنتهي إلى نتيجة واحدة تتفق مع روح الاسلام وسماحته.

التقية في الكافي لقد روى الكليني في باب التقية ٢٣ حديثا، وكلها تنص بصراحة تأبى عن التأويل ان للانسان ان يتهرب من الضرر الموجه عليه ممن هو اقوى منه، ولو ادى ذلك إلى موافقته فيما هو مخالف للحق أو للاعتقاد من قول أو فعل. ومن امثلة ذلك ما رواه عن هشام بن سالم، عن ابراهيم الاعجمي ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: يا ابا عمر ان تسعة اعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شئ الا في النبيذ والمسح على الخفين. وهذه الرواية كما وضعت مبدأ التقية عند الخوف من ضرر الغير، يستفاد منها مشروعيتها في الفروع والاصول وفي كل شئ الا في النبيذ والمسح على الخفين (١). وروى عن جابر المكفوف، عن عبد الله بن ابي يعفور ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: اتقوا على دينكم بالتقية، فانه لا ايمان لمن لا تقية له، انما انتم في الناس كالنحل في الطير، لو ان الطير تعلم ما في اجواف

---

(١) ولعل عدم مشروعيتها في النبيذ والمسح على الخفين من حيث انهما من غير المتفق على جواز استعمالهما عند جميع ائمة المذاهب الاربعة، أو من حيث ان عدم جواز استعمالهما معروف من مذهب الامامية.

النحل ما بقي منها شئ الا اكلته، ولو ان الناس علموا ما في اجوافكم من حبنا اهل البيت لاكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية، رحم الله عبدا منكم مات على ولايتنا. وروى عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة انه قال: قيل لابي عبد الله (ع) ان الناس يروون ان عليا (ع) قال على منبر الكوفة: ايها الناس انكم ستدعون إلى سبي فسبوني: ثم تدعون إلى البراءة مني فلا تتبرءوا مني، فقال (ع) ما أكثر ما يكذب الناس على علي (ع) ان عليا قال: انكم ستدعون إلى سبي فسبوفي، نم ستدعون إلى البراءة مني، واني لعلى دين محمد (ع) ولم يقل لا تتبرءوا مني، فقال له السائل: ارأيت ان اختار القتل دون البراءة، فقال: والله ما ذلك عليه، وماله الا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث اكرهه اهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان، فانزل الله، الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان. فقال له النبي (ص) يا عمار ان عادوا فعد فقد انزل الله عذرك وامرك ان تعود ان عادوا اليك. وروى عن عبد الله بن اسد عن عبد الله بن عطاء انه قال: قلت لابي جعفر الباقر (ع) رجلان من اهل الكوفة اخذا فقيل لهما ابرءا من علي، فبرئ احدهما وابى الآخر فخلي سبيل الذي برئ وقتل لآخر، فقال (ع) اما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، واما الذي لم يبرأ فرجل تعجل إلى الجنة (١).

---

(١) انظر ص ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٢١، فالذي برئ فقيه في دينه لانه استطاع ان يتخلص من القتل باظهار كلمة البراءة من علي وقلبه عامر بحبه وولائه فهو كغيره من المسلمين الاولين الذين اكرههم المشركون على البراءة من محمد (ص) ورسالته فأنزل الله فيهم " الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان " والثانى تعجل إلى الجنة لانه لم يشأن يتنازل ولو بلسانه عن ولائه لعلي وآله الطيبين واعطى لغيره مثلا رائعا في البطولة والفداء من اجل الحق والعقيدة.

إلى غير ذلك من المرويات الكثيرة التي تؤكد مشروعيتها وتفرض على المكلفين استعمالها في كل شئ يضطر إليه الانسان من يخر فرق بين الاصول والفروع، الا إذا توقف التخلص من ضرر المغير على قتل انسان مثلا، فلا تقية في مثل ذلك، لانها شرعت للتخلص من الفرر، فإذا لزم من استعمالها ضرر مماثل أو اقوى من الفرر الذي توعد به الظالم فلا تحصل الغاية المطلوبة منها. وقد جاء في رواية شعيب الحداد عن محمد بن مسلم ان ابا جعفر الباقر (ع) قال: انما جعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فلا نقية حينئذ. وقد تحدث الفقهاء عن التقية في مختلف المواضيع من الفقه حسب المناسبات والفوا فيها الرسائل المستقلة التى تحدد موضوعها ومواردها، حسب الزمان والمكان والاشخاص. ومع انها من الضرورات التي يفرضها العقل، بالاضافة إلى الشرع الذي حث عليها كتابا وسنة، مع انها كذلك فقد تعرض الشيعة منذ العصور الاولى لاعنف الهجمات واسوأ الاتهامات لانهم يستعملونها حفظا لدمائهم وصونا لاعراضهم كما يلتجئ غيرهم لذلك عندما تلجئه الضرورات لمجارات الغير تهربا من ضرره من حيث لا يشعرون. ان فكرة التقية ليست من مختصات الشيعة، ولا من مخترعاتهم، فالانسان بطبعه مفطور على التهرب من الضرر بما يملك من الوسائل التي تهيئ له السلامة، وعنهدما يرى نفسه عاجزا عن دفعه بالقوة وبغيرها من وسائل الدفاع، يفطر إلى مجارات من يخاف ضرره والتسليم له في الفعل والقول، وقد اقر الاسلام هذا الاسلوب من اساليبه الدفاع عن النفس منذ ان بزغ فجره يوم كان المسلمون الاولون يتعرضون للاذى والتهذيب

من القرشيين وغيرهم، وكان من امر عمار بن ياسر احد المعذبين، ان اظهر لهم التراجع عن الاسلام بلسانه بعد ان رأى ان صموده وتصسبه يؤديان به إلى الهلاك، فاقره النبي على مجاراتهم، وانزل الله فيه بهذه المناسبة قوله الا من اكره وقلبه مطمئن للاسلام، وقال له النبي (ص): ان عادوا فعد، فقد انزل الله فيك قرآنا، وامرك ان تعود ان عادوا اليك. وقال تعالى في معرض النهي عن متابعة الكافرين ومجاراتهم في افعالهم واقوالهم: " لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقة ". وإذا جازت التقية في اظهار الكفر والشرك تهربا من الضرر تجوز في غيرهما من الاصول والفروع بالاولوية. ومهما كان الحال فالتقية تتصف بالوجوب والاستحباب والحرمة، فتجب في موارد الضرر المترتب على المخالفة، كما وعلم المصلي مثلا بانه إذا لم يصل متكتفا يتعرض للاهانة والايذاء، أو القتل ونحو ذلك من الاضرار. وتكون مستحبة عند توهم الضرر، أو عند العلم بحصول الضرر اليسير الذي لا يضر بالحال. والمحرم منها هو مجاراة الغير على ترك واجب، أو فعل حرام مع العلم بعدم الضرر على فعل الواجب وترك الحرام، أو مجاراته على قتل الغير والتعدي على الناس بما يضر بحالهم كما لو قتل انسانا أو قطع يده مثلا خوفا من ضرر الحاكم، وجاء في رواية محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال: انما جعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فلاتقية.

وقد نص الشيخ الانصاري في رسالته التي الفها في التقية، على ان المدرك في وجوب التقية في موارد وجوبها، هو ادلة نفي الضرر، وحديث الرفع الذي اشتمل على رفع ما يضطر إليه الانسان، بالاضافة إلى ادلة التقية التي تنص على انها واسعة وليس شئ منها الا وصاحبها مأجور عليه. وهذه الادلة من حيث معذورية المكلف بمجموعها تحكم على ادلة الواجبات والمحرمات، ولا تتعارض مع شئ منها، ذلك لان ادلة التقية تقيد موضوع تلك الادلة بغير موارد الاضطرار والخوف من الضرر، كما هو الشأن في جميع الادلة الحاكمة التي ترجع في واقعها إلى التصرف في الادلة المحكومة سعة وضيقا (١). ومعنى ذلك ان ادلة الواجبات والمحرمات إذا ضممنا إليها ادلة التقية التي ترخص في ترك بعض الواجبات أو ادخال ما لا يجوز ادخاله في موضوع التكليف، هذه الادلة تصبح مختصة بصورة عدم الضرر على فعل الواجب، أو ترك الحرام، اما من ناحية صحة العمل الواقع على وجه التقية، فان ادلة تشريعها بلحاظ ذاتها بما في ذلك قوله (ع): التقية في كل شئ، وليس شئ اوسع منها لا يستفاد منها اكثر من الترخيص في الاتيان بالعمل الناقص أو الزائد تهربا من الضرر المترقب ممن يخاف من ضرره، ولا تدل على صحته أو فساده، كما هو الحال في حديثي الضرر والرفع وامثالهما من ادلة العسر والحرج الواردة في معرض التسهيل والتيسير على المكلفين، والتي ترفع المؤاخذة أو الحكم حسب اختلاف المقامات فمن اضطر إلى الصلاة متكتفا، أو مع من لا تصح معه الصلاة ونحو ذلك، فأدلة وجوب التقية تفرض عليه ان يصلي متكتفا ومؤتما بمن لا يصح الائتمام به ولا نظر فيها إلى كفاية هذا العمل عن الواقع وعدمها،

---

(١) انظر رسالة الشيخ مرتضى الانصاري في التقية.

ولا بد في مثل ذلك من الرجوع إلى ادلة الاحكام التي اعتبرت الشئ جزء أو شرطا، أو مانعا، فان كانت حسب اطلاقها تشمل حالتي الاضطرار والخوف من ضرر الغير، فلازم ذلك فساد العمل الواقع لجهة التقية لانه يفقد بعض الاجزاء أو لانه يقترن ببعض الموانع، وان لم يتسع اطلاقها لحالتي الاضطرار والخوف من ضرر الغير يكون العمل الواقع لجهة التقية صحيحا لا يجب اعادته في الوقت ولاقضاؤه في خارجه، ولو ارتفع العذر المسوغ للتقية قبل خروج الوقت في الواجبات المؤقتة وكان المكلف قد اوجد المأمور به تقية، كما لو اذن المشرع بالصلاة متكتفا، أو امره بالاتيان بالصلاة، أو بغيرها من العبادات حسبما يراه المخالفون، ثم ارتفع العذر المسوغ للتقية قبل مضي الوقت فقد نص الشيخ الانصاري، بانه لا ينبغي الاشكال في كفاية العمل الواقع من المكلف على جهة التقية، واحتج لذلك بان الامر بالكلي كما يسقط بفرده الاختياري كذلك يسقط بفرده الاضطراري لو كانت ادلة الموانع ظاهرة في المانعية في حال الاختيار، فيكون المقام شبيها بالطهارة الترابية فيما لو صلى المكلف متيمما، ثم ارتفع العذر قبل خروج الوقت حيث ان المستفاد من تشريع التيمم عند الخوف من استعمال الماء، أو عدم وجوده: المستفاد من ذلك جعل فردين طوليين للطهارة هما الماء والتراب، فإذا تحقق موضوع الثاني، وصلى المكلف متيمما بعد الاذن الشرعي بالصلاة يتعين سقوط الامر المتعلق بالعمل المأتي به في هذه الحالة، وهكذا الحال فيما لو كانت ادلة الاجزاء والشروط والموانع باطلاقها تشمل حالة الخوف من ضرر الغير، وادلة التقية التي تفرض على المكلف الاتيان بالعمل الناقص، أو المقترن بالمانع نتيجتها تقييد اطلاق تلك الادلة بغير موارد الخوف والاضطرار. ثم انه لو كان زوال العذر محتملا قبل خروج الوقت، فجواز المبادرة إلى الاتيان بالعمل

على وجه التقية مبني على ان ذوي الاعذار، هل لهم ان يبادروا إلى الامتثال في الاجزاء الاولى من الوقت مع احتمال

بقاء الوقت الذي يتسع للواجب بجميع اجزائه وشرائطه بعد زوال العذر، ام يجب عليهم الانتظار في مثل هذه الحالة ليتاح لهم اداء الواجب على الوجه الشرعي، والمعول في مثل ذلك على الادلة الخاصة التي تعرضت لحال التقية موضوعا وحكما. والذي عليه اكثر الفقهاء جواز المبادرة إلى الاتيان بالعمل تقية على الوجه المرغوب فيه عند المخالفين، ولو كان المكلف يحتمل اتساع الوقت لادائه على وجهه الشرير بعد زوال الخوف الموجب للتقية، وليس ذلك ببعيد عن بعض نصوصها. مثل قوله في رواية ابراهيم الاعجمي ان تسعة اعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شئ الا في النبيذ والمسح على الخفين. وقول ابي جعفر الباقر (ع): التقية في كل شئ يضطر إليه ابن آدم فقد احله الله. فان الظاهر من هذه المرويات جواز المبادرة إلى الفعل عند حصول السبب المسوغ له، ولو احتمل زواله قبل خروج الوقت. هذا بالاضافة إلى الموارد التي اذن فيها الشارع بمتابعتم من غير تقييد بحالة دون اخرى، كغسل الرجلين بدلا ش مسحهما، والتكتف في الصلاة والائتمام بهم ونحو ذلك. ويبدو من النصوص الفقهية ان الفقهاء بين من يرى جواز المبادرة إلى العمل على وجه التقية وان كان له فسحة من الاتيان به على وجهه الشرير في محل آخر أو زمان آخر، ومن هؤلاء الشهيدان والمحقق الثاني في كتبه الثلاثة، الروض والبيان وجامع المقاصد.

وبين من لا يكتفي بالعمل على وجه التقية الا إذا لم يتمكن من الاتيان به كاملا في محل آخر أو زمان اخر، ومن هؤلاء السيد محمد صاحب المدارك. وبين من فصل بين الموارد المأذون بها بالخصوص، وبين غيرها مما لم يرد فيها نص بخصوصه، كالصلاة إلى غير القبله، والوضوء بالنبيذ، والاخلال بالموالاة في الوضوء ونحو ذلك من الموارد التي لم يتعلق بها اذن خاص. والذي تؤيده بعض المرويات عن الائمة (ع) انه لا بد وان يكون المكلف غير متمكن من الاتيان بالواجب على وجهه في ذلك الجزء من الوقت بخصوصه. فقد جاء في رواية احمد بن محمد بن ابي نصر، ان ابراهيم بن شيبة قال: كتبت إلى ابي جعفر الثاني (ع) عن الصلاة خلف من يتولى عليا وهو يرى المسح على الخفين، وخلف من يحرم المسح على الخف وهو يمسح، فكتب (ع) ان جامعك واياهم موضع لا تجد بدا من الصلاة معهم فاذن لنفسك واقم فان سبقك إلى القراءة فسبح. وجاء في رواية ثانية عنه، لا تصلوا خلف ناصب ولا كرامية (١) الا ان تخافوا على انفسكم ان تشهروا أو يشار اليكم فصلوا في بيوتكم ثم صلوا معهم واجعلوا صلاتكم معهم تطوعا. هذا بالاضافة إلى المرويات التي تنص على ان التقية في كل شئ

---

(١) الكرامية هم اتباع محمد بن كرام، وكان من القائلين بالتجسيم والتشبيه، وجاء في كتابه (عذاب القبر) ان معبوده مماس للعرش والعرش مكان له، وكان من اهل البدع والضلال، كما نص على ذلك الاسفرايني، في التبصير، والشهرستانى في الملل والنحل.

يضطر إليه الانسان، إذ بمقتضى تلك النصوص انه لابد من الاضطرار حتى يسوغ للمكلف الاتيان بالعمل على جهة التقية. ولو افترضنا ان المكلف يتمكن من تخليص نفسه ولو بالذهاب إلى بيته لاداء فريضته، أو بطريق اخر لاعسر فيه ولاحرج عليه في سلوكه لا يصدق الاضطرار المسوغ للامتثال على وجه التقيه. قال الشيخ مرتضى الانصاري: فمراعاة عدم المندوحة في الجزء الاول من الزمان الذي يوقع فيه الفعل اقوى مع انه احوط، نعم تأخير الفعل عن اول وقته لتحقق الامن والسلامة وارتفاع الخوف مما لادليل عليه، بل الاخبار بين ظاهر وصريح بخلافه (١). وقد تبين من جميع ما ذكرناه ان موارد التقية لابد فيها من الخوف على النفس أو المال من الغير القادر على الاضرار، سواء كان مسلما أو غيره، بل وحتى لو كان من المنتسبين إلى التشيع، وإذا كان المكلف متمكنا من التهرب من الضرر في الزمان الاول لا يصدق الاضطرار المسوغ للاتيان بالعمل الناقص أو المخالف لمذهبه، وتؤكد اكثر النصوص انها اي التقية واسعة لا تختص بأمر دون اخر، فكل شئ يضطر إليه الانسان يتعين عليه مجاراة الغير فيه من غير فرق بين الاصول والفروع، وليس شئ ادل على ذلك من موقف المسلمين الاولين مع مشركي مكة الذين كانوا يعذبون على الاسلام ويظهرون الشرك بألسنتهم وقلوبهم عامرة بالايمان بالله ونبوة محمد (ص). ويؤكد ذلك ما جاء عن امير المؤمنين (ع) في بعض وصاياه لاصحابه، قال: وأمرك ان تستعمل التقية في دينك، فان الله سبحانه قال:

---

(١) رسالة التقية للشيخ مرتضى الانصاري.

لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقاة. واضاف إلى ذلك، وقد اذنت لكم بتفضيل اعدائنا ان الجأكم الخوف إليه، وفي اظهار البراءة، وفي ترك الصلاة المكتوبة ان خشيتم على حشاشتكم الآفات والماهات، وتفضيلكم لاعدائنا عند الخوف لا ينفعهم ولا يضرنا، وان اظهار البراءة تقية لا يقدح فينا، ولا تبرأ منا ساعة بلسانك وانت موال لنا بجنانك لتتقي على نفسك وجهها الذي به قوامها ومالها الذي به قيامها، وجاهها الذي به تمكنها، وتصون بذلك من عرف من اوليائنا واخواننا، فان ذلك افضل من ان تتعرض للهلاك وتنقطع به من عمل في الدين، وصلاح اخوانك المؤمنين، واياك اياك ان تترك التقية التي امرتك بها، فانك شاحط بدمك ودم اخوانك، معرض لنفسك ونفوسهم الزوال، مذل لهم في ايدي اعداء الدين، وقد امرك الله باعزازهم، وانك ان خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك واخوانك اشد من ضرر الناصب لنا والكافر بنا. وهذه الرواية تتعارض مع الرواية المروية عنه (ع)، والتي جاء فيها. انكم ستعرضون على سبي، فسبوني، ومن عرض عليه البراءة مني فليمدد عنقه، فان برئ مني فلا دنيا له ولا آخرة. ولكن الذي يوهن هذه الرواية، انها عرضت على الامام الصادق (ع) فانكرها وقال: ما اكثر ما يكذب الناس على علي (ع). ونحن إذا لاحظنا الحوادث وملابساتها منذ فجر الخلافة الاسلامية، وتتبعنا تاريخ الشيعة وائمتهم والظروف القاسية التي مرت عليهم وما لاقوه من التعذيب والظلم والجور في جميع الادوار والمراحل التي مروا بها، لا نستطيع ان نفاضل بين عصر وعصر، ولا بين حاكم وحاكم، ففي

الشطر الاول من العهد الاموي، لم يكن يعني معاوية واتباعه شئ غير مطاردة الشيعة والتنكيل بهم في مختلف انحاء البلاد واكراههم على سب علي والبراءة منه ومن ابنائه، فلم يسلم منهم الا من تستر بعقيدته واظهر مجاراتهم في القول والفعل، ونسج على منواله جميع الامويين وعمالهم نحوا من قرن من الزمن تقريبا، ولما جاء دور العباسيين، وهم الاقربون لعلي وآله (ع) ترقب الشيعة انها ساعة الخلاص من ذلك العهد الجائر وقبل ان تمتلئ رئتاهم من النفس المريح، وإذا بالحكام الجدد الذين تستروا اولا بمكافحة الظلم، وتباكوا على القتلى من بني عمومتهم، يمارسون اسلوب اسلافهم باقبح الصور، وبشكل لم يهتد إليه سلفهم " الصالح من قبل " حتى قال القائل: يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار وهكذا توالت عليهم النكبات من السلاجقة إلى الايوبيين، إلى الاتراك، ولم يتنفسوا من ظلم الحاكم الذي حكم باسم الدين والاسلام نحوا من ثلاثة عشر قرنا، الا بعد ان تقلص عهد الاتراك البغيض المملوء بالمخازي والمفاسد، وجاء عهد الانتداب، ومن ثم عهد الاستقلال، العهد الذي تبدل فيه نوع الحكم، فاحس الشيعة في جميع الاقطار وبخاصة في لبنان بوجودهم وتفتض لهم نوافذ الحرية، ولكن رواسب تلك العهود البغيضة ظلت تسيطر على الملايين من المسلمين، وبقي الكتاب من خلالها ينظرون إلى الشيعة نظرة الحاقد الحسود الذي لا يبصر الا من زاوية نفسه المعقدة المظلمة فكتبوا عنهم واتهموهم بشتى الالهامات والصقوا بهم البدع جزافا وبلا حساب، ولا سبب لذلك الا ان التشيع لا يقر الحكومة التي لا تقوم على اساس العدل واحقاق الحق، ولا يعترف باي سلطة لا تضمن حرية الفرد والجماعة، وتحمي الشعوب من الاستغلال والجشع ونشر الفوضى، وتحرص على كرامة الانسان وتهيئ له الحياة الحرة الكريمة مهما كان لونه ونوعه.

صحيح ان ما قيل عن الشيعة، وما كتب عنهم ولا يزال المتقولون والكتاب يجترونه في كل عصر وزمان، هو من صنع تلك العصور المظلمة الجائرة، ولكن قد باء الوقت المناسب لتجاهل تلك المزامير التي تغنى بها اسلافهم قرونا واجيالا، ولان يملوها كما ملوا من كل قديم لا تفرضه الحياة في مختلف نواحيها، وان يدرسوا التاريخ ويحاكموه بوعي وانصاف وتجرد، ونحن على ثقة بانهم لو فعلوا ذلك سيتراجعون عن اكثر مدونات التاريخ واراجيف الحكام وشيوخ السوء، وسيعلمون ان التقية التي اعتبروها من عيوب التشيع، يفرضها الواقع، ويحكم بها العقل في مثل تلك الظروف التي احاطت بالشيعة دون سواهم، وقد ساعدت على بقاء الاديان وانتشارها اولا واخيرا، في حين هي ابعد ما تكون عن الباطنية والسرية والرياء، كما يزعم بعض المؤلفين من السنيين وغيرهم. فالباطنية مذهب له اصوله وقواعده عند مبتدعيه وواضعيه يتنافى مع اصول الاسلام وقواعده، وقد كمر ائمة الشيعة المعتنقين لهذه الفكرة والمرائين، وعدوا الرياء نوعا من الشرك كما جاء في مروية يزيد بن خليفة عن الامابم الصادق (ع) (١). ان التقية دعوة إلى الخلود والسكينة، وليست شيئا آخر وراء مجاراة الغير تهربا من شره وضرره حتى يتهيأ الوقت المناسب للوقوف في وجه الطغيان والفساد مع العلم بان جميع الاديان والطوائف تقر مبدأ التقية، وتدفع المهم بالاهم وتقدم الفاسد على الافسد، وتأخذ بقاعدة دفع المفاسد اولى من جلب المصالح. والسنة انفسهم يقرونها ويعملون بها لدفع الاضرار والمفاسد وجلب

المصالح والمنافع، فقد جاء في الجزء الثالث من احياء العلوم للغزالي، (باب ما رخص فيه الكذب).

---

(١) انظر ص ٢٩٣، ج ٢، من الكافي.

جاء فيه، ان عصمة دم المسلم واجبة، فإذا كان القصد سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم، فالكذب فيه واجب. وقال الرازي: وهو يفسر قوله تعالى: (الا ان تتقوا منهم تقاة) قال: روي عن الحسن انه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، واضاف إلى ذلك. ان هذا القول هو الاولى، لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان وانكر الشاطبي في الموافقات على الخوارج القائلين بان سورة يوسف ليست من القرآن، وان التقية لا تجوز في قول أو فعل، واكد مشروعيتها في موارد الحاجة إليها. وقال جلال الدين السيوطي في الاشباه والنظائر: يجوز أكل الميتة في الخمصة، واساغة اللقمة في الخمر، والتلفظ بكلمة الكفر، ولو عم اسرام قطرا، بحيث لا يوجد فيه حلال الا نادرا فانه يجوز استعمال ما يحتاج إليه. وقال أبو بكر الجصاص: في تفسير قوله تعالى: " الا ان تنقوا منهم تقاة " اي ان تخافوا تلف النفس، أو بعض الاعضاء، فتتقوهم باظهار الموالاة من غير اعتقاد لها، وهذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وعلى ذلك الجمهور من اهل العلم، واضاف إلى ذلك ان عبد الرزاق روى عن معمر عن قتادة في تفسير قوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون الله " قال: لا يحل لمؤمن ان يتخذ كافرا وليا في دينه، وقوله تعالى: " الا ان تتقوا منهم تقاة " هذه الآية تدل على جواز اظهار الكفر عند التقية. وجاء في الجزء الرابع من السيرة الحلبية. ان رسول الله (ص) لما فتح خيبر، قال له حجاج بن علاط: يا رسول الله ان لي بمكة مالا وان لي اهلا، وانا اريد ان آتيهم، فانا في حل ان انا نلت منالى، وقلت شيئا، فاذن له رسول الله ان يقول ما شاء.

إلى غير ذلك من النصوص الفقهية والتاريخية الكثيرة الواردة في كتب مشاهير اهل السنة، والتي يستفاد من خلالها بان التقية من الضرورات التي لا يمكن الاستغناء عنها والتنكر لها بحال (١). والشئ الغريب ان بعض السنة مع وجود هذه النصوص والتصريحات في كتبهم يعدونها من عيوب الشيعة، وينعتونها بالرياء تارة والدجل والباطنية اخرى ونحو ذلك من النعوت التي ان دلت على شئ فانها تدل على انهم يحاولون ولو بالتمويه والتضليل والافتراء التشنيع على الشيعة واظهارهم على غير واقعهم ولو بهذه الاساليب المفضوحة.

---

(١) انظر الشيعة والتشيع، ص ٥١، شيخ محمد جواد مغنيه، والموافقات للشاطبي، ص ١٨٠، ج ٤، والاشباه والنظائر ص ٧٦، والجزء الثاني من احكام القران للجصاص ص ١٠، والجزء الثالث من السيرة الحلبية ص ٦١.

من هنا وهناك وروى الكليني في باب الكفر، عن مسعدة بن صدقة انه قال، سئل الامام الصادق (ع) ما بال الزاني لا تسميه كافرا وتارك الصلاة قد سميته كافرا وما الحجة في ذلك ؟ فقال: لان الزاني وما اشبهه انما يفعل ذلك لمكان الشهوة لانها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها الا استخفافا بها، وذلك لانك لا تجد الزاني يأتي المرأة الا وهو متلذذ لاتيانها قاصد إليها، وكل من ترك الصلاة قاصدا لذلك، فلا يكون قصده لتركها مستندا إلى اللذة، وإذا انتفت اللذة وقع الاستخفاف، وإذا وقع الاستخفاف وقع الكفر (١). وروى عن ابي مسروق انه قال: سألني أبو عبد الله الصادق (ع) عن اهل البصرة، فقال لي ما هم ؟ قلت مرجئة وقدرية وحرورية، فقال:

---

(١) من المعلوم ان الامام (ع) لم يقصد بذلك ان ترك الصلاة يلازمه الاستخفاف بالله دائما بل قصد من ذلك ان دواعى الترك في الغالب هي الاستخفاف وعدم المبالاه بأوامره ونواهيه سبحانه، إذ لا داعى الى تركها سوى ذلك في الغالب، وهذا بخلاف الزنا ونحوه من المعاصي، فان الشهوة في الغالب تستحوذ عليه وتتغلب على ارادته الخيرة فتدفعه إلى المخالفة والعصيان.

لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شئ (١). وروى في باب الضلال عن عبد الرحمن بن الحجاج عن هاشم صاحب البريد انه قال: تنازعنا انا ومحمد بن مسلم وابو الخطاب فيمن لا يعرف هذا الامر (اي الامام)، فلما حججت دخلت على ابي عبد الله (ع) واخبرته بما جرى. فقال: انك قد حضرت وغابا، ولكن موعدكم الليلة فلما اجتمعنا عنده تناول وسادة ووضعها في صدره، ثم قال لنا ما تقولون في خدمكم ونسائكم واهليكم أليس يشهدون ان محمدا رسول الله (ص) قلت: بلى قال أليس يصلون ويصومون ويحجون قلت: بلى، فيعرفون ما انتم عليه قلت لا، قال فما هم عندكم: قلت من لم يعرف هذا الامر فهو كافر، قال سبحان الله: اما رأيت اهل الطريق، واهل المياه قلت: بلى قال أليس يصومون ويصلون ويحجون، أليس يشهدون ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله قلت بلى: قال فيعرفون ما انتم عليه قلت لا، قال فما هم عندكم ؟ قلت من لم يعرف هذا الامر فهو كافر، وهكذا مضى الامام (ع) يعدد له اصناف الناس على اختلاف حالاتهم ممن يؤمن بالله ورسوله في معرض الانكار على من يسلب عن المسلمين صفة الاسلام لمجرد انهم لا يقولون بما يقوله الشيعة في الولاية، واخيرا وبعد ان لمس منهم الاصرار والتصلب في ادعائهم، قال: سبحان الله هذا قول الخوارج،

---

(١) المرجئة هم القائلون بأنه لا يفر مع الايمان بالله معصية، والقدرية هم المفوضة القائلون بأن الافعال من صنع العبد وليس لله رأي بها ولا مشيئة، والحرورية هم الخوارج، وقد اعطاهم المؤرخون هذا الاسم، لانهم في اول امرهم قد اجتمعوا في قرية تدعى حروراء في جوار الكوفة، وذلك بمد فشل مؤتمر التحكيم الذي دعا إليه معاوية بعد ان احس بالهزيمة وتبناه القسم الاكبر من الجيش الذي كان يحارب في صفين مع علي (ع) ومن بين هؤلاء قادة الحرورية الذين اغروا الناس بالخروج على علي (ع) وزينوا لهم التمرد والعصيان.

واضاف إلى ذلك: انه لشر عليكم ان تقولوا بشئ ما لم تسمعوه منا (١). وروى في باب صنوف اهل الخلاف من المرجئة والقدرية، والخوارج عن مروك بن عبيد، ان ابا عبد الله الصادق (ع) قال: لعن الله

القدرية والخوارج والمرجئة، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة. فقال له الراوي: لعنت الخوارج والقدرية مرة ولعنت المرجئة مرتين قال (ع): ان المرجئة يقولون: بأن قتلتنا مؤمنون، ودماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، ان الله حكى عن قوم في كتابه انهم قالوا: " لن نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات، فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين " وكان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا. والقدرية والمرجئة فرقتان ظهرت طلائعهما في العهد الاموي: ويرجح المؤلفون في الفرق والمعتقدات ان اول من تكلم بالقدرية رجل من اهل العراق كان نصرانيا دخل في الاسلام ورجع عنه، ومنه اخذ معبد الجهني وغيلان الدمشقي، فتولى معبد نشر فكرة القدر بمعنى ان الانسان مختار اختيارا مطلقا في افعاله يصنعها كما يريد من نكير ان يكون لله مشيئة في ذلك، هذا المعنى من القدر تولى نشره معبد الجهني في العراق، واتجه غيلان الدمشقي إلى نشره والتبشير به في جهات الشام، وانضم معبد الجهنى اخيرا إلى عبد الرحمن بن الاشعث في تورته ضد الامويين، فوقع

---

(١) انظر ص ٤١٠ و ٤٠٢ من المجلد الثاني، والذي عناه الامام (ع) بقوله: هذا قول الخوارج، ان انكار الولاية، أو الجهل بها لا يوجب الكفر، ما دام المسلمون يقرون لله بالوحدانية، ولمحمد بالنبوة، ويؤدون الفرائض، ولا يشترط في الاسلام اكثر من الاقرار بالشهادتين، وعدم الانكار لشئ من الضروريات، وتكفير المسلمين لمجرد انهم لا يقرون بامامة الائمة يشبه رأي الخوارج حيث كفروا جميع المسلين لانهم لم يوافقوهم في آرائهم ومعتقداتهم.

اسيرا بيد الحجاج بن يوسف، بعد ان انهزم ابن الاشعث في المعارك التي دارت بينه وبينهم، فارسله إلى عبد الملك بن مروان فقتله صلبا. واما غيلان الدمشقي، فقد جرت بينه وبين عمر بن عبد العزيز مناظرات حول القدر فاقنعه بفساد هذه المقالة، واظهر التراجع عنها، فولاه عمر بن عبد العزيز بيع خزائن ملوك اسلافه الامويين، وكان يكثر من سبهم والتشهير بمخازيهم وبالمنكرات التي ارتكبوها، فاضمرها له هشام بن عبد الملك ولما تمكن منه في ايام خلافته قطع يديه ورجليه (١). ومن الثابت ان الحكام كانوا يطاردون انصار هذه الفكرة لانها تحملهم مسؤولية اعمالهم ومنكراتهم، ويتضح ذلك عندما نقارن بين قسوتهم مع هؤلاء وبين اكرامهم للقائلين، بان القدر هو القضاء المحتوم على العباد والانسان لا يملك من امره شيئا. كما يدعى الجعد بن درهم، اخذ الدعاة للقدر بهذا المعنى، الملازم للامويين، والمعلم لاولادهم، ومنه اخذ هذه المقالة الجهم بن صفوان الداعية الثاني لها، مع العلم بان القدر بالمعنى الاول ليس باسوأ من المعنى الثاني (٢) ومع ذلك فقد بالغوا في اكرامه والاحسان إليه. ومهما كان الحال، فالامام (ع) قد لعن المفوضة ووصفهم بالشرك في بعض المرويات، لان التفويض يلزمه التعطيل وعدم الحاجة إلى بعث الرسل. وفي العصر الذي، ظهر فيه القدرية شاعت فكرة الارجاء، وتطوع لحمايتها الحكا م لانها تعطيهم صفة المؤمنين الابرار في وقت يجدون انفسهم

---

(١) الانتصار لابن الخياط، ص ١٣٩. (٢) لان القدر بمعنى التفويض يلزمه تعطيل ارادة الله سبحانه وعزله عن سلطانه، والقدر بالمعنى الثاني يلزمه عدم استحقاق الانسان للثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي لانه لا يملك من امره شيئا.

في امس الحاجة إليها لانها تحمي ايمانهم من هجمات الخوارج المكفرين لكل من خالفهم ولم يشترك معهم في الثورة على الامويين، ومن هجمات المعتزلة التي تنفي عن العصاة صفتي الايمان والكفر، ومن حملات المحدثين والفقهاء الذين كانوا يصفونهم بالفسق والنفاق. في هذا الجو المشحون بالصراع العقائدي ظهرت فكرة الارجاء التي تنص إلى ان الايمان لا يعتبر فيه اكثر من الاقرار باللسان. ولا تضر معه المعاصي والمنكرات مهما بلغت وكان نوعها، بل حتى ولو عبد الاوثان، ولازم اليهودية والنصرانية، كما نسب ذلك لبعضهم، والارجاء الذي يمنح العصاة صفة القديسين، ويفتح الباب امامهم لجميع المعاصي والمنكرات، هذا النوع من الارجاء لانه يطمع الفساق والمستهترين في عفو الله ويشجعهم على المعاصي، لعن الامام (ع) انصاره وشدد على معتنقيه والقائلين به. ان المرجئة الذين يمنحون يزيد بن معاوية واباه صفة العاملين بكتاب الله والمتبعين لسنة رسول الله وسيرة اوليائه، ويكذبون الكتاب والسنة الذين وصفا العصاة بالفسق والنفاق، وتوعدا العامي بالعقاب الشديد والعذاب الاليم، هؤلاء هم الشركاء لجميع العصاة في عصيانهم ومخازيهم، واكثر ضررا من الخوارج والقدرية واحق باللعن والخزي منهم. واما الخوارج فالشذوذ الجامع بين جميع فرقهم، هو تكفير جميع المسلمين حيث انهم لهم يشتركوا معهم في ثورتهم ضد الحكام، ولم يقروا جميع آرائهم وتصرفاتهم (١).

---

(١) لقد عقدنا فصلا خاصا في كتابنا (الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة) عن الخوارج، وعرضنا فيه الجوانب المهمة من تاريخهم وفرقهم وتشريعاتهم، والاسباب التي ادت الى فشلهم مع ايمانهم بمبادئهم وتصلبهم في تنفيذها مهما كان الثمن غاليا.

من مرويات الكافي حول القرآن لقد خصص الكليني فصلا كبيرا من المجلد الثاني للمرويات التي تشيد بفضل القرآن ومكا نته وتلاوته واقتنائه وحفظه، والاعتصام به، مما يؤكد حرص الائمة (ع) على تعظيمه وتقديسه والعمل به والاستفادة من حكمه وادابه وتعاليمه، وليس بوسعنا ان نستقصي جميع ذلك، ولا جميع مرويات الكافي التي احاطت بمجيع نواحى الخير والفضيلة والاخلاق، وعالجت جميع المشاكل ووضعت لها الحلول التي تتناسب مع جميع العصور. وقد رأيت ان اختم كتابي هذا ببعض المرويات التي تشعر بتحريف القرآن، وعليها قد اعتمد من نسب القول بالتحريف إلى الشيعة وائمتهم واسقاط بعض الآيات منه. فمن ذلك ما رواه في باب النوادر عن الاصبغ بن نباتة ان إمير المؤمنين (ع) كان يقول: نزل القرآن اثلاثا، ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وامثال، وثلث فرائض واحكام. وقد استنتج من نسب القول بالتحريف إلى الشيعة من هذه الرواية ان الثلث الذي هو في اهل البيت واعدائهم، قد اسقط من القرآن، بنظر الشيعة لان الموجود بين ايدي المسلمين لم يشتمل على هذا النوع من الثلث صراحة وقد فاتهم ان الذي يعنيه الامام (ع) بهذه الرواية من الثلث

الاول على صحتها هم ومن كان من سنخهم من المؤمنين والطيبين الذين طبقوا مبادئهم وعملوا بما جاء به الانبياء والمرسلون، ويعني

بعدوهم كل منحرف عن الحق لا يؤمن بيوم الحساب، ولا يعمل بما امر الله ورسوله، فالآيات التي تعرضت للطيبين والمسارعين إلى الخيرات والاعمال الصالحات نزلت فيهم، لان من كان بهذه الصفات فهو منهم بعمله وروحه وايمانه بمبادئهم التي دعا إليها الاسلام وجميع الاديان ونص عليها القران لا فرق في ذلك بين الابيض والاسود والعربي وغيره، ولذلك وحده كان سلمان من اهل البيت وتأكيدا لهذا المبدأ قال الرسول (ص): سلمان من اهل البيت. والآيات التي تعرضت للاشرار والفجار والمنافقين في اي عصر كانوا هي في عدوهم، ولو سبقهم بعشرات القرون، لانهم لا يعادون الا في الله، ولا يحبون الا في الله. ويؤيد ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال: يا محمد إذا سمعت الله ذكر احدا من هذه الامة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوما بسوء ممن مضى فهو عدونا. وجاء عنه (ع) انه قال: نزل القرآن اثلاثا ثلث فينا وفي محبينا، وثلث في اعدائنا واعداء من كان قبلنا، وثلث سنن وامثال، ولو ان الآية إذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شئ ولكن القرآن يجري اوله على آخره ما دامت السموات والارض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها في خير أو شر (١).

---

(١) والمراد من ذلك ان الآية قد يكون موردها خاصا احيانا، ولكن حكمها يسري على من كان سنخ موردها ولو بعد نزولها بعشرات السنين. (*)

هذا بالاضافة إلى ان الرواية من حيث سندها ليست مستوفية للشروط المطلوبة، لان الراوي لهذه الرواية عن الاصبغ بن نباتة كان من المعاصرين للامام الصادق (ع) كما يظهر من كتب الرجال وبينه وبين الاصبغ اكثر من سبعين عاما، وقد رواه عنه بدون واسطة، وهذا من نوح التدليس في الرواية الموجب لضعفها، وفوق ذلك فهو من المتهمين بالوضع عند المؤلفين في الرجال. وقد روى داوود بن فرقد عن ابي عبد الله الصادق (ع) بسند اقرب إلى الصحة من الحديث السابق، ان القرآن نزل اربعة ارباع، ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن واحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم، وفصل ما بينكم. وهذه تنافي الرواية السابقة التي قسمته اثلاثا، ونصت على ان الثلث الاول نزل في اهل البيت واعدائهم. وإذا كان الثلث الاول فيهم وفي اعدائهم باسمائهم واشخاصهم كما يقتضيه الجمود على ظاهر الرواية، فلماذا لم يحتج عليهم امير المؤمنين (ع) في الايام الاولى بعد وفاة الرسول (ص) بذلك الثلث، مع انه وقف معهم موقف الخصم المطالب بحقه، واحتج عليهم بمختلف الاساليب، ولم يحدث التاريخ عنه أو عن اصحابه وبنيه انهم احتجوا بذلك، ولو صحت الرواية وكان المراد منها المعنى الظاهر لكانت تلك للآيات من اقوى الحجج الدامغة لهم ولكل افاك اثيم. ومهما كان الحال فالرواية على تقدير صدورها عن الامام (ع) تشير إلى ما ذكرناه اولا. وروى عن احمد بن محمد بن ابي نصر انه قال: دفع الي

ابو الحسن (ع) مصحفا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه، لم يكن الذين كفروا ووجدت فيها سبعين رجلا من قريش باسمائهم واسماء آبائهم، فبعث الي أبو الحسن (ع) ابعث الي بالمصحف. وروى عن عبد الرحمن بن ابي هاشم عن سالم بن ابي سلمة انه قال: قرأ رجل على ابي عبد الله (ع) وانا استمع حروفا من القرآن

ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: كف عن هذه القراءة، واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام قرأ كتاب الله عزوجل على حدة، واخرج المصحف الذي كتبه علي (ع)، واضاف إلى ذلك. ان عليا اخرجه إلى الناس حين فرغ من كتابته، فقال لهم، هذا كتاب الله عز وجل كما انزله الله على محمد (ص) وقد جمعته من اللوحين، فقالوا هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة فيه، فقال: اما والله ما ترونه بعد يومكم هذا ابدا، انما علي ان اخبركم حين جمعته لتقرءوه (١). وروى في كتاب الحجة من المجلد الاول بعض المرويات التي تشير إلى تحريفه، وقد عرضنا قسما منها في الصفحات السابقة وابدينا حولها بعض الملاحظات التي لا مفر منها ونبهنا على ان رواتها من الغلاة والمنحرفين عن مخطط التشيع الصحيح لاهل البيت (ع). ومن هذه المرويات التي اوردها الكليني وغيره من المحدثين في مجاميعهم تعرض الشيعة وبخاصة الكليني لاعنف الهجمات من السنة وبالغوا في التشنيع عليهم إلى حد الغلو والافراط الذي لا مبرر له، وزعموا ان للشيعة قرآنا غير القرآن الموجود بين ايدى المسلمين، ووصف الشيخ أبو زهرة الكليني بالنفاق والخروج عن الدين، ودعا إلى التشكيك بجميع مرويات الكافي، لانه دون فيه هذا النوع من الاحاديث، مع العلم بان محدثي السنة دونوا في صحاحهم وغيرها احاديث من هذا النوع لا

---

(١) انظر ص ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٣١ و ٦٣٣.

تقبل التأويل والتوجيه كما يبدو من المرويات التالية التي دونها البخاري في صحيحه. فقد جاء في المجلد الثاني منه عن ابراهيم بن علقمة انه قال: دخلت في نفر من اصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا وقال: افيكم من يقرأ القرآن فقلنا نعم: فقال فأيكم اقرأ فاشاروا الي، فقرأت والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والانثى، قال: انت سمعتها من في صاحبك قلت نعم: قال وانا سمعتها من في النبي (ص) وهؤلاء يأبون علينا. وما خلق الذكر والانثى. وفي رواية ثانية ان ابا الدرداء قال لعلقمة كيف سمعته يقرأ والليل إذا يغشى، قال علقمة: والذكر والانثى، قال أبو الدرداء: اشهد اني سمعت النبي (ص) يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني على ان اقرأ وما خلق الذكر والانثى، والله لا اتابعكم على ذلك. وروى في المجلد الثاني رواية بهذا المضمون ايضا (١). وروى في المجلد الرابع عن عبد الله بن عباس انه قال: قدمنا المدينة عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس فوجدت سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبتيه، فلم انشب ان خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فانكر علي وقال ما عسيت ان يقول ما لم يقله قبله، فجلس عمر بن الخطاب على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال: اما بعد فاني قائل مقالة قد قدر لي ان اقولها لا ادري لعلها بين يدي اجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي ان لا

---

(١) انظر ص ٢١٥، ج ٣، و ٣٠٧، ج ٢.

يعقلها فلا احل لاحد ان يكذب علي، ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل عليه آية الرجم فعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ورجمنا بعده، واخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فضيلة انزلها الله. والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا احصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف، وكنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله، ان لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم. وروى ايضا عن عكرمة، ان عمر بن الخطاب قال: لولا اني اخشى ان يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي (١). وجاء في النصوص التي تعرضت لها. ان زيد بن ثابت لم يدون اية الرجم في كتاب الله حينما اوكل إليه امر جمع القرآن، لانه كان لا يدون آية الا بشهادة عدلين، ولم يكتف بشهادة عمر وحده، في حين ان آخر سورة براعة لم توجد الا مع خزيمة بن ثابت، فقال أبو بكر اكتبوها: فقد جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين. وروى في المجلد الثاني عن انس بن مالك ان النبي (ص) دعا على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين غداة، على رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، واضاف إلى ذلك انس، ان الله انزل في الذين قتلوا بئر معونة قرآنا قرأناه ى ثم نسخ بعد (بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه) (٢).

---

(١) انظر ص ١٧٩ و ٢٦٥، ج ٤. (٢) ص ١٤٠، ج ٢ ولابد من التنبيه على ان النسخ انما يكون بالنسبة إلى الاحكام واما الالفاظ والصيغ فلا نسخ فيها ولذا فان الآيات التي نسخ حكمها في القرآن لم تقد من اصل القرآن ولم تخرج عن كونها قرآنا منزلا من الله سبحانه.

وقد ذكرنا سابقا عن مصحف عائشة كما جاء في الاتقان، وانها تدعى بان الله انزل في القرآن، ان الله وملائكته يصلون على النبي، وعلى الذين يصلون الصفوف الاولى. وجاء في بداية المجتهد لابن رشد وغيرها، ان القرآن نزل بعشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن، كما جاء في رواية السيدة عائشة. مع العلم بانه ليس في القرآن ما يشير إلى ذلك من قريب أو بعيد. وجاء في الاتقان للسيوطي، عن المسور بن مخزمة ان عمر بن الخطاب قال لعبد الرحمن بن عوف: لم نجد فيما انزل علينا، ان جاهدوا كما جاهدتم اول مرة، فانا لا نجدها، قال: اسقطت فيما اسقط من القرآن. وجاء في صحيح مسلم. ان ابا موسى الاشعري بعث إلى قراء اهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال اتنم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وانا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير اني قد حفظت منها، لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى غيرهما واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها، يا ايا الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة (١). إلى غير ذلك من المرويات عند السنة في صحاحهم وغيرها، ومع ذلك فقد تجاهلوا جميع هذه المرويات ونسبوا القول بالتحريف إلى

---

(١) البيان في التفسير للسيد الخوئي عن مسلم، ج ٣، ص ١٠٠.

الشيعة وحدهم، مع العلم بان علماء الشيعة تمشيا مع المخطط الذي وضعه ائمتهم لا يزالون منذ اقدم العصور الاسلامية ينكرون هذه النسبة في كتبهم ومناظراتهم، ويجادلون اصحاب هذه المقالة بالحجج والبراهين، ويثبتون بالادلة التي لا تقبل الريب ان القرآن الموجود بين المسلمين هو المنزل على محمد (ص) من غير زيادة أو نقصان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا ينكرون وجود بعض المرويات في الكافي وغيره حول هذا الموضوع، ولكنهم يرون ان اكثر تلك المرويات مكذوبة على الائمة (ع) لان رواتها من الغلاة والباطنية كما اشرنا إلى ذلك في المباحث لسابقة والصحيح منها ليس صريحا في التحريف بمعنى النقصان لامكان ان يكون المراد منه تحريف المعاني مع الاحتفاظ بالصيغة والالفاظ. ويؤيد هذا المعنى ما جاء في رواية سعد الخير التي رواها في الكافي عنه، ان ابا جعفر الباقر كتب إلى سعد الخير كتابا اوصاه فيه بتقوى الله، وجاء فيه، وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه. وهذه الرواية تفسر التحريف الوارد في بعض مرويات الكافي وغيره من كتب الحديث والتفسير. ومن خصوص الزيادة الموجودة في مصحف علي (ع) كما جاء في بعض المرويات، لو تغاضينا عن العيوب الموجودة في اسانيدها والتزمنا بصحتها من ناحية السند، فلا بد وان تكون الزيادات المزعومة من قبيل التفسير والتوضيح للمراد من تلك الآيات عن طريق الوحي أو النبي (ص) كما نص على ذلك جماعة من علماء الامامية. ويدل على ذلك ما جاء في الكافي عن ابي بصير انه قال: سألت

أبا عبد الله الصادق (ع) عن قوله تعالى: " أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ". فقال: نزلت في علي والحسن والحسين (ع) قلت له: ان الناس يقولون: فما له لم يسم عليا والحسن والحسين في كتاب الله ؟ قال: قولوا لهم: ان رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم لهم ثلاثا ولا اربعا حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم. هذا بالاضافة إلى ان عليا والمتخلفين معه عن بيعة ابي بكر لم يحتجوا على احد بورود هذه الاسماء في القرآن الكريم ولو كان له ولابنائه ذكر صريح في كتاب الله، لكان احتجاجهم بذلك اجدى وانفع من جميع الحجج التي استدلوا بها على استخلافه بعد النبي (ص) كما ذكرنا سابقا. ومهما كان الحال فروايات التحريف رواها بعض محدثي الشيعة كالكليني وغيره، ورواها اهل السنة في صحاحهم كالبخاري ومسلم وغيرهما وهي عند السنة اكثر منها عند الشيعة وبشكل ابشع واسوأ اثرا مما رواه محدثوا الشيعة، والذين آمنوا بها من السنة لا يقلون عمن آمن بها من الشيعة، وان كانوا لا يمثلون رأي الجمهور في ذلك، لان اكثرهم من المنكرين لها، كما هو الحال بالنسبة إلى الشيعة ايضا. ولو ان الذين كتبوا من السنة وقفوا عند عرض وجهة نظر الفريقين واقتصروا على تفنيد هذا الرأي ا ايا كان قائله، لكان ذلك اقرب إلى منطق الدين والعقل، وابعد عن التحيز والتعصب الذي يثير الشحناء والبغضاء ولا يخدم الا العدو الذي يستغل هذه المهاترات لاغراضه ومصالحه. ولكنهم بدلا من ذلك، ومع وجود تلك المرويات في صحاحهم ومجاميعهم وقفوا موقف المهاجم العنيد والخصم الحاقد على الشيعة ليقذفوا بمفترياتهم تلك الحصون المنيعة التي بنيت بتعاليم علي واهل بيته الطيبين المستوحاة من الرسول الاعظم والكتاب الكريم ونسي هؤلاء ان

حصونهم وبيوتهم من الزجاج الذي لا يصمد لهبات النسيم فضلا عن العواصف والاحجار. لقد تعرض لمسألة التحريف من المتمأخرين الشيخ أبو زهرة في كتابيه (الامام الصادق، والامام زيد بن علي) ووصف فيهما الكليني بالنفاق والخروج عن مخطط الاسلام، ودعا إلى التشكيك بجميع مروياته في الكافي وفي نفس الوقت تعرض للسيوطي في الاتقان وغيره ممن روى هذه المرويات وانتهى إلى النتيجة التالية. ان ما نقله السيوطي واشباهه لا يجعل مساغا للتشكيك في دينهم، وان كنا لا نوافق على سرد الاقوال ذلك السرد الذي سلكه السيوطي في كتابه من غير تمحيص لها (١). وإذا كان السيوطي مع انه دون هذه الاحاديث في كتابه من غير تمحيص لها لا يصح التشكيك في دينه كما يدعي أبو زهرة، فبماذا يعتذر حضرته عن البخاري الذي اختار جامعه من ستماية الف حديث ولا بد وان يكون قد محصها تمحيصا دقيقا حتى انتهى إلى العدد المختار في صحيحه الذي بلغ نحوا من سبعة آلاف وستماية حديث تقريبا، ومع هذا التمحيص فقد روى احاديث النقص وما يشبهها غرابة واستهجانا كحديث سحر النبي، ووضع الرب رجله في جهنم، وحديث موسى مع الحجر ونحو ذلك من الاحاديث التي عرضنا قسما منها، وكتابه اصح كتب الحديث بل اصح كتاب بعد كتاب الله على حد تعبيرهم، وإذا اخذنا بمقاييس ابي زهرة يجب التشكيك بدينه والنقد الواعي لجميع مروياته أو طرحها، ولكنه لم يطبق هذا المبدأ الا على الكليني وحده. فقد قال عندما تحدث عن البخاري محاولا تبرير موقفه من وجود مرويات غير مرضية في صحيحه، قال: والبخاري ذاته هو اصح الكتب

---

(١) انظر ص ٣٢٦ من " كتابه الامام الاصادق ".

اسنادا قد اخذت عليه احاديث: وما كان ذلك مسوغا لتكذيب البخاري ولا كان ذلك مسوغا لنقض الصحيح الذي رواه. ونحن لا ننكر عليه ان وجود بعض المرويات المكذوبة في اي كتاب كان لا يوجب الطعن والتفسيق لصاحب الكتاب، ولا سقوط جميع مروياته، والذي انكرناه انه كان من المفروض عليه وهو يدعى التجرد والاخلاص للحق ان لا يفرق بين الكليني والبخاري، وان يحكم عليهما بحكم واحد، لان كلا منهما قد روى احاديث النقص والتحريف. واخذت عليه احاديث لا يمكن الالتزام بها والاطمئنان إليها، فلماذا وهو الباحث المجرد على حد زعمه، كانت تلك المرويات المكذوبة في الكافي موجبة للطعن في دينه والتشكيك بجميع مروياته والمرويات المكذوبة في البخاري لا توجب شيئا من ذلك. وانني اعود فاكرر ما ذكرته سابقا من اني لم اتحيز في هذه الدراسات إلى فريق معين، ولكنها الحقيقة تفرض نفسها احيانا على الكاتب، فيضطر إلى ابرازها مهما كلفه ذلك من ثمن، وانا واثق باني سأتعرض بسبب هذه الدراسات إلى النقد والهجوم من مقلدة الشيعة وحشوية العامة الذين احتضنوا كتب الحديث وغالوا في تقديسها على ما فيها من العلل والعيوب، من غير تفكير بالاخطار الناجمة عن وجود تلك المرويات المنتشرة هنا وهناك بين السنة المحمدية والتي تمكن اعداء الاسلا م واعداء اهل ابيت (ع) من التشنيع عليها وتشويه معالمها النيرة الساطعة. وارجو ان تكون هذه الدراسات المختصرة تمهيدا لدراسات واسعة تشمل جميع كتب الحديث وتصفيتها من الموضوعات التي تسئ إلى السنة الكريمة ومنه سبحانه نستمد العون، والاخلاص في العمل والتوفيق لخدمة الدين والمذهب انه قريب مجيب.

مصادر الكتاب القران الكريم مجمع البيان للطبرسي آيات الاحكام للجزائري احكام القرآن للجصاص مقدمة البيان في التفسير للسيد الخوئي الكافي للكيني الصحيح للبخاري فوائد الوسائل للحر العاملي مستدرك الوسائل للمرزا حسين النوري روضات الجنات للخونساري فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر هدى الساري لابن حجر انساب الاشرات للبلاذري تهذيب التهذيب تاريخ اليعقوبي المعارف لابن قتيبة الاصابة لابن حجر الاستيعاب لابن عبد البر الباعث الحثيث في شرح علوم الحديث لابن كثير

[٣٥٦]

مصادر الكتاب القران الكريم مجمع البيان للطبرسي آيات الاحكام للجزائري احكام القرآن للجصاص مقدمة البيان في التفسير للسيد الخوئي الكافي للكيني الصحيح للبخاري فوائد الوسائل للحر العاملي مستدرك الوسائل للمرزا حسين النوري روضات الجنات للخونساري فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر هدى الساري لابن حجر انساب الاشرات للبلاذري تهذيب التهذيب تاريخ اليعقوبي المعارف لابن قتيبة الاصابة لابن حجر الاستيعاب لابن عبد البر الباعث الحثيث في شرح علوم الحديث لابن كثير شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية